
هذا
رسائل ابي بكر
الخوارزمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
هذه رسائل الاستاد ابي بكر الخوارزمي رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابي اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تع

وقفات الاعداء في مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك، والمهلة في استيفاء
شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك، ولا خاصك الله مما انت فيه
من جناية غيرك عليك، حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك
فان نفسك اعظم خصميك، وان كانت اصغرهما لديك، وقد مثلت يداك
البتة بما نشرت لك كلامي وافوق نحوك سهامي واقضي بذلك حق
عظتك، واخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك، وبين ان اليوم من قولي لك
فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك، فرايت الاول على اوجب والى الصواب اقرب منه واذا اقول
اخوك الذي ان اجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
ولا اقول، وليس اخوك بالذي ان تشعبت عليك امور ظل يلحاك لائما
اصاب لم قشر يدك الله في بيتك لواجم، ولم يصب في بيت للاثم، وكيف يهدي الطريق
لرشده في غده، دون ان يلام على غيه في امسه، وكيف يتوصل الى تحسين
الصواب الآنف، الا بتقبيح الخطاء السالف، وكيف لا يلام المسيء والنهي
بعد يقتضي اللوم على قبل، وكما لابد في الكلام من الاثبات والنفي كذا
في العظة والنصيحة من الامر والنهي فاللوم اذا على هذه القضية اجدر
كانت النصيحة التي عليها قامت، وبها استقامت، وهل يلوم المرء الا

الاقارب، وهل يرخى له عنان العذل، ويتجوز معه في اللوم الا معارفة الاجانب، واذا فرغت للحق زاوية من قلبك، وحكمت على هواك لعقلك، علمت ان ما تكره فيما تحب، خير لك مما تحب فيما تكره، وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك، خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك، ولئن كان ظاهر كلامي يلدغك، فان باطنه لينفعك، وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل في زمان يتخطاك فيه الناظر، ويدوسك الخف والحافر، لا يشرفك نسب، ولا يرفعك ادب، ولا يرجوك صديقك، ولا يخافك عدوك، عن يمينك الخمول، وعن يسارك الذبول، وبينهما الفقر الذي لو قسم على الاغنياء، لصاروا فقراء، والضعف الذي لو فرق على الاقوياء، لعادوا ضعفاء، تصبح في قل وتمسي في ذل، وتروح الى انثى وتغدو الى طفل، فانصفك الدهر الظالم، وانتبه لك البخت النائم، واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك، ويقوم من قنبور حدبتك، فينظر كيف تعملون، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، فاتصلت من ولي نعمتك بحبل لو اتصل به الادبار لتقدم الاقبال، ولو خدمه النقص لفضل الكمال، ولو تعرف اليه الجماد لنطق بجده، ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده، فما هو الا ان سببت اليه، وحسبت في آثار يديه، حتى فتحت لك الايام بسلاحه، وطرت الى المنى والمطالب بجناحه، و حتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا، وغضضت الى اشياء كنت عنها قطوفا،

ومثل الذي نلته حافيا	يؤثر في قدم الناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب، ولكثر ترددك بين الاذن والحجاب، وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب، ونقلت اليه قدم راغب وراهب، هذا الى استنقاذه لك من الردى، بيد الهدى، واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد، فلزمك ولاؤه مرتين، واحاطت برقبتك نعمه من جهتين لانه انقذك من النار، كما انقذك من العار، واعتق رقبتك من اسر الضلال كما اعتقها من ذل السؤال، فكانت نعمته عليك مضاعفة، وصنيعته اليك متداخلة، وكان ذلك بعين احسان الله تعالى بعد نفيس احسانه اليك

لتؤدي زكاة الاحسان، وتتمم الصنيعة باليد واللسان، وريث يقظان
مالم تحتلم بره سنان، ويزف اليك من ابكار الصنع مالم تخطبه بهمتك،
ولم تستوجبه بقيمتك، الى ان اصلح عليك الدهر الطالح، وملكك عنان
البخت الجامح، وانت سكران من خمر اليسار والغنى، غريق في لجج المطالب
والمنى، لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك، او طرت نحوه بجناح لك، والاقبال
يستر عيوبك، والامهال يغفر ذنوبك، ولا ستر اكشف من اقبال، ولا شفيع
انجح من امهال، والدولة تجعل البعيد قريبا، والجد يري المخطئ مصيبا، و
المجد ودهمر بيديه، ما لا يراه المحدود بعينيه، ويتناول قاعدا، ما لا
يتناوله غيره قائما، ولا رسول اسرع من جهد، ولا مستحث اوحى من يسر بلا
عسر، فلما جازيت النعمة بالكفران، ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان
نظرت الايام اليك شزرا، وابدلتك باليسر عسرا، فاصبحت تلك البوارق، و
هي صواعق، واستحالت تلك المواهب هي مصائب، وتقاضاك دهرك ما
اسلف، واستأنف بك خلاف ما سلف، والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى،
وحاكم لا يراجع اذا قضى، ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع، ومعط اذا
لم تشكر عطيته منع، ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب، واذا تعلم منه ادب
وهذب، على اني ما رايت معلما احسن تعليما من الزمان، ولا متعلما اسوأ
تعلما من الانسان فها انت قد ذمك حامدك، ورحمك حاسدك، واحتقبت
اوزار الندامة، ورضيت من الغنيمة بالسلامة، وكانت الايام تعدنا بك،
فاوعد تنافيك، وخلف ليل الشك نهار، ووراء سكر النعمة خمار، فانت
الآن عليل دواؤه التوبة، وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة، فان قبلت
توبتك فقد انقطعت مدة الداء، وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى
فربما قد خلف الدواء شاربه، وخان الرجاء صاحبه، فيا طبيب نفسه
ارفق بها، ويا مداوي جراحته الطف لها، واعلم انه قد كان شكر الرخاء، اهون
من مصابرة البلاء، وكان حفظ الصحة ايسر من معالجة العلة، ولو وجدت العافية
من اكفائها لما طلقتك، ولو رأتك النعمة من نقائها لما فارقتك، واقل ما كان يجب

لصبرك

لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته على كفران نعمته، ولا تكتب حسنته في جريدة سيئته، ولا تسل عليه من لسانك سيفا يده صقلته، ولا تشرع اليه من كلامك رمحا كفه قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا ... اذا وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى ... انخت الشرك في دار الجهاد

فيا ايها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران، وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان، وكم تفضون ختام العافية بالعذر، وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر، وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر، ولا تقلدون نحاحليه من طيب النشر، وكم تتبعون الوفاء بالملق، وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب الخلق، وكم تقبحون في النعم، وتحسنون في النقم، وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم مركبه، حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع، لحرمه الطبع، ولو جاز من طريق الملة والديانة، لحظر من طريق المروة والصيانة، فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام، وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام، ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده، وصار في حكم الاحسان عبده، واذا خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته، وغش الثاني بخدمته، و هل يبرأ العليل بين طبيبين، وهل يسع الغمد سيفين، وهل ينطق لسان واحد بشكرين، او يتسع قلب احد لمحبة اثنين، ولهذا الشان طلقت الناس ثلاثا، وفارقت المدح بتاتا، لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لها غفران، وسيئة لا يمحوها احسان، فلما رايته علمت ان الايام قد خبأته لي ذخرا، واعدته لي عذرا واراد الله تعالى ان اعاشر الناس حرا ونذلا، واجوب البلاد حزنا وسهلا، حتى اذا جبت الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الارض في عيني ادراة هجم بي السعد على حسنة الايام، وغريبة الانام، ونصفة الدهر الظلوم، ومكرمة العالم اللئيم، فاذا هو ضالة رجائي الحائم، وبغية قلبي الهائم، فختمت به جريدة المدح والثناء

واغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء، وفتحت له مغاليق فكري ودفعت اليه
مقاليد نظمي ونثري، واقطعته لساني غير منقطع، ووهبت له قلبي غير متجع، و
نظرت الى ابي الطيب الى تناقض حكمته وتفاوت طرفي فعلته حيث قال في سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته	ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

وقال في كافور الاخشيدي

قواصد كافور توارك غيره	ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا، واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا، وحال
ضباب الحرص والرجاء، بينه وبين العهد والوفاء، وكان يضايق نفسه
في اختيار المتاع، ويسامحها في اختيار المبتاع، ويخلع خلعة من نظمه تساوي
بدرة، على عرض من لا يساوي بعرة، ويزف كريمة من كرائم شعره، الى من لم تقم
عنده كريمة، ولم تعرف له قيمة، لو راى الطمع في حجر فارة لدخله، ولو اتاه
الدرهم من است كلب لما غسله، فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله
استقبحوا فعله، وكما اعجبوا بشعره، تعجبوا من غدره، يشكر ثم يشكو، و
يمدح ثم يهجو، ويشهد ثم يجرح شهادته، ويعطي ثم يسترجع عطيته، فكم من
حر فضله ثم ثلبه، وكم من عرض كساه ثم سلبه، وكم من صحفة اكل منها ثم بصق
فيها، ولكن في فص ابي بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع، واذا طلق لم يراجع، واذا
بنى لم يعد على بنائه بالهدم، واذا مدح لم يمط على عقب مديحه بالذم، واذا
طيب فكيه بالمدح للكريم، لم يلطخهما بمدح للئيم، واذا زوج كرائمه كفوءا
حجبهن ان يتبرجن الا لديه، ويجليهن غير عينيه، وانما الغدر من اخلاق
النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران، وجذبها
الى شقق النسوان، وهو اذا مخنث من حيث الخلق، غير مخنث من حيث الخلق،
وقد يصلح الانسان خلقه، ولا يمكنه ان يغير خلقه، فالغدر اذا على هذه
القضية هو التخنيث الاكبر، والتانيث الاعم الاكثر، والوفاء حمية القلب كما
ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم، وثبات الحمية، من قوت الحمية
وحفظ العهد من شرائط الرجولية، واني لا عجب ممن يعادي المقبل والله

معه، والايام بذله، وداعية المجد خلفه وقدامه، وقد رايت ما صار اليه مصادر اعداء هذه الدولة، وختمت باحوال حساد هذه النعمة، فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها، فاحترموا واصطلموا، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، طافت الايام على الوزير بمنايا هم، فابقاه الله تعالى وافناهم، ولم يزل نقصهم يحارب كماله، وادبارهم يزاحف اقباله حتى اجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين، واقشعت غبرة الايام والليالي عنه قائما وعنهم مصرعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا ... وفي الماضي لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي، واجر مع الفلك كما يجري، وارفق بمن رفقت الايام به، وارع لمن رعت السعادة له، ولا تزاحم الفلك الدوار، ولا تناطح الاقسام والاقدار، ولا تصغر الكبار، ولا تتحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه، ومسلط لا يؤخذ ما في يديه، وانزل حيث انزلك الاستحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق، ولا تجلس على طريق السيل الراغب، ولا تطعن في عمر القضاء الغالب، ولا تحارب جيش السعد، ولا تطاع عرجد الجد ولا تستسلف اجلك، ولا تتناول ما لم يوضع لك، واحذر قوس الخذلان، فانها نافذة الرمية، صريعة الرمية، قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك، وجاوزت بالعقاب ذنبك، ولكني عاتبتك لك، وحاربتك عنك، رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام الك، ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك، ولولا ذلك، لم اذقك مرارته، ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له، وما اغتم لك من الحبس وروعته، ولا من الهوان ولذعته، كما اغتم من نظر ولي نعمتك اليك، ووقوع بصره عليك، وقد قعدت تحت عبابره، وقابلت احسانه بكفره، وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعا، ولم تجلب نفعا، فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك، واتفكر في ساعة سعدك لا في ساعة نحسك، فقد شغلني الخجل عن الوجل، ونسيت لقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول، فلا غضاضة عليك، من امتداد يد الدهر اليك، فان امير المؤمنين وفعله، لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

وكتب الى كثير بن احمد الهارب من الامير ابى الحسن

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربتى من يد الدهر، فقد كانت بشعة الخمر، طويلة السكر، قليلة النفع كثيرة الضر، والحمد لله تعالى على حفظ على الدين وان ذهبت الدنيا، وعلى ان صودرت على المال لا على العرض والتقوى، وصلى الله على محمد خير الورى، خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر وثناء، وحمال مدح ودعاء، وقتيل خجل وحياء، اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة شفعائى، وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى، ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمة، وشققت رداء تلك الظلمة، موفر الحال والمال، صحيح العرض والجمال، لم تنشب فى اظافر الفقر، ولم ينفذ فى حكم الدهر، علمت ان الشيخ فهو عنى يد المحنة وهى طويلة، وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطة، ولو بلغه غاية مراده امكانه، وساعده على نيته فى زمانه، لحجب صروف الدهر عن فنائى ولقام بين الحوادث وبين لقائى، عرف الله تعالى له نيته، وبلغه فى الدنيا والآخرة امنيته، ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافية، وايامه من الغير صافية، ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله، ومعه وزير من عقله، وله مادح من فضله وطوله، ووراءه واقٍ من قوله وفعله، فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى وجها اشكر، ولئن توفر على افضالهن اغنانى فان افضالهن استبقانى ولو شاء افنانى وفر، فقد جاد على الملوك بالصلات، وجاد على ذلك الامير بالحيات، فهناه الله بهذا الشكر الغريب، وهذا الثناء العجيب، وذلك انى شكرت الملوك على انهم اغنونى، واشكره على انه لم يفقرنى، وامدحهم لانهم احيونى، وامدحه على انه لم يقتلنى، واعتد لغيره، ان بذل لى كل خيره، واعتد له بان كف عنى بعض شره، والشكر على قدر الاحسان، والسلع بازاء الاثمان، والسلام

وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة، ومساقط النكبة، فانا قل

من فلول هذا الزمان، لا بل فل من فلول هذا السلطان، والحمد لله على سلامة
الروح والمهجة، وان كانت سلامة ضعيف المنة، رقيقة الكسوة، ثقيلة
الحركة، قليلة البركة، ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة، واسرع من
لحظة، ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول، وكلفة من كلف
النقل والفصل، على انى والله مشتاق اليه، شوقه الى ابتناء العلاء، ومشته
للقائه شهوته لبذل الندى اذكره وان كنت لا انساه، والقاه بقلبي وان كنت
لا القاه، واسأل الله تعالى ان يريناه سلامة سليمة، واستقامة احوال مستقيمة
فلا شيء احوج من السلامة الى السلامة، ولا الى الاستقامة من الاستقامة، وان
يجعل اقسام صنعه لديه، واحسانه اليه متناصرة مترادفة، ومتلاحقة متوالدة
قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوي سهامها، ونشرت طي
اعلامها، وتسلحت علي بالسعاية وهي سلاحها الذي به تقاتل، ويدها التي
بها تطاول، والسعاية سلاح من لا سلاح له، والنميمة كيد من لا كيد عنده
وشر من الساعي من انصت له، وشر من متاع السوء من قبله فلما رأيت بيني و
بين الموت حجابا رقيقا، وحجازا دقيقا، ورايت نفسي وقد اكتنفها اربعة اشياء
ما منها شيء الا وهو يقرب عليها مسافة الممات، ويقطع عنها علائق الحيات،
خصم فاجر، وسلطان جائر، وبخت عاثر، وزمان غادر، آثرت الغربة على وطن
معه اذى، واخترت الظمأ على شراب فيه قذى، وفارقت دار الهوان والحمية
تتبعني وعزة النفس تشيعني ولي من الصيانة رفيق وزميل، ومعي من العزم
هاد ودليل، وليست تبعد على العزم مسافة، ولا تصعب مع الارادة شقة
ولا مشقة، وما علمت انى اعيش حتى اصادر على اللسان، واسلف الشكر
قبل الاحسان، وقد كنت رايت حاكما يحجر على يتيم او معتوه في وفره، ولم ار
اميرا يحجر على كاتب في كتابته او على شاعر في شعره، وانما الشكر ايد الله
السيد فرس جامح، ان منع عن سننه قطع ارسانه، واستلب عنانه
فشقي به سائسه، وهلك معه فارسه، والشعر ينقلب مع الجود حيث كان و
يتادى المعروف والاحسان، وانما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، اذا سد عليه

طريقة خرق في الارض خرقاً، وجعل لنفسه طريقاً بل طرقاً، وما اشبه من اكره الالسن على مدحته، الا من اكره القلوب على محبته، يحب لمديح ابو خالد و يضجر من صلة المادح، كبكر تحب لذيذ النكاح، وتفرق من صولة الناكح،

وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت، وقدمت من رأيي ما اخرت، لما امضى الفراق فينا حكمه، ولا انفذ فينا سهمه، ولاقمنا جميعاً او رحلنا معاً واني لاظلم الفراق اذ شكوته، واتعسف الدهر اذ هجوته، وبيدي ضرباني ومن سهمي رمياني، فانا كالقاطع يده بيده، والفاجع نفسه بنفسه، ومطرق الفراق الى قلبه طوى المنازع عن حبيبي دائماً، واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقمت ولو على جمر الغضا، قلبت او حد الحسام الصارم، ما تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها، وغبنني بل دلس علي فيها، وكانت ادق من حاشية البرد، و احسن من طلوع السعد، واحلى من انجاز الوعد، واعذب من لقند بل من النقد واعبق من الورد، وما اردت الاورد الخد بل من المسك والند واطيب من القرب بعد البعد، ومن الوصل في اثر الصد بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر، و من قضاء الوطر على الخطر، بل كانت اقصر من ليل السكارى او نهار الحيارى، الا اكلت الوجع، وشربت الجزع، وانثنيت على كبدي خشية ان تتقطع، ولو انني اعطيت من دهر المنى وما كل من اعطى المنى بمسدد، لقلت لايام مضين الا ارجعي، وقلت لايام اتين الا ابعدي، البستان قد وعدتني يا سيدي اقامة وظيفته بالشجر، وبالنور والزهر، وانت يا سيدي بالانجاز قمين، ووفاؤك به ضمين، وذلك المكان مرتع ناظري، ومتنفس خواطري، ومجال بصري، ومراد فكري ونقلي اذا شربت، ومحدثي اذا خلوت، وتسليتي اذا اغتممت، وندامتي اذا اتهمت وماظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب علي فيها طاس بل كاس، وشرب عليها انسان بل اناس، وقام في حافتها وجه صبيح، وتقلب في اطرافها قد مليح وكاني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا اني اصف بستان الزاهر

اودار ابن طاهر، او اذكر الجفرية، او البركة المتوكلية، او اعنى صعد خراسان
اوشعب بوان، او انعت نهر الابلة، او متنزه الغوطة، او شعب نطاكية، ولا يعلون
الى نما اذكر بقيعة طولها باع، وعرضها ذراع، اعنى باع البقة، وذراع الذرة
واقل من لا، واصغر من الجزء الذى لا يتجزأ، لو طارت عليه ذبابة لغطته، او
دخلته نملة لسدته، تسقى بالمسقط صباحا، وتكنس بالظلال مساء، اشجاره
مائة الا تسعة وتسعين، وانماره خمسون الا تسعة واربعين، وانى شاعر اذا
احسن من لسانه بسطه، ووجد فى خاطره فضله، واصاب من القول جريانا، و
وجد ميدانا، وقال ما وجد بيانا، وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم، و
الكذب مذموم الا فيهم، اذا ذموا ثلبوا، واذا مدحوا سلبوا، واذا رضوا رفعوا
الوضيع، واذا غضبوا وضعوا الرفيع، واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد
ولم يمتد اليهم بالعقوبة يد، غنيهم لا يصادر، وفقيرهم لا يحتقر، وشيخهم يوقر،
وحديثهم لا يستصغر، وسهامهم تنفذ فى الاغراض، اذا نبت السهام عن
الاغراض، وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب، وشهاداتهم مقبولة وان
لم ينطق بها سجل، ولم يشهد بها عدل، وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع
دينار، ولو بلغت الف قنطار، ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم، و
ان صارموا الصديق لم يستوحش منهم، بل ما ظنك بقوم هم صيارفة
اخلاق الرجال، وسماسرة النقص والكمال، بل ما ظنك بقوم هم امراء
الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله، ويقصرون ممدوده ولم لا اقول
ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون، وفى كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون،

وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط

بلغنى انك ناظرت، فلما توجهت عليك الحجة كابرت، ولما وضع نير الحق على
عنقك ضجرت وتضاجرت، وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه
واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه، كانك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق
بالعجز، وان وجه الظلم مبرقع بالقبح، وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة

وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة، فقد طرقت الى عيبك لعائبك، ونصرت عدوك
على صاحبك، وقد عجبت من حسن ظنك بك، وانت انسان والله المستعان

وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان

وعد الشيخ يكتب على الجلمة اذ اكتب وعد غيره على الجمة ولكن صاحب الحاجة
سيئ النظر بالايام، مريض الثقة بالانام، لكثرة من يلقاه من اللئام و
قلة من يسمع من الكرام، وفلان نفض عنك غرائر شكره، واستعان بى على
تحمل ما اثقله من اعباء بره، فاعلمته انى اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا، و
اضيق منه بما لزمنى اداؤه صدرا، وانشدته شعرا

اعنين هلا انكلفت بها	كنت استغنت بضارع العقل
اقبلت ترجوا العون من قبلى	والمستعان به لفى شغل

ثم انى تندمت فى ان رد اخوانى فى ما عون طلبوه من لسانى فاصحبته هذه الاحرف
والشيخ يلحظه بالزيادة حلاوة الشكر، ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما
افاض فيه من جميل النشر، فلله عرفنا لشاكرين الصنعة، ونفق بينهم هذه السلعة

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها، بل حالى وحال
الاحرار فيها، واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله
وقد كنت آوى من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب
وباع واسع، ونائل شائع، ووجه اذا نظرت اليه قرأت نسخة الكرم فى
وجنتيه، تلمع آثار الكرم بنور اساريره، وتعرف بشرى النجاح فى تباشيره
وفم يبشرنى بابتسامه، قبل ان يبشرنى بكلامه، ويحيينى بالنجح باشارته
قبل ان يترجم بعبارته، واذا رايته رايت بخت قد اقبل الى فى معرض
الكمال، وطالعت سعدك وقد طلع على بنيل الآمال، عن يمينى الجمال
وعن يسارى الكمال، فاغدو الى بابه يقدمنى الامل والرجاء، واروح عنه

فليرز

فيشيعني الشكر والدعاء، واحمل حوائجي منه على جبل الجود الذي لا تحركه
المطالب ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب بل على بحره الذي لا ينزفه الاستقاء
ولا تكدره الدلاء، ولا يرى قعره، ولا يدرك غوره، وانما يصبو على حوائج الناس
ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس من لدن فطام السخاء، وغذي في
حجور الكرماء، وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء، ومرن
على البذل والعطاء والثقل ليس مضاعف المطية، الا اذا ما كان، وهما بازلاء،
حتى اذا كادت غصون آمالي تزف بعد ما يبست، ووجوه مطالبي تضحك بعد
ما عبست، رمتني الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائي الحامل، وجف ضرع املي
الحافل، وسكت لساني القائل، وفترت فتور التاجر بار متاعه، وعاب مبتاعه
وخجلت خجل البنت زهد فيه اختانه، وضحك منه جيرانه، وردت عليه
بكرة، وسيق اليه مهره، وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لما غاب من كان يجمع
شملة، ويكرم اهله، ويعرف فضلهم وفضله، ولو انصفت الادب بعد الشيخ
لرثيته مرثية الاموات، ولاقمت عليه ماتم الممات، ومحوت اسمه من جريدة الحيات
هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطربه بجرهه، ولا اتناوله بطرف ذريعة
او وسيلة وكأني به وقد حسدني في جملة العامة، وادخلني في غمار سائر الرعية
ووقفني على جسر قدامه الخسران، وخلفه الهوان، وفجعني بدريهمات جمعت
بتقحم المهالك، واختراق المسالك والممالك، ودنانير قطعت القفار، وخاضت
البحار، وناطحت الحوادث والاقدار، فان بذلتها ابرزت وفرا طال ما كان مخزونا
وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا، على انني احمل الجمال على التجمل واوثر
البذل على التبذل وانشد شعرا، جنانيك بعض الشر اهون من بعض
وما اليس دواء هذا الداء لو طاوعتني نفسي العاصية، وتابعتني رجلي الابية
فدخلت الديوان، وصانعت الزمان، وفتحت جراب النفاق والرياء، واغلقت
باب الحفاظ والوفاء، ولكن النظر الى عين الشمس ايسر علي واهون على عيني
من ان انظر الى هذا الصدر، وقد جلس فيه غير ذلك البدر، واني لاغار
على الكرم، كما يغار على الحرم، وابخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب واستحيي

لعيني ان افتحها على الصغير، وجلس مجلس الكبير، لا ابتلاني الله بمجالس الغيرة، ولا اقامني في مقامات الغم والحيرة، فانه ان ابتلاني بذلك وجدني ضيق ساحة الصدر، قريب غور الصبر، كثير المبارات، قليل المدارات، هذه اطال الله بقاء الشيخ حالي فهل لي عنده فرج ارتجيه، او نظر اتجمع فيه، وهل يحرك لفظة من الفاظه، او لحظة من الحاظه، يرد بها على وجهي ماء نضب من مائه، وعلى عرضي ما ذهب من بهائه، ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا الخراج صغيرة ولكني لا استصغر منه يسيرا، كما لا استعظم منه كبيرا، واعلم ان الحر يسع الصديق بفطنته، والخليل بهمته، و ان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسعى في السم الوحي الى ان يصل الى الترياق البطي اعوذ بالله من ان يكون دائي نقدا، ودوائي وعدا،

وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له

كتابي عن سلامة، وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا، ولحدا ملحودا واخا مفقودا، وحوضا من المنية مورودا، ويعلم ان ايامه مكتوبة، وانفاسه محسوبة، وان شباك المنايا له منصوبة، اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها، و اخيب راجيها، واغدر ايامها ولياليها، وانغص لذاتها وملاهيها، تفرق بين الاحباء والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالرفات، ورد علي خبر وفاة فلان، فدارت بي الارض حيرة، واظلمت في عيني الدنيا حسرة، وملك الوله والوهل قلبي في ساوس فكره، وتذكرت ما كان يجمعني واياه من سكر الشباب والشراب فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها، ورمي بعهم سوف ارمى بها، فبكيت عليه بكاء لي نصفه، وحزنت عليه حزنا لنفسي شطره، وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول، واعظم مأمول ان يفيض عليه من رحمته، ما يتمم به سهمه من نعمته وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته، ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنه وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة وتلك المروة الواسعة العظيمة، فان الله تعالى يحب السخاء في الملحد،

فكيف في الموحدة وان سخاء النفس ونصاب الذائدة ختوص سلالة حسب تميم وشعبة من شعب النبيين، ثم تذكرت وانزل بسيدي من الوحشة لفقده، والغلة من بعده، والتحسر على قربه ببعده، فخلص الى قلبي وجع ثان انساني الماضي وثالث انساني الثاني، حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل ما في صدري وحتى صار الوجع وجعين، والمصاب اثنين، ثم رجعت الى رب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون، اللهم لا شكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك، ولا كفران لنعمتك، ولا مناصبة لقدرتك، اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مماته، وابق الحي بقاء يهنيه حياته، واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع، ولا يضع عنانه بيد الهلع، ولا يثلم جانب الاجر والذخر، بالاثم والوزر، ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه، ولا سلطانا عليه، اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار لاجريا على من هبي في الاقتصار والاختصار، ولكني لم اجد من لساني بسطه، ولا في قريحتي فضله، ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصورا، والبيان مقصورا، او ان تحدث في العقل خللا، وفي البنان شللا، وليعرفني سيدي خبرما هداه الله اليه من جميل العزا الذي لم يعدم جميل الجزا ليكون سكوني الى ما اعرفه من سلوته، اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقته وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم، ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم، ولا يحل عقدة صبره، ولا تتداعى اركان صدره، ولا يعمى الرشد في جميع امره، وهذه شريطة الكمال، وسجية الرجال

وكتب الى ابي الحسن الطرحوي بداء طوس

فلا ترتفع عنا الشغل وليته، كما لم يصغر عندنا شانك العزل ليت شعري ما الذي رآه في الكبر حتى اعتقد ملته، واستقبل قبلته، وفي العجب حتى تبوأ ساحته، واستوطن راحته، وفي الجفا حتى علق اسبابه، ولبس جلبابه، وما الذي ارتكبته من بين اخوانه، حتى افردهم عنى وكانهم دوني حتى كأني قطعته

ووصلوه، ونسيته وذكروه، وجفوته وبروه، كانه عرض جديد ثم نوجد اسمي ملحقا بحواشيها، ومثبتا في اخريات اساميها، فهلا اذا لم يوهلني لمرتبة الخاصة، جعلني اسوة بالعامة، وهلا اذا لم استحق منه فضلا، رزقت منه عدلا، وهلا تصدق على بكتابه الي، فلزمني على المساكين صدقة، وللفتح هدية، فكنت اجعل يوم وصول كتابه الي عيدا، ونيروزا جديدا، واتصدق بمالي فيه طريفا وتليدا، واطوف بكتابه في اخوانه واخواني، واباهيهم به مباهاة الاخباخيه، الذي مساعيه مساعيه، ومساويه مساويه، وكلشيئ من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت ايدالله سيدي عن هذا الذنب الفظيع والجرم الشنيع فهل لسيدي ان يستأنف ما احاله آخرا، ويا خذ بنا في طريقه غير الاول فان الاستقالة تاتي على العثرات، وان الحسنات يذهبن السيئات، وان قليل الاستغفار، ينسي قليل الخطأ والاوزار، خرج الى ناحية سيدي فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف، لا من جواهر الصدف، وياقوتة من يواقيت الافكار لا من يواقيت الاحجار، واذا نظرت اليه من مرآة الحيرة، وقلبه بيد العشيرة، استدل به على حسن انتقادي، وصائب رتيادي، وعلم اني لا اختار غير الخيار ولا اجني غير خير الثمار، ولا اصادف غير الاحرار، فلينطق سيدي لسانه بشكره وليكفه الدقيق والجليل من امره، وليهشن على عقبي لا بل مقدمتي الى الطائفه وبره عرض سيدي هذا يا تلك الناحية، وكيف اطمع في هدية من يبخل برد السلام ويحاسب صدقائه على الرسالة والكلام، وكيف يسمح بالجوهر الحاصل من يبخل بالعرض الحائل، وكيف يتوسع في النافلة من تضايق بالفريضة انصفنا الله تعالى من اصدقائنا، فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا،

وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير

وكل ولاية لابد يومًا	مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انظر مصداق هذا البيت من سيدي حتى حقق الله تعالى ظني ولو اكذبه كان احب الي واوقع لدي، فسبحان من جعل حصتي من وفاء الاخوان

منحوسة، وتجاربي فيما اعاملهم به رديئة ملونني منكوسة، فان كان سيدي عم بهذا الجفا اخوان فخلطني بهم، وجعلني واحدا منهم لقد اخلف ثقتي بانفرادي عن صحبه، وخلف ظني بناحيتي عن قلبه، و كنت احسب انه يخصني من بينهم بفضل المقة، كما خصصته من بينهم بفضل الثقة، وانكان في صلهم وقطعني دونهم لقد عكس علم لرجاء وغرس الجفا في منبت الوفاء واساء الترتيب بين الاصدقاء، وما ادري له في احد الفعلين عذرا وانكان احدهما اثقل وزرا، واسوأ اثرا، واقبح ذكرا، وقد كنت طويت بيد الياس بساط العتاب، واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب ثم استظهرت بهذه الاحرف وستردعلى سيدي اذن من العتاب صماء، و عين من الوفاء عمياء، ونفس تبغض الوفاء، كما يبغض الناس الاعداء، و تعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء، وتشتهيه كما يشتهي الظمآن الماء، وانتظاري الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الاماني واغلوطة من اغاليط زماني ومناقضة لحكم القياس وارجاف من اراجيف الوسواس ولكنها سخرت من سخر الفراغ تكلفتها، وحاجة في نفسي قضيتها

وكتب الى رئيس بهراة يعزيه بابن اخته و بنته

كتابي ايد الله الشيخ الرئيس وانا سليم المهجة، سقيم القلب والمنة و النية، صحيح العرض والجسد، عليل الخاطر والجلد للمصيبة في فلان رحمه الله فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر قبل ان يستعد لها بعد الصبر وجاءت مجيء البغية، ووثبت وثبة المسارقة، وغلبت الايام على ذلك الحر اطرأ ما كان غصنا، واتم ما كان حسنا، وابعد ما كان املا، و اظهر ما كان جزلا، حتى كأن المنون اخذته خلسة، وانتهزت فيه فرصة وفقد الشباب الطري كثر جزعا، وكسر العود الرطب شد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا	لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه، ويعتب من عاتبه، لاستدركت هذه

الفعلة عليه ولفوقت سهام اللوم اليه لكنه اصم عن الكلام صبور على وقع سهام الملام، يختصر العيدان ويمتصر الاغصان ويخترم الشبان، و يبكى الانام والابدان، ويلحق من يكون بمن كان والشيخ جدير بان يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى وجميل التعزى لا تخرقها يد التذكر ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر، ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر، و ان يلقى هذا الخطب الكبير والغم الكثير بصبر منهما اكبر وتجلد هو منهما اكثر، فان الكبير فى قلب الكبير صغير، وان العظيم على العظيم صبور،

او الثقل ليس مضاعفا لمطية ... الا اذا ما كان وهما بازلا

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة، وثقل الكربة، وان كان لا غربة على عاقل ولا وحدة لفاضل، فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء، ولم يوجد لصاحبه شفاء، وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير، وابقى له الكثير، وسلبه الصغير، ومنحه الكبير، سلبه اخا كان يعتضد باخوته، ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته، وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد وغاية الايد والمدد، وزينة العدد والعدد، وجمال الدهر والابد فسبحان من اذا سلبنا من هو ملك به منا اجرنا، واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا، واذا امتحن كانت محنته خيرة، واذا منح كانت منحته نعمة كبيرة، ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول والكنف المأهول والطعام المبذول صاحب المرعى الخصيب والقلب الرحيب والوجه الطلق والجناب الغدق الشاب سنا وجلادة والشيخ حلما وسدادا، الذى كان زينا اذا دنا، وذخرا اذا تأى، وعدة للآخرة والاولى، والذى كان يهين ماله ليكرم نزاله، ويبذل ديناره وداره، ليصون زواره ويضحك فى وجه النازل عليه عند نظره اليه، كان الموت ينتقد الافاضل ويبهرج الاراذل، وكان الآخرة تختار الاخيار، وتترك على الدنيا الاشرار، وكان اعمار الكرام مشاهرة، واعمار اللئام مياومة، قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فاننى ... رايت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافاً وستراً، ووفاتها ثواباً وزخراً، ولقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبة، وفى نسائه عجيبة، والعفاف فى ذكرانه معوز، وفى اناثه معجز، والعقل فى شيوخه نادرة تفقد، وفى شبانه ضالة لا توجد، فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها، و بالثواب بعد وفاتها، فاسبل الله تعالى على يد نا سترين، واستوجب منا ومنه شكرين، ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخوانه، بل لاكرم بنانه فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى وبين والدها بنتاً ومن جهة تربيتها اختاً، والمستور عزيز فى كل مكان، ومحبب الى كل انسان، وممدوح بكل لسان، فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين، و بخديجة وفاطمة فى الآخرين، وبام الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمهم الله تعالى اجمعين، ولولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب امرها، لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية، فان ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات، ونحن فى زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة فقد استكمل النعمة، واذا زف كريمته الى القبر فقد بلغ امنيته من الصهر

وقال الاول

ولم ار نعمة شملت كريما … كنعمة عورة سترت بقبر

وقال الثانى

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا … والموت اكرم نزال على الحرم

وقال الثالث

وددت بنيتى وددت انى … وضعت بنيتى فى لحد قبر

وقال الرابع

ومن غاية المجد والمكرمات … بقاء البنين وموت البنات

وقال الخامس

سميتها اذ ولدت تموت … والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد في معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين كما توجعت له من تواتر المصيبتين وارجوان تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب وقافية الخطوب ثم تجيء النعم بعدها مترادفة بل متراكمة ثم متظاهرة بل متواترة ومتناسقة بل متطابقة فان المحن اذا تناهت انتهت والرزايا اذا توالت تولت ولكل غمرة محنة معبر ولكل مورد غمة مصدر وسيجعل الله بعد عسر يسرا ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا على انها تعفو الكلوم وانما توكل بالادنى وان جل ما يمضي سأل الشيخ ان يكتب لي حصص ما وجده من برد السلوة لا شركه فيه كما شركته في حرارة اللدغة والفجعة والسلام

وكتب الى صديق له جواب كتابه

ما أخر جواب كتاب سيدي وشيخي جهلا بحقه اللازم الواجب ولا انكارا لافضاله المتراكم المتراكب ولكني تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان والبنان للجريان ويوما يحسن فيه الدهر وينشرح فيه الصدر ويقل فيه الفكر فلا والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدي فانا الآن الهف على امسي وما من وقت كرهته الا وانا احن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه

وكتب الى حاكم

ورد كتاب الحاكم بما ملأني سرورا وحبورا وصار في جاني الميت حركة وفتورا وشكرته على ما بذله شكرا لا ارضاء مهوا لاساءته لو انتهت الي فكيف لاحسان المتظاهر علي ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها ولن يكلف الله نفسا الا وسعها وما عندنا غير خلق لا يشتري بثمن ولا يعارض بايعه بغبن ولا حسن وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه واسبغ عليه منايحه اعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب عتابا ولا قرانا عن الكتاب

جوابا وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني، وعن تواضع لا يضعه ويرفعني

ولربما بخل الجواد وما به	بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالآن قد عنيت بجواب كتبه، وعرفت بين عتابه وعتبه، يكلفني ان اورد على الاستاذ خبر شكوه، وان اجعله بعض ودائعي عند احسانه وبره ومن اخبرته انني قد ركبت من التقصير في شكو الاستاذ عن خاصيتي مركبا سقطت معه شهادتي، واخفقت بعده شفاعتي، وان شكري له عن غيري، بعد ما ضيعت الواجب منه على نفسي، نافلة اقيمها بعد ما ضيعت الفريضة، وتفصيل اصلحه بعد ما افسدت الجملة، ولن تقبل النافلة او تؤدي الفريضة فلم تقابل جفني الا بالجحد وعذري الا بالرد، وما زادني على كتبه العريضة الطويلة، ومعاتباته الثقيلة، فذكرته الآن الاستاذ فان كنت اسأت فالاساءة بيني وبينه، وان كنت احسنت فالاحسان له دونه، ويا عجبا مني اعجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتين، ولا اقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتين، ولا ارضاء البر الا مداخلا، ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا، وما يستبدع منه بذل الوغيبة بعد الوغيبة، ولا مني اقتراح الغريبة بعد الغريبة، فانه ايده الله اوحد في النوال، كما اني اوحد في السؤال

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

خرج الشيخ من ههنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت، وان كان لي فقد استغفرت واستعذرت، والدهر يوزع بافساد الاحوال، وتكدير ماء الوصال، وقطع قرائن الرجاء، ثم يعود العاقل لما يفوه به الخرق، ويرتق به الفتق، فيقبل الزلة ويراجع الوصلة وينشد

اذا نزعات الحب اورثن بيننا	عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق في القوس منزعا، ولم يترك للصلح موضعا والحمد لله الذي وفقني في اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة، وغمدت سيف الشكوى والملامة، وايقنت الحال في صوانها، ولم اتعد منها حكم زمانها، فنحرت هجرهما نازل كريم المقاطعة، ووصلت وصل مراجع حميد

المراجعة، لتكون الاولى بدرة مغفورة، والثانية كفارة مشكورة، والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهر، والاعتذار سعي ما له غير القبول اجر، وقد كنت قلت عن عرض الشيخ بنا ناحية الحالب و فلك عن جانبه سيفا مرهب المضارب وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد، ويوما يثمر حياء الغد، الا من اعين بالعصمة، واطاع راعية العقل والحكمة، والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة

قد كنت ارجوان تعلق بالشيخ يا سوخراج الايام لي وينزع نصالها الواقعة بجنبي فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله، وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب … فالقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه، وكيف لا يخاف على سخطي فيه، و كيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته، وكيف يستحسن ان اسئل غيره بعد ما سألته، فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدحه سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع، وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع، وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها، فان كانت حسناء فاين حق الزوجية، وان كانت قبيحة فاين حق النية، ولا اقل من ان يرضى بالمجان، ان لم يشتر بالاثمان، وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان، و ان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الاحدوثة في البلدان، ولئن كان يعمر به بيت المال فان يخرب بيت الجمال، ولئن كان يزيد به عدد الدراهم، انه لينقص من عدة المكارم، ولئن كان يسمى في العامة جباية، انه يسمى في الخاصة خراية، ولبس اكفان الموتى وسرق ادوية المرضى وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه السلام، احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا وسومه غرامة واستخراجا، وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من قد زين افعاله بمعيار الحرية، واخذ نفسه

بشرائط الانسانية وغار على نفسه كما يغار على عرسه وضن بقدره كما يضن بوفره، وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب وحافظ على الاقدار والرتب

وكتب الى ابي الحسين علي بن داية

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضنى به وعلقي له الا انه يبخل على بان احفظه وارويه ويخشى على انتحله وادعيه فعهدي به لا يبخل على الفقراء ولا يرضى لاسمه ان يكتب في جريدة البخلاء ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب وراي غير ثاقب فقد يكاتب الكبير الصغير فلا الكبير يصغر ولا الصغير يكبر ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه ولا يبلغ غور كتابه فقد علم ان الله تعالى خاطب لعامه بوحيه كما يخاطب به الخاصة ام انه يانف لكتابه اللطيف من جوابي الكثيف فما زال الخطاء منها على مقدار الصواب وما زال توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدي واعتاضهم مني قد شغلوا يده عني فما كنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة وينسى لكل عتيق حرمة ام لان الايام اعدته فما حسبته يقبل عدواها ويتحلى بحلاها ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها ام لان سمرقند بعدت عليه والكاغذ عز لديه فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغذ اوقارا ويتصل مني اليه قطارا قطارا ام لانه يتكاسل عن مكاتبتي فانا اكتب عنه الي وارضى قلبي بيدي هذا اذا تواضع وقبلني كاتباه فاما انا فقد رضيت به صاحبا على انني متنظر منه ان تعطفه على العواطف وان تعود الى نعمه السوالف فلربما غلط الدهر المسيء الي بالاحسان وعاد على الهدم بالبنيان هذا والكتاب ملقي لا موقي تسرع اليه البلى لحاملة وتعرض له الآفات السانحة فالماء يغرقه والنار تحرقه والريح تطويه كما ان الايام تغيره والدخان يسود بياضه كما ان الحك يبيض سواده والرطوبة تضره كما ان اليبوسة

لا تنفعه، فآفاته اكثر من آفات الزجاج الذی يسرع اليه الكسر، و يبطئ عنه الجبر، وحوادثه اكبر من حوادث الغنم التی هی لكل يد غنيمة، ولكل سبع فريسة، واقل آفاته خيانة الحامل، ووقوع الشاغل، وعوائق الفتوح والقوافل، وهذا التطويل كله ارتياد لعذر واجده لسيدی، و ان رجلا اعتذر عنه الی قلبی، وابرز ذنبه فی معرض ذنبی، لاعظم فی عينی من كل عظيم، واكرم علی قلبی من كل كريم وكانه فی وفيه قيل

اذا مرضنا اتينا كم نعودكم		وتذنبون فنأتيكم فنعتذر	

وكتب الی ابی الحسن الحكمی

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية، حتی ظننت ان الدهر فطن لايامنا فی ظله، ولو تعنا فی فضله، فزاحمنا عليه، وسابقنا اليه، وسلبنا النعم به، لا سلبنا الله نعمته، فانها نعمة متجاوزة الی كل من قدح بزنده، واستظل بظل احسانه ورفده، وانما يريد الناس النوال للمال، وهو يريد المال للنوال فالنعمة عليه نعمة علی من سواه، والنعمة علی غيره نعمة لا تتعداه، علی انی عارف بان الله تعالی لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب، ولا يعدل بحاله الا الی الين الجوانب، وعلی الكريم واقية من فعله، وله حصن حصين من فضله، فاذا زلت به النعل زلة، او صال عليه الدهر صولة، اقامته يد احسانه، و انتزعته من مخالب زمانه، فليمد الشيخ عنان رجائه، وليتوقع الفرج فی صبحه ومسائه، وليعلم ان وراءه ربا لا يخذله، وسريرة صالحة لا تسلمه، و سلطانا عادلا لا يظلمه، اراه الله تعالی وارانی فی حساده ما يصيرهم نكالا بين عباده وبلاده، واراهم فيه من غائب النعم، وغرائب القسم ما يتمنون العمی قبل رؤيته، والصمم قبل روايته، واطال الغمهم وغمهم بقاءه، وجعلهم فداه ثم جعلنی فداه

وكتب الی ابی الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

وردت كتب ولدی علی يد جماعة اصدقائه، وكافة اوليائه، وطلبت

حصتي منها فلم اجد فيها، فليت شعري كيف قصدني من بينهم الزمان، وكيف خصني منه بالحرمان، وكيف صرت المستثنى، وقعدت على طريق الا، وكيف عدني ولست في الاجانب، وكنت اعد نفسي في الاقارب، وهلا اذ لم يدخلني في جملة اخوانه واصفيائه، ادخلني في جملة شيعته واوليائه، و قد اغتفرت هذه الواحدة، وساؤاخذه ان عاد اليها ثانية، فايسع عفوي لاكثر من مرة، ولا تنال اقالتي اكثر من عثرة، هذا العمل ولا ماجرى ولك في ميدانه وسابق هاله في مانه، فان طلب الغاية، وبذل الجهد والطاقة، لحق السابق وفات اللاحق، وان قصر فاته المراد، وسبقته الجياد، وهوا بن جلان سبق ابنه فلم يشكر، وان سبق لم يعذر، فليتعتب نفسه، فلا راحة مع الهمة، وليسهر عينه فلا نوم مع طالب الغاية، وليحذر فلتات اليد واللسان، وسكرات الشبان، فان سكر الشباب اشد من سكر الشراب، وليكتب في قلبه بيد عقله قول الاول، خدمة السلطان والكاسات من ايدي الملاح، ليس يلتمان فاختر رفعة او شراب راح، واني لا علم ان لولدي عرقا سيرخي عنانه، ويخلف قرانه، وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به، ولكن احزم الحزمة لا يستغني عن عظة الاخوان، كما ان اعتق الجياد لا يستغني عن ركض الفرسان، كنت كتبت كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لساني، واتعبت في تطويله قلبي وبناني، التطويل في شكر الجميل اختصار، والاطناب في قضاء الواجب تقصير واقتصار، فلان قد الف طوس حتى عشقها، وهجر نيسابور حتى طلقها، وتعدى طلاقها الى طلاق اخوانه بها، وانا احسد ولدي على ما خصه من قربه، واود لو شركته فيه كما شركته في حبه، والحسد على مثل هذا سنة متبعة، وفي غير هذا بدعة مبتدعة، وقد كنت اشكو الايام وهي تفارقني باخواني فرادى، وهي اليوم تفارقني بهم مثنى، فتكلفني ان اقيم للشوق نوبتين، واوجه قلبي اليهم من طريقتين

وكتب الى زيني خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية، ريان من كل مراد

ومنية، غير خير انقشاع هذه الضبابة، وانجلاء هذه السحابة، فانى
يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر يذيل فرحى على غمى، ويهزم بسرورى عساكر
همى، فما اسرع خبر السوء حتى كانه يخب وما ابطأ خبر السرور حتى
كانه يدب، وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل، وثلم جانب العقل، وما
اسرع الايام على الكريم فيما يضره، والى اللئيم فيما يسره، وما ابين مجانسة
الدهر لاهله، واكثر مناسبة الجاهل فى جهله، وما اشد غيظى على فلتات
الايام فى الكرام، وعلى نفحات الارزاق فى اللئام، وما اشوقنى ان استمع من
اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكى له طربا، كما ضحكت من ضده عجبا، والى
الله اشكو حالا اضحكها سخرية، ومجاز وعارية، وبكاؤها حق وحقيقة
واياه اسأل ان يفنى مدة النقص فقد طالت، ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت
ويعيد للفضل الكرة، ويزيل عنه الفتور والفترة، ويصب فى سمعى من خبر انحسام
دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى، ويطرد شيبى الذى تجلى، فحق لمن شاب
عن بابه ما يسوءه، ان يشب من سماع ما يسره، وحق لجسم هدمه الغم الامسى
ان يبنيه الفرح اليومى، وحق الدهر ان يكف فقد بالغ فى العقاب، وتناهى فى
العتاب، وحق لصروفه ان تنصرف، فقد اشفت وشفت واكتنفت وكفت، و
زادت على ما فى الامكان وادت، وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفى ۞ ان لم تكفى فخفى ۞ قد آن ان ترحمينا ۞ من طول هذا التشفى

على انى ارجو ان يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه، ويخفى
مذهبه وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها، ويستفيده منها، تمييز معارفه
من اخوانه، والوقوف على من لا يصادق الا بصدق قدر زمانه، واذا بتر المغشوش
من الدعوى بنار الاختبار والسلوى كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر عن عزمى فلم يصل	وكف من يدى الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه حببنى	منعو بها غضبا مما على ولى

ومما سرنى والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته، وان طول مدة
الذلة والقلة لم تعتصر ما احتماله وصلابته، وان الوحدة والوحشة

لم تقدحا فى لسانه وقلبه، ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه، وان لم تصغ على تلون الزمان نفسه، ولم يلن على اكفاء عداته مسه، وانهم كتبهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته، وقد عجزوا عن تغيير همته، وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا، وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما … عدوك من اشجاك حين تقاطعه

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب والعرض نقى، والقلب بالله تعالى قوى، و الفعل بحمد الله تعالى مرضى، والنفس تلك النفس الا ما انقص من مال تضعضع من حال، والجملة فتلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا، ولا البلاء اورثها ضجرا، ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول، ولا محاورة المحنة فتضاءل، والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء، واظهر عن حقيقة كيفيته فى سواء الرخاء والبلاء، والايام مرآة الرجال، والاطوار معيار النقص فيهم والكمال، والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق، وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق، ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال، وقد قيل ما يليق بهذا الحال، من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة … ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد، وظل ينحسر ثم يعود، والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه ؛ قيمة كل امرئ ما يحسنه، انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصيب فقرهم، واكبرهم ساعة تظن اصغرهم، وهو الوزير يوم يعزل، والمصون ساعة يتبذل، والكبير بنفسه، وان انفرد عن غيره، والمستانس بفضله، وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى … يضحى اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا … ية كان فى سلطان فضله

وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور

كتابى الى الشيخ وقد مضت الايام فى حكمها، وانفذت فى صبره وفى تجلده

سهمها، والحمد لله تعالى على كل شيء الا غيبتي عن الشيخ فاني اخشى ان
ازداد منها، اذا حمدت الله لها، انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية
ليس بينها وبين الموت حجاز، ولا وراءها للبلاء مجاز، حتى لقد ركبت
غير دابتي، واكلت غير نفقتي، ونزلت بيتا بكرا، واكلت خبزا بيرا، وحرمت
العيني، وشربت الزبيبي، ولبست الصوف في المصيف والبري في الخريف،
وكوتبت مواجهة، وخوطبت بالكاف مشافهة، واجلست في صف النعال
اعني اخريات الرجال، وناظرني من كان يدرس علي، وخالفني من كان
يختلف الي، وحتى لقد نشزت علي جاريتي، وحرنت علي دابتي، وتقدمني
في المسير رفيقي الذي جمعني واياه طريقي، وحتى اني اخذت الدرهم
الجيد فصار في يدي ستوقا، وقطعت الثوب للمشتري فصار على يدي
مسروقا، وغسلت ثيابي في تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وسافرت
في حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب، وفقدت كل شيء ملكته
غير عرضي الذي عهده الشيخ معي، وصبري الذي عرفه مني، ومن لم يكن
على المحنة صبورا، لم يوجد للنعمة شكورا، ومن لم يحقر سوء ما يبلى
لم يحمد حسن ما يولي، انكر الشيخ عروف نفسي عن مواقف البذلة، و
صعوبة جانبي على من جرني الى مظنة الهوان والذلة، والادب سلطان
ينسي هيبة السلطان، والطول لعشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء
والاخوان، ولا ذنب الا وله في العفو ساحة عريضة، كما انه لا ذنب الا وله
من العذر مسافة قصيرة، وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد، و
على الغضب فانه يبعد القريب، الهم الله رؤسانا عنا الرضى، واتم لنا
باحسانهم الينا الحسنى، قد علم الشيخ اني مذ كنت لم يسم خدي عذار الهوان
ولم يوضع على قبتي نير التبذل والامتحان، ولم تطرق الايام حريم عرضي
فتنهكه، ولا نالت ستر صيانتي فتهتكه، ولا ماء وجهي فتسفكه، ولقد اخترقت
البدو والحضر، ودخلت ديار ربيعة ومضر، فما رايتني بحمد الله تعالى اوخر
عن رتبة، ولا اخلف عن الغاية في موطن رغبة او رهبة، ومع ذاك

سكر الشباب، وذل الاغتراب، والقوم قد باينوني بالنسبة، وفارقوني بالتربة، وان عرضا صنته في غير مظنة الصيانة لجدير ان لا اهينه في غير موضع الاهانة، فقد يبتذل الشاب فيقول تصون اذا شبت، ويمتهن الغريب فيقول تعزز اذا ابت، فاعذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة، وخرج مرحلة الشبيبة الى الشيبة، وهل وراء الغاية منزلة، ام هل بعد الشيب الا الموت مرحلة، وورد على كتاب سيدي يدعوني، ومثلي لا يجيب داعي القول دون ان يصدقه داعي الفعل، وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق اول الفراق، ولا يحرم هذا اللقا غير تجديد فراق جديد، وتولد حزن حديث، والمرة من الفراق مرة فكيف المرتان، والسهم منه نافذ فكيف السهمان، وان كنا تغيرنا عن تلك الخلق ومشينا في غير تلك الطرق، فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال لا بالاقوال والشيخ خليق ان لا يفل سيفا شحذه، ولا يضيع علقا اتخذه، ولا يعطش زرعا سقاه، ولا يميت خاطرا احياه، ولقد رخيت عنان خطابه، ووسعت ذرع عتابه، ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يجمع عرضه، ولا ينحو عن بعضه الا اذا افسد بعضه، ويد الشيخ اطول من لساني، وامره امضى من قلبي وبناني فلينلني لين مسها وانا بعيد، كما نالتني خشونتها وانا قريب، وليعلم انه متى اراد في خيرا ارجف به الناس، وحملته الى الانفاس، وكان اول رسله الى عزمي المتذبذب، وقلبي المتقلب، وفي الارض متحول، وعلى الله المعول،

وكتب الى ابي محمد العلوي

بكتب الانام كتاب ورد	فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا	ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد اطال الله بقاه، واجزل من كل خير قسمه، ووفر منه سهمه وجعل امسه يحسد يومه، ويومه يحسده غده، فرتع الطرف منه بروضة ممطورة، وحلة منشورة، ولآلي فوائد منثورة، وجال منه الخاطر في حكم

لا تعرف ولا تجمل، وفقر لا تترك ولا تستعمل، وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند لرؤيته، ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الروية، وجعلت انافس فيه البياض الذي يحتوي عليه، واغبط به المداد الذي جري في طرفيه، واتمني لو كانت اعضائي كلها نواظر تبصره، وخواطر تتذكره، والسنة تكرره، علي شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا، واللسان لا يزول لفظا فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الي السيد محشورة، وعليه دون الانام مقصورة، وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا حتي سادهم علما وادبا، وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية، فانا الآن اعتقد انها خراسانية وعلوية، وكنت اري ان المحاسن في الناس متفرقة، وانا الآن اراها في واحد مجتمعة، وكنت احسب قول الحكمي

وليس علي الله بمستنكر	ان يجمع العالم في واحد

كلام مسهب، وملق متكسب، حتي علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه، ولا يتعذر وجدانه، وليت شعري ما اقول في هذا الكتاب وقد سد علي مسالك الصفات، وحمي علي قلبي ولساني موارد التشبيهات، فلان وقفت وقد اجريت لساني، وتوسطت ميداني ذلك علي عرقي في الكوادن، وانسلخت عما سمي بلبنه السيد بشهادته لي من المحاسن، وان جريت وقد سد علي توسعة انفاس بياني، وافترع دوني بكار الالفاظ والمعاني، ناديت علي نفسي بانه السابق وانا اللاحق، وشهدت له علي بانه المسروق وانا السارق، ولكن الحازم يختار خير الشرين، ويرجح بين المتماثلين، وانا استخير الله تعالي واعدل عن الاولي الي الاخري واقول هذا الكتاب احسن من كل حسن الا من وجه كاتبه، ومن خلق صاحبه، واغرب من كل غريب الا من السيد في زمان لا يسع فضله، ولا يقتضي مثله، واعجب من كل عجيب الا من قيامي اعزني الله مقام المجيب عن كتاب اقصي غايتي ان اذريه واوسع خطي همي ان ارثيه وانور من كل نير الا من اوقاتي بلقاء السيد فانها اوقات ايامهن قصيرة، وسرورهن طويل، وسعودهن طوالع ونحوسهن افول واجل من كل جليل الا من مقدار رؤية السيد الي بلد هو حال با وبته، عاطل

بغيبته

بغيبته، عامر به وان خلا من سواه خراب منه، وان جمع العالم الا اياه، و
تعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له، ولي به، ما اوجب صيّا ايام دهري
وقيام ليالي عمري على ان تكون الايام في طول يوم يزيد بن الطثرية
والليالي في وزن ليالي النابغة الذبياني اردت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله	وبقول النابغة وليل قاسيه بطي الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذي الرمة التميمي
ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفي اردت بقول ذي الرمة والشمس
حيرى لها في الجو تدويم، وبقول العباس بن الاحنف الحنفي

والنجم في جو السماء كانه	اعمى تحير ماله قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب
وليل المحب بلا آخر ، وصفة النهار كما قال الآخر،

ويوم كان المصطلين بحره	وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما، وكل لياليه قائما، شكر الله تعالى على
سلامته، ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة، وآجر الكوفة بل بعدد رمل
الدهناء، ونجوم السماء بل بعدد العالمين، وعدد نبات الارضين، بل بعدد قطر
كل بحر، وتربة كل بر، وسراب كل قفر، وحوادث كل دهر، وخواطر كل صدر، بل
بعدد فضائل علي بن الرضي، ومحن محمد بن العباس الطبري، فانها اكثر من الكثير
واكبر من الكبير، لم اكن وفيت النعمة على مهرها، ولا قدرتها حق قدرها، ولا
بلغت غورها، ولا اديت شكرها، ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها الا اني
لما عرفت قصوري عن قضاء الحق، ووقوفي دون ادنى مسافة الجهد والطوق
قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته، ورضي بها ثوابا من نعمته، وهي الحمد لله رب
العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين وعدني السيد عن
سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها وان يعلمه
تنغيص ايام السرور بها فان الدهر بئس المعلم لبنيه، وبئس المثال لمن يحتذي به
وعهدي بالسيد لا يرجع في هبة ولا ينظر في اعقاب صلة، ولا يندم على حسنة

اللهم الا ان اكون اصبت كرمه بعيني حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان
آفة من آفات الاحسان وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب
التغير والتنكر وسبب من اسباب التنقل والتحول وانا والله اتهم على السيد عيني
وان كنت لا اتهم قلبي وارضى لمودته نيتي وان كنت لا ارضى لها طاقتي

لي لسان كانه لي معادي ‎ ‎ ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي
حكم الله لي عليه فلو انصف ‎ ‎ قلبي عرفت قدر ودادي

قرأت الفصل المسجع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه ولقد
عمد السيد الى كل سجعة منتخبة في زاوية ملقاة في ناحية فالجمها بلجام
وقادها بزمام وغير بها في وجه سجعي الملتزق وكلامي الملفق وضربه
ضربا آلم الخاطر وان لم يجرح الظاهر وينكأ في الفهم وان لم يؤثر في
الجسم واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء واشد الشكوى ما لم
يخففه الاشتكاء ومن بلغ من البلاغة مقداره واقتدر على التصرف
اقتداره واحسن ان ينيء في معرض الاحسان وان يعطي في اثناء
الحرمان وان يمدح مدحا حقيقته هجاء ويظهر رضى باطنه استبطاء فها انا
ايد الله السيد قيد العي والفدامة وجريح الخجل والندامة اذا اشتهيت لقاءه
شوقا اليه وتلهفي عليه آثرت غيبته لحيائي منه وقصوري عنه فويلي من فراقه
اذا نأى وويلي من لقائه اذا وفى وكما قيل يا عبرى مقبلة ويا سهري مدبرة ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ‎ ‎ على ان قرب الدار خير من البعد

جعل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء وخلقه
سناء ومجلسه بهاء وقدره علاء وعقله صفاء وقلبي له نقاء وودي
له بقاء ونيتي فيه استواء وتراب تشيعي له ولاهل بيته هو فيه زكاء ونماء
واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر ونظم كل ناظم
شاعر ويقع وراء ذكر كل ذاكر وشكر كل شاكر ولا زالت ايامه تصبحه بكل
فتح وتمسيه بكل نجح وتلاقيه بسعد وتصافحه بجد وتزوره
بجد وتودعه بجد لياليها اسحار وظلماتها انوار وطوالها قصار

ان الليالى للانام مناهل	تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة	وطوالهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائى بان يخرج على مقدار همتى، وينزل على حكم قدرى
وقيمتى، ولكنى اقول جعل الله تعالى رزق سيدى فى سعة همته، وماله فى كبر
قيمته، وعيشته فى حسن شيمته، ونعمته فى كثرة نعمته، ليكون عاذى لها خلا
ومدحى له مقابلا، وذكرى له بالجميل من كل جانب معما ومخولا، ولتكون اقسام
وصفه متعالية، واجناس فضله متماثلة، ذكر السيد انه كتب جواب كتابى من الظهر
الى العصر، ولقد ستبطأته مع ما اعرفه من بعد غوره، وغزارة بحره،
ولكنى غلقت لهذا الجواب بابى، وارخيت له حجابى، وضممت الى نشر كتب دابى
وجلست من الدواوين بين آل الجراح، وآل بويه، ومن بنى الخصيب وبنى
مقلة، ونشرت من المقابر آل يزداد، وآل شداد، وحشرت من الآخرة ابن المقفع
البصرى وسهل بن هرون الفارسى وابن عبدان المصرى والحسن بن وهب الحارثى
واحمد بن يوسف المأمونى ووضعت عن يمينى عهد اردشير بن بابكان، وعن
يسارى كتاب التبيين والبيان، وبين يدى فصول بزرجمهر بن البختكان، وقبل
ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان، وزين الشيب والشبان، فما زلت
اسرق من هذا كلمة، وانظر من ذاك فقرة، واستعير من هناك نادرة وثيقة
غصب الاحياء على بيانهم، وانبش الموتى من اكفانهم، وانا فى اثناء ذلك رطب
اللسان بالدعاء، رطب العين بالبكاء، ادعو الله بالتوفيق والتسديد، و
بالعصمة والتأييد، واسأله ان يحفظنى من نفسى، فانها اعدى الاعداء، ومن
عجبى فانه ادوأ الادواء، ثم قمت فصليت ركعتين ختمت فى كل ركعة منها
ختمتين، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقلت بسم الله الرحمن الرحيم
وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله، ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل
وانفقت مالى وجر ابجملة السيد ابو الحسن اكثر الله فى ابى طالب مثله، ولا
سلبهم جماله وفضله، فان كون مثله فى ابى طالب رغم لانوف النواصب وهيهات
لقد عظمت غلطا، وسألت الله شططا، فنحن معاشر الشيعة انحس

وحظنا من الاقبال النجس من ان يفلح فى الدنيا طالبى، او يبقى فيها ناصبى، ومن حصل مثل السيد والدا، فقد حصل المجد تالدا، وحق لمن كان السيد اباه، ان يكون من الكرام اخاه، فيستويا بالانتماء اليه فى الميلاد وان اختلفا فى الولادة، فهذا بضعة من خلقه، وهذا شعبة من خلقه، و من استقى عرقه من منبع النبوة، ورضع من ثدى الرسالة، وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة، وتبجبحت اطرافه فى عوصة الشرف والسيادة وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة، وتناول المعالى بيد طويلة، وجرى اليها عن غاية قريبة، لم تستكبر منه حسنة وان كبرت، ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت، فامتع الله هذا السيد بهذا الولد الذى لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا، ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة، لعلمناها من طريق القياس والفكرة فان لسان الشبه ناطق، وشاهد النجابة عدل صادق وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان، وقد تسبق الشيوخ فتتخلف عن مضمارهم الشبان، ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا، كما زان اباه طاهر، فكم من انا سرّهم اولك وليس لاولهم آخر، طولت على السيد بكلام اسفيد باجى قليل العظم، منحل النظم، داعية الى التكرار والاختصار، يمشى فى طريق الاقتدار فان راى السيد ان يعير هذا الهذيان اذنا واسعة، ونفسا صابرة، و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة، وان عرفته الخاصة فعل

وكتب الى تلميذ له قصيدة يسئله نسخة قصيدة مما احدثه

وصلت القصيدة الغراء الزهراء، فكانت ارق من الماء، بل من الهواء، والذ من الصهباء، واسر من اللقاء بين الاحباء، ومن هجوم السراء، غب الضراء واعذب من مغازلة النساء، ومن مجالسة الندماء، ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء، ومن استماع فوائد الحكماء، وخطب البلغاء وقلائد الشعراء، ومن اخذ جوائز الامراء وتحصيل مراتب الخلفاء، فكانت معانيها ابدع من الوفاء، واعز من السخاء، واغرب من النصفة فى الاصدقاء

ومن الامانة في الشوكاء، بل اغرب من المغرب العنقاء، والفاظها احسن من البدر
في الظلماء، واطيب من وصال الحسناء، ومن افتراع العذراء، ومن الشماتة
في الاعداء، بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى
عنهما، كنت احسن من السماء، واعذب من الماء، لا بل كانت اهنأ من الشفاء
بعد الداء، ومن الرضا عقيب البلاء، ومن النعماء في اثر البأساء، ومن استجابة
الدعاء، وتحقيق الرجاء، وفتحتها عن الوشي الوشاء، وعن الروضة الغناء،
لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء، وعن الغرة الغراء، وعن الدرة العذراء، و
رايتك نطقت بها وعن يمينك التأييد وعن يسارك التسديد ومن ورائك
الجد السعيد وانما صنعتها صنع من طب لمن حب فاني اشهد انك اطب من كل طبيب
واني اليك احب من كل حبيب واذا صدر الكلام عن صفاء ود، ونقاء عهد، وخرج
من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية، وهمة كالية، وصحبه
من التسديد عين راعية، وقوى مراعية، ولم يكن للخطأ طريق اليه، ولا
للخطل مجاز عليه، وانما بن القول يحسنه القائل على مقدار حصة من يهديه
اليه، ورغبته فيه، وموضعه منه، وانت ايدك الله تتحفني بما لا استأهل الا
على قدر حصتي من قلبك، وموضعي من حبك، ولو عاملتني على طريق المجازاة
لا على طريق المحاباة، لخرج لك على غلط كثير، وحاصل كبير، وقد حملت اليك نسخة
كلمة قلتها، فرضيت بها عن شيطاني، وصالحت لها قلبي ولساني، ولعمري
لقد كلتها من جواب الدق، ووزنتها من كيس اللب وعبأتها من رزمة الخاصة
ونسجتها على منوال النصيحة، وقلبت لها جريدة التصفح والتخير، و
نشرت فيها صحيفة التدبر، ونطفت طرفها من اللفظ المستبرد ومن المعنى
المردد، وصقلتها بمد وسل لنظر، وجلوتها باكف الفكر، ووكلت بها من التمييز
جفنا ساهرا، وللمحاباة صابرا، حتى دارت في كوكب النظافة، وخرجت في معرض
الظرف واللطافة، وحتى بدت عروسا تفتن الناظر، وتغطي المناظر، وحتى
حذيت حذاء الحضرمية ارهفت، واجاد ها التحسين والتلسين

ولكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

اماقصور اجوبة كتبى فانى لا اعاتب الحاجب عليها، ولا اوجه الشكاية عنه اليها، فانا ولا كفران لله تعالى فى زمان يجب ان يجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجية، ونضعه موضع السنة بل الفريضة، ونقيمه مقام الجبلة والشيمة فننظر الى حفظ العهد بعين الشامة والطرفة، وننزله منزلة الغريبة والنادرة، ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة، على انى مذ كنت استثنى الحاجب من غيره واميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره، واعتقد انى قد ضمت يدى منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل، ولا عليها للحوادث والغير مدخل، فان صدق ظنى فقد غرست فى ارض كريمة، وبنيت مسألتى على علة صحيحة غير سقيمة وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام، وغلطة من غلطات الاوهام، وعين عاينة من عيون المجد، وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد، وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد فيه الاضلع، وذكر تفيد له الادمع، ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة بحجبته، والليالى المظلمة المقمرة بطلعته، ولا اتفكر فى صغر حجم المقام، وتقارب خطو تلك الايام، الا انشدت

لما استتم عناقه للقائه	حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان فى قصة الشعراء، وفى شريطة الوصافين والبلغاء، ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر، كما ان غيره كبير وان لم يكبر، فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين، وقليلة من جهتين، اما الاولى فقصر الامد وقلة العدد، واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر، ونقاؤه من وضر الحوادث والغير، فسبحان من جعل محنتى زائدة على محن الناس، وفاضلة عن معاسير العادة والقياس، حتى ان نقصان اوقاتى المسعودة، وايامى المحمودة، حصل مثنى مثنى، ورجحانها يحصل فرادى فرادى، كما ان نحوسى لا يعجب ان يجيئنى الا غريبة عجيبة، ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود جنيبة، وصلت الرسالة والقصيدة، وكانت الاولى ماء زلالا، والاخرى سحرا حلالا، وما منهما الا قريب شاسع، ومطمع مانع، كالشمس تقرب سناء، وتبعد سناء، وتنال ضياء، وتبعد علاء، وكالماء يحضر موجودا

ويغلو مفقودا، ورايت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة الزمان حتى لقد قامت الحيرة منهما في وجه علمي وحتى لقد توقفت بين فهمي ووهمي، والآداب كلها زين وهي اذا تكافات ازين والمعارف كلها حسنة وهي اذا تقابلت اجمل واحسن والكتابة آلة عجيبة، وهي من الشاعر اعجب كما ان الشعر صناعة غريبة، وهو من الكاتب اغرب واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ما قبله، واستثنيت لي التفضيل ما بعده لعلمي انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف به الا على الغاية، وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة، وابتدأ في وظيفة من الجمال لن تختم له الا باقصى غاية الكمال وانا اسأل الله تعالى ان يجعله في هذه الصناعة نجما يهتدى باثره، ودليلا يورد بورده، ويصدر بصدره، وان يقيم لكلامه علما يومئ اليه البعيد ويستدل به القريب انه قريب مجيب والحمد لله الذي جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ويسمو فيها الى الشرف الاعلى ولم يجعل فيه موضعا للولا ولا مجالا لالا، فان الاستثناء اذا عرض في الكلام نضب ماؤه، وكدر نقاؤه وصفاؤه، ونطق فيه حساده واعداؤه، ولذلك قالوا ما املح الظبي لولا خنس انفه وما احسن البدر لولا كلف لونه، وما اطيب الخمر لولا الخمار، وما اشرف الجود لولا الاقتار، وما احمد مغبة الصبر لولا افناء العمر، وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت

ما علم الناس ان الجود مكسبة	للمجد لكنه ياتي على النشب

وكتب الى محمد بن حمزه رئيس خوارزم

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور اضعاف ما كان فيه من السطور بل اعداد ما كان فيه من الحروف بل اضعاف ذلك بالالف بل الوف وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرون وينسخون كتبي اليه فانما حملهم على ذلك عجبه بي وصار سببا لعجبه بكتبي، وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها، وحاملا لهم على انتساخهم لها، وهم في ذلك

رجلان؛ اما احدهما فانه يتبرك باتباع رايته والسير تحت لوائه، واما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته، ويتشرف بين الناس بمناسبته، والا فهذه الكتب ايبس متونا، واقل عيونا، من ان يفخر بها مملي او يرغب فيها مستملي، او تشغل بها الاقلام والدفاتر، او يوقف عليها ناظر او خاطر، او يحرص عليها كاتب وشاعر، ومما يحملني على التجوز فيها، ويهاني عن الاحتشاد والتكلف لها، اني اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة سترو غفر، وعذر واعذر، وان رأى حسنة نشر واظهر، وقرر وكرر، وفكر وصور، وجعل الخمسة عشرة، والعشرة خمسة عشر، وسيرد كتابي بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول، ضافي الذيول، وافي القسم من العرض والطول فقد وافو مني هذه الكرة ساعد فصاد اوهن الالة، و اورث الكلالة والملالة وعاجلني الفيج ملازما بالباب مطالبا بالجواب مجاوزا باب المسئلة الى باب العتاب، فكتبت وسرح البديهة عازب وماء القريحة ناضب

وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور

ليت شعري ما صنع بعدي العهد بقلب سيدي هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود، وتوثيق اطناب العقد، ام هب عليه رياح التنقل والتحول، ومد اليه يد التغير والتبدل، فان ذلك صنع الايام بالقلوب في تقلبها يمينا وشمالا، وتلونها حالا فحالا، بل ليت شعري هل نسي سيدي من لا ينساه، وسلى عمن لا يسلاه، واستبدل بمن لا يريد الا اياه، ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه، وهو صديقنا ابو بكر الخوارزمي الطبري اعزه الله تعالى ام هو على رغم ظني به وكذب في همي عليه، ثابت ركن الصفاء، صافي شرب الاخاء حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء، فقد علم الله انه تقاسم قلبي هذان الظنان، وتنازعني في علمي به هذان الطريقان، فان ملت الى اولهما وهو اغلبهما علي واقربهما الي ذهبت في القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا، ووقف بي سوء الظن بالزمان واهله موقفا قريبا بعيدا، وان ملت الى الثاني فسيدي

ابده

ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره، وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذ انسبه الى مجانسة الدهر ويرد له القياس انا اقضى عليه بمعاونة التلون والغدر، وانا الآن فى هذه الجملة واقفى وعهده بى لا اتواضع لمذهب الواقفية، ومرجى وما كانت تطمع فى مثلى شباك المرجية فكيف عاتب سيدى بل كيف عاقبه بل كيف اخاصمه واواثبه بل كيف اطاعنه واضاربه واقام احتجته على غيبته انى كنت معتزليا، فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبى فعدت به واقفيا، هذه اصغر جنايا فراقه على و اقل صنيع وداعه الى ثم انى بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره، اما طول ليلى فلتذكر وطول غيبته، واما قصره فلقطعى له بتمنى اوبته، واما قلة انسى فلبعده عنى الآن واما كثرته فلتمثلى قربه الآن ولتصورى طلعته فى قلبى وعينى ونظرى اليه عن مرآة من هاجسى وظنى على اننى ارجو ان خطوا ايام الفراق قد قصر، وان حجمها قد صغر، وان سيدى وارد قبل ان يبرنى بالجواب عن هذا الكتاب ولعمرى لئن ورد على قبل ان يكتب بالجواب الى لقد بر الكاتب وان عق الكتاب فيكون قد بر بالكبير الكبير، وعق فى الصغير الصغير، ولان يونس عينى بلحظه احب الى من ان يؤنس سمعى بلفظه، وان كان كلامه فى نفسى ماء زلالا، وفى اذنى سحرا حلالا، وكلام الحبيب حبيب، وكل شيئ من القرب قريب قال جرير

ان البلية من يمل كلامه		فانقع فؤادك من حديث الوامق	

وقال غيره

واذا كرهت فتى كرهت كلامه		واذا سمعت غناءه لم تطرب	

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املاه بالكلام الغث، وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث، ورأيت رثاء بلاغتى اقصر، وقيمة الفاظى التى فيها اقل واحقر، من ان اعرضها لنظره، وامرها على سمعه وبصره، و اتعرض بها للخطة اسلم طرقها طريق العذر، وآمن مسالكها مسالك التغافل والستر، ومن فطن لعيبه فقد استتر، ومن عرف ذنبه فقد اعتذر، ومن

مديداً قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف و
قعد على قارعة التقريع والتعنيف وسيكي يعتذر عني اليه، ويقرأ سلامي عليه
ويعرفه عني اني اعد نيسابور رستاقاً اذا غاب عنها واعدّ الرساتيق قصبة
اذا اقام فيها، واني لا آنس بشيء اذا غبت عنه، كما لا استوحش من شيء اذا
قربت منه، والله تعالى أسأل ان يرد على نيسابور بهاها، ويعيد اليها بطلعته
سناها وضياها، ويجلي بشمسه ظلماها، وان يجعل نعمته عليه الوفا لا
عزوفاً، فان النعمة اذا الفت قرت، واذا غرفت فرت، لانها لا تألف الا مكاناً
تتزين بنزوله، ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله، ولا يطول مكثها الا
في بيت للشرف فيه مجال، وللمادح فيه مقال، وللادب فيه مرح، ولعصا
الامل فيه مطرح، فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال، و
نسيت حديث الزوال والانتقال، وخالطت خلطة الشركاء، وواصلت وصلة
الاقرباء، وصارت من الاجداد الى الآباء، ومن الآباء الى الابناء، واذا كان
نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء، وانقبضت
انقباض الاجانب البعداء، او تقلبت الى الارتحال، واقامت بين الدلال والادلال
ولم يكن مقامها الا عدد ايام، واضغاث احلام، وانما النعمة انثى اذا اصابت
كفواً نكحت، واذا صادفت غير كفو سافحت، فهي تقيم مع اكفائها الشهر
والدهر، وترحل عن غير اكفائها الظهر والعصر، واين يقع مقام الخليلة
خليلها، وان ما اسسه الحق وبنته الشريعة خير مما اسسه الباطل وبنته
البدعة، والله تعالى يطيل بقاه، ويجعل من يحسده فداه

وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن ابي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارا بعد ان اراد والقبض بما عليه وبعث خلفه فلم يجده

ما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه	جر نفعا ترتجيه	خفي المحبوب منه	وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله، ولا اقف على حقيقة تاويله، وارى ظاهره، ولا

استشف باطنه، حتى خرج من خروج الحاكم اليه، ووقى الله من المكروه
في ذلك ما وقى، فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده في طرق
خفية المذاهب، دقيقة الجوانب، وان السلامة ربما نشأت في معرض الخطر، و
ان الامن ربما ظهر في قالب الخوف الحذر، وان شيئا ما مرّ ان سعيه
ما ندري وما لا ندري، وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسير، وان الاجتماع معه
يضير، ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء، ولا ان الدواء يجلب داء، ولو رأيت
في المنام اني فارقت الحاكم، لم يتفطر عليه كبدي حرقات، ولم تذهب نفسي
في اثره حسرات، لتعوذت بالله من شر منامي، وسألت العافية من طوارق احلامي
ولظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكر ردي، وبخار خلط سوداوي، واني انما دفعت
في منامي الى مثل هذا التخليط، لاكل الباذنجان القنبيط، فانهما منابع السوداء
على مذهب الاطباء، والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين،
قليل الحزن جلد على وقع سهام البين، لاني رأيت العافية وهي متعلقة بذنب
رحيله عنا، والى البلايا وهي مشتملة على قربه منا، فاخترت على مقامه
رحيله، وآثرت اغتمامي له، وقلت يا عين لان ترى فراق ما تحبين خير من
ان ترى في من تحبين ما تكرهين، فالحمد لله الذي اقصى بي من المكروه الى الخفة
والنفعاء، واقله للدعاء، وانتهى بي من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر
ولم تستوعب بعد غايات التجلد والصبر، وما نقص من الشر فهو زائد في
اقسام الخير، وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره، ومحمود وان
ذم عاجله، وما كنت احسبني اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء، و
اتكلم في مواقف الضراء، بما يتكلم به في مواقف السراء، ولقد اغرب على الدهر
وما كنت اظن يغرب علي ويزيد من بوادره على ما لدي، هذا ابد الله الحاكم وقد
بث الاعداء شباك الغدر، ونصبوا حبائل المكر، واستفرغوا في السعاية جهدهم
واخرجوا اقصى ما عندهم، فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع في البئر من حفره، وان
لا يحيق المكر السيء الا بمن مكر، وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال
خروج المشرفي من الصقال، وقد فديت عنه عين الزمان، وقصرت

جلالة قدر، وكل كمال بدر، ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء، لا الاصدقاء، فاما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة، وفضل المال يقتضي فضل النوال، والتواضع في الرياسة، احكم شبابات السياسة، فاقرأ اعزك الله تعالى سلامي عليه و عرفه اني قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار، والحفظ غير كليل الفرار، فلما سلبني الدهر ثوب الشباب، ومزق على رداء الجمال والكمال نسيتها فلما عاملني سيدي فلان بما ذكرته وذكرتها ولقد احسن الي من حيث رد روايتي علي، وان كان اساء بي من حيث ارتجع مني بره، وجانس في دهره، وفديتا من له اثناء كل مساءة منه مسرة، وفي ضمن كل جفوة منه مبرة، ومن اذا احسن كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب وريب وان اساء كانت اساءته بالاحسان مشوبة، والي غير جهتها مقلوبة، والابيات،

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ	يفيد غناء لا يدا خله كبر
والا التوى وظن انك دونه	وتلك التي جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة	صديق ولا اوفى على غمرة اليسر
وماذاك الا رغبة في وصاله	والا حذارا ان يميل به الدهر

وكتب الى ابي القاسم الداودي اول ما افتتح بمكاتبته

كتابي وعزيز علي ان يجمعني والفقيه بقعة، او تشتمل علينا جملة، والكتابة فيما بيننا دارسة الاثر، مهملة الورد والصدر، واشد علي من هذا ان افتتح ذلك بسوء الحاجة، او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة، ولقد حاسبت على هذا نفسي وعاتبت فيه قلبي، فرايت ان جفاء يؤدي الى البر، وان ذنبا ينتسب الى العذر عذر، وان حاجة حملت على طي بساط الحشمة، وعمارة طريق المكاتبة والمباسطة حاجة عظيمة البركة محمودة التفصيل والجملة فعذرت نفسي اعزني الله تعالى قبل ان تعتذر، وغفرت لها قبل ان تستغفر، ونسيت قول الاول

وما حسن ان يعذر المرء نفسه	وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي، ولم يسافر بين جنبي وقلبي، و حتى كأني لم ادرسه صغيراً، ولم ادرسه الناس كبيراً، وحتى كأني لم ار الديوان الذي هو فيه، والشعر الذي هو بعض قوافيه، والعجب لي في هذا الفصل بينما انا اعتذر، اذ صرت افتخر، وبينما انا اضع من نفسي لجنايتها اذ صرت اعد لها لحفظها وروايتها، وهكذا من سحر بدر قلبه وبنانه، و استنزله تبيينه وبيانه، بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو راجل، ورمى في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل، ثم نرجع الى حديث المكاتبة، والله لو كان من الورق اعوز من الوفاء، واغرب من السخاء، و القلم اغلى من الماء، في وسط الدهناء، واقل من المغرب العنقاء، واعوز من الكمال في النساء، ومن الصدق في الشعراء، ومن نوال الوالي في الفقراء، والحبر والمداد اضيق من الانصاف في الاصدقاء، وحسن العشرة في الندماء، بل اضيق من امانة الشركاء، بل اضيق من خاطر ابي تمام حيث قال، قد لك اتئب افرطت في الغلواء، حتى كانه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه، وبيني وبينه ثلث الخريطة ومسيرة سبع للقافلة، هذا في الظاهر فاما في الحقيقة فبيننا الفرسخ بذراع الميل، وخطوة الفيل، فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيرة، ومراحل طويلة عريضة ما زلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي

يا اهل بابل ما نفست عليكم	من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد	وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصرفين، او الرافدين، او على الرطب السابري والتين الوزيري، والعنب الرازقي، او على فرضتهم من ماء الساج والعاج، وطرازهم بنوع الخز والديباج، لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء، ومشهد الحسين سيد الشهداء، وهلا حسدهم على ان ارضهم واسطة العمارة في خط الاعتدال بين الجنوب والشمال، وهلا حسدهم على ان الرأي كوفي، والاعتزال بصري، والخط انباري، والحنا سوادي

والتشيع عراقي، وهلا حسدهم على قراء الكوفة، وعباد البصرة، وابدال الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة، ونبغ فيهم من التابعين وابدال الامة، وما الذي خالف به الي ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان، وعلى قينتين كسائر القيان، بكل مكان في كل زمان، حتى حدثت نفسي بمناقضته و حملت خاطري ولساني على معارضته، فاذا انا جالس تحت قول الطائي

نقضنا الحطيئة الف بيت	كذاك الحي يغلب الف ميت
اذا ما الحي هاجي حشو قبر	فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي وعقل طبري وخاطر اعجمي من لسانه عربي وعقله قرشي ونشوءه مكي وظرفه مخزومي فعدلت عن المعارضة الى المناقلة، فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعفري فيكم وكون ابي القاسم الداودي منكم وحصول شراب الكشمش لكم وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام معلاة السهم من بين السهام غير عاتبة على الحظوظ والايام فلا زالت البقاع ببقائه تضيء وتزهي و الايام بجماله تتباهى وتفخر، ولا زالت الفصاحة من لسانه في مسكن لا تريد منه بدلا ولا تبغي عنه حولا، ولا زال العلم يأوي منه الى ركن منيع وجناب مريع واطال الله تعالى للمحاسن بقاه، ولا سلبه زينه وبهاه، وجعل من يحسده فداه

وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك، ببشارة لو تصدقت لها بمالي وذبحت لها على وجه القربان اطفالي لكان ذلك صغيرا جللا، وما حامتبذلا، وفي ضمنها القصيدة التي كبرت بل صغرت، وقلت بل كثرت اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها وعظم امرها، واما صغرها وقلتها، فلانها في جريدة الشعر وحدها، لا مثل لها قبلها ولا بعدها وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة، وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا، ولا نقصتك الا نقصانا ونقصان النقصان اول الرجحان، كثر مدحي يدك الله تعالى لما يرد على

من نثرك وشعرك، بل درك وبحرك، حتى خشيت ان يحسب انى ازف مدحى الى كل خاطب وابدل شهادتى لكل طالب وان يظن انى قارضك الثناء و اصارفك الجزاء، ولا والله ما الى للدنيا استحسانٌ الا والى جنسه احسان، و انى لضيق ذرع التزكية والثناء، قصير خطى المدح والثناء، محاسب لقلبى اذا مال والسانى اذا قال، لا امدح الا محمدًا وحابكل لسان، ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان، ولا اقبل مدلس الفضل، ولا ابتع مغشوش القول والفعل، ولا يستفزنى رعد كل سحاب، ولا يستخفنى طنين كل ذباب، وسرعة الشهادة طريق من طرق المخفة، وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملوم والمجازفة بحساب المقال اقبح من المجازفة بحساب المال، لان الغلط فى المال سماحة وندى والغلط فى المقال حماقة وعيا، واقصى غايات فوات المال ان يكون صاحبه فقيرا، وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا، وبين الخسرانين نفس مديدٌ وبون بعيدٌ ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين، لم يعرف صرف ما بين الخسرانين، ومن لم يحس بنقص ما عليه لم يحس بفضل ماله، ومن لم يحاسب نفسه سرا، حاسبه غيره جهرا، ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين جمحا به الى غاية اولها ندامة، وآخرها ملامة، جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه فى يد هواه، واذا شهد لم يلق ربقة شهادته فى عنق سخطه ورضاه، وحشرنا فى زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين، واذا سكتوا كانوا سالمين، انه ارحم الراحمين، رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة نظمت ايدك الله تعالى احسن من نثرك ونثرك احسن من شعرك فكل واحد منهما عيا على صاحبه حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا، فالحمد لله الذى جعل بيانك منك فى الشرف متعادل الظرف والطرف، وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها وبعض مناقبك منعوتة ببعضها، ولو انصفتك لاحببتك بقلبين، ومدحتك بلسانين كما انك تحسن الى من جانبين، وتبرنى من لونين، ولكن الى غاية ينتهى المدى، و عند طاقته يقف المجتهد، فاما اعتذارك بالعلة من توقفك دون الغاية، وجريك

في بعض المكاتبة، فأحسن من المحسن استزادتك منه، وأجمل من الجميل اعتذارك عنه، والكتاب مذوور ديد ورفى العيون والأفهام، ويسافرون الدوي والأقلام، وفهمت الفصل في حديث المصيبة، وإنما كانت نازلة طرقت ثم مرت، وشقشقة هدرت ثم قرت، وإذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته ووازنا بين طرفي ارتجاعه وهباته، خرج له علينا حاصل كثير، ولكن الإنسان إلى الشكاية أعجل، وطريقها عليه أسهل، ولقد أعطتني الأيام حتى صرت لا أحمدها إذا وهبت، وأخذت مني حتى صرت لا أذمها إذا أخذت وسلبت

وفارقت حتى ما أبالي من انتوى	وإن بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي	وعيني على فقد الصديق تنام

وكتب إلى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصير إليه

كتابي وقد كنت أخرج إلى إخواني من عهدة تقصيري، وأقر لهم بما في من عيب تفريطي وتعذيري، وأعرفهم أني في تعدهم دون مقتضى حقوقهم وأخرج مما أريد في برهم إلى عقوقهم، حتى اتفق الآن من ورود فلان، ما كشف عن غيبي، وأبرز من عيبي، ونادى على بأني صديق مقال لا صديق فعال، وأن مودتي مجازية لا حقيقية، ولسانية لا قلبية، وأقل ما يجب على وقد حضر مثله في داري، أن أنثر عليه صك عقاري، ثم أعتذر إليه من قلة نثاري، وأن أعتق على وجهه كل نسمة أحتويها، وأحل له كل عقدة أتصرف فيها، وأصبح صائما، وأبيت قائما ثم أعتذر ذلك كله في جنب الواجب هباء منثورا، وقليلا محقورا، ولقد كنت تذكرت وروده على حتى رجوته وتمنيته، ثم خفته واتقيته، أما رجائي له فحياء اللقيا، وأما خوفي له فعلما بقصوري عن بلوغ رضاه، وضعفي عن إقامة شرائط ما يقتضيه حبي إياه

وكنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

وأما ولدك فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة، ودرة يتيمة، وقلبته عن

عقل كثير، وادب غزير، وشعر يحسده عليه الاعداء، وتغبطه به الاصدقاء، يلتقط بالابصار ويخزن في الافكار، وقريحة اصفى من ماء السماء، واصح من الوفاء، فهو بحمد الله على قرب سناده، وحدوث ميلاده، شيخ قدر وهيبة، وان لم يكن شيخ سن وشيبة، ووالد من حيث الذكر والفخر، وان كان ولدا من حيث العرق والنجر، ومثل والده فلان خرج فاغرب وادب فهذب وولده فانجب، ان الاصول عليها ينبت الشجر، وليست النجابة في هذا البيت موروثة عن كلالة، ولا خارجة عن رسم وعادة، امتعنا الله تعالى بهذا الولد الذي سبق الاولاد، واحيا الاباء والاجداد، وارغم الاعداء والحساد، وكتب اسمه في حسنات الايام، بل في حسنات الانام كما كتب شعره في محاسن الكلام، والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرتهن به بقاءها، ونتمنى معه بهاءها، فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت واذا لقيت بالكفران قامت فظعنت، واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من نيل المراد، ولكنها اقصر من ساعات الاعياد، ولكن لم استتم عناقه للقائه حتى ابتدأت عناقه لوداعه، وما كان قدومه الا تهييجا للشهوة، وتطرية للشوق والصبوة، وذكاء للقريحة التي كانت تفرقت بالصبر والسلوة، وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازي ولقاءه بالمن البغدادي وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة ومدة اوبته مسايعة ومياومة ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق في اوزان مدة التلاقي وكان السم بازائه الترياق سألت فلانا عن جسمه كيف في صحته وعلته وفي ضعفه وقوته فعرفني ما سرني فلا زال صحيح الخلق كما هو صحيح الخلق وقوي الجسم كما هو قوي الدين في العلم وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء ولا زالت اوقاته تتنافس بها وتتفاضل حسنا وضياء يومها فوق امسها ودون غدها، وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذي ارجو وآمله … اما الذي كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرء ودعته … واتم نعمته عليه وزادها

وكتب الى صاحب البريد بالري كتبها من اصفهان

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب، هين الوقع، قليل العبء والثقل، خفيف الكل والظل، حتى دهيت بفراق سيدي فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جاهلته، ووجدت من شخصه ما كنت اضللته، وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة، وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة، وتذكرت قول جرير،

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم	هذا الفراق فعلت ما لم افعل

ولكني لو علمت اني قعد تحت اعباء الاشتياق، وانفسخ تحت ثقل الفراق لصحبت سيدي فراشا او ركابيا او طباخا او شاكريا، ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا او حاجبا او نديما او صاحبا او مغنيا او ضاربا، ولكنني اخشى ان يتفضل سيدي بقبولي، وينشط لحضوري، ويحلني عند المشاهدة على شرائط المحبة، ويتقدم الي بالخروج من العهدة ويقول لي بها المبرز علينا نفسه في معرض الدعوى العريضة، دونك فاكفف عما ادعيت او فاكفف عما حكيت وعد واضرب عما اظهرت وابديت فاذا بسيدي ابي بكر اخجل من جزاء تكلمت ومن فوهاء تبسمت، قد جلس على قافية الدهش والتحير، وفتح جواب الخجل والتشور، وحك لحيته خجلا، وعبث بلحيته ارتيابا وذهلا، واخذ يتشاغل بالحديث عن السدي وعن الحسن البصري وعامر الشعبي وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الاخجال ومن سقطات المقال ومن دعاوي المحال سبحان الله ليت شعري ما الذي جرني الى كل هذا الهذيان وما الذي حملني على ان اركض في عرض هذا الميدان وما الذي مال بنا من ذكر الاشتياق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث، والكلام الرث، وهكذا من يركب بجواد وليس بفارس ويكاتب وليس بكاتب ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها، ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى اهليها، ولم يعتق قدمه فيها، قد خرجنا الامر هذا الميدان، ورجعنا الى باب هذا اليوم

والغربانُ وانا والله اشوق الى سيدي منه الى احراز خصل المجد وتحصيل قصب المجد بل اشوق منه الى الاحسان الذي هو اخوه وشقيقه، والافضال الذي هو شريكه ورفيقه، بل اشوق منه الى اصفهان والى فراق خراسان بعد ما عاين من تفاوت احوالها، وسخافة رجالها، وحقارة اعمالها بل عمالها، ولو لم يوسيدي فيهما من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب، لكان كافية في هذا الباب المخلقون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولي اليهم، وعرضت مالي وقليل جاهي عليهم، فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعد ما رايت من انقباض سيدي عمن كان لا يبخل عليه بملك خراسان، وتاج انوشيروان، وصرح هامان وطرازي قاشان وخورستان وبعد ما عرض عليه ما يملك عوضا غير ساير وبذله بذلا غير مجازي والانقباض في غير مكانه توكيد للحشمة، وظلم للود والثقة وقطع لعلائق المباسطة والمخالطة وكذلك الانبساط في غير مكانه استهداف للهوان، واكتساب للمقت والشنان وفتح لباب الهجران وتعرض لقطيعة الاخوان والسلام

وكتب الى اردهال وقد ورد عليه خبر علته

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغ مني ما لم يبلغه شيء قبله ولا يبلغه شيء بعده، واردت ان ارسل اليه في ذلك رسولا، وافرد نحوه كتابا ثم رأيت في قراءة الكتاب تعب ناظره، وفي وصول الرسول شغل خاطره، فابقيت عليه بقية تحتها جفاء، وراعيت حقه مراعاة في اثنائها تغافل واغضاء، وقد ورد الان خبر افاقته من علته، جعل الله تعالى ذلك آخر محنته واول نعمته فكان سروري بالاخرى في وزان غمي بالاولى لا اغم الله في الشيخ اصدقاءه وحرس من الحوادث حوباءه، ومن الغير فناءه، ولا اراني الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الظفر، لئيم الظفر، دقيق المنظر، حلو المورد، مر المصدر، معين اللئام على الكرام، والليالي على الايام، ميلا منه على الضوء للظلام، تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ما وجده لكتابي عند الشيخ من ايجاب

ولحاجتي من إسعاف واطلاب حتى قلم عنهم اظافير الايام، وقشع لهم ضبابة الاهتمام واراهم من النجاح ما لم يروه في المنام وهذه نعمة احتاج لها الى دهر واسع من دهري والى عمر انفس من عمري والى شكر ابلغ من شكري فاما هذا الدهر وهو العمر النزر فما يسع ان اشكر فيه حراً اللهم ارزقني زماناً اوسع من زماني ولساناً افصح من لساني وبناناً اجرى من بناني حتى اقضي بالشكر حقوق اخواني فلا بذل الا بجود، ولا جود الا عن موجود، ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه وقطعت عن مسافة همته خطوة جدته، وبه يكافى من قلت بسطته، وعجزت مقدرته، وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل، ومثابة الامل كل آمل، ورحلة كل راحل، وان يجعل السن اصدقائه، مشغولة بشكر آلائه، كما جعل قلوبهم مشغولة بحبه وانفسهم مرتهنة بنعمائه، ويجعلهم بل يجعل زمانهم بهائه والسلام

وكتب الى يزيد صاحب سمرقند

صدر عني الى الحضرة سيدي كتابان احدهما عامي والاخر خاصي فلا جرم حرمت جواب الماضي ولم ارزق جواب الثاني وقد انتظر غير ما جائني به الزمان وعارضني به الحرمان لان الزمان لا يستحق مني حسن ظن ولست اهلا ان اصيبه بعين مع ذنوبه الى التي اذا ذكرتها كانت غيبة سيدي اولاها، وانقطاع اخباره عني وسطاها، ولكن لاني كنت اظن ان سيدي يغلب بكرمه لومه ويهزم بيمينه شومه ويحولني عن شكايته الى شكره وينقلني عن حربه الى صلحه فالحمد لله الذي جعل سيدي كاهل زمانه وان قدم عليهم بفضله لا قرانه، واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة، ونقله في معاملته الي عن قبح البدعة الى حسن السنة فخلطته بهم، وشكوته شكايتي لهم، وقلت فيه قولي فيهم فيا سبحان الله في اي طالع ولدت، وعلى اي بخت رزقت، فحيثما اصل ارى صدا، واينما اتوجه لا ارى سعدا، قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين		الحمد لله حتى انت تجفوني	

قد كنت منتظراً هذا فجئت به	وليس خلو على غد ربمأمون

وانا اقول

قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين	الحمد لله حتى انت تجفونى

وصرت انا قضا بن المعتز فى شعره، طربا منى على مخاطبة سيدى و ذكره، و الطرب يرخى العنان، ويبصر العميان، ويجرئ الجبان، ويجرى اللسان والبنان، لا زال كرسيدى يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم، ويعربوا وهم عجم، ويفصحوا وهم غتم، ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه وبر يمنعه، ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه، وحرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه، واطال لهم بقاءه وصل ام صرم، اعطى ام حرم اهان ام كرم، انصف ام ظلم، فلا خير فى حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه، وانما العشرة مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف، ولكنى انما عاتبت سيدى لا توصل بذلك الى حلاوة اعتابه، واخاطبه بما لا ارضاه له لا تسبب به الى ما ارضاه من جوابه، وارجوان الناس يغتفرون سوء الابتداء لحسن الجواب ويعلمون ان الخطاء اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب ليت شعرى ما الذى ورد على سيدى من عمله، وهل رأى صيدا ام قيلا ووجد سعدا ام سعيدا، ويا ليت شعرى ما الذى استفاده بعدنا من الاخوان ووجده فى سؤال المودة والخلصان، وعهدى به يلتقط الاخوان التقاط الحب، وينتقيهم انتقاء اللب ويدخرهم بين العين والقلب ويعدهم الكنز الذى لا عمل فيه للزمان، والركاز الذى لا نصيب فيه الى السلطان،

وكتب الى الوزير ابن عباد المادر دباب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير

كتابى وانا بما يترامى الى من اخبار نعم الله تعالى على الوزير فى حله وترحاله وسائر متصرفاته واحواله قرير العين، قوى الظهر، شديد الازر، راض من افعال الدهر، اسمع كل يوم بشرى، واحتمل للايام نعمى، فاما احوالى

فتماسكت ببقاء نعم الوزير علي وآثاره لدي فان فارقتني امطاره فاكثر عهداته
مانضب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن ان اقرعه
بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من ان اجيله في الخط السقط وعلما مني اني
اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته، واذا جفوته فقد بررته، حتى ورد علي
خبر حركته الى هذه الوجهة التي ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها ازمة
الآمال واستظهر عليها بعساكر الايام والليالي فلم اجد بدا من الاذكار
بنفسي التي انما ارتبطتها لتلك الخدمة، وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة
ولعمري اني لاعرض منها ماء راكدا، ومتاعا كاسدا، ولكن الوزير بصدد حرب
وعارض خطب والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة
وعتادا، والعامة حشوا وسوادا، قد شمرت ايده الله الوزير ذيل المحارب
ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما، وان كنت بها جسما، و
اذا ورد علي لها ان طفرت الى عسكره طفرة تطوي المراحل وتاكل
المناهل بعد ان حصلت من العتاد والعدة ومن الشوكة والشكة،
ماينظم شرائط اوس بن حجر الكندي ومزرد بن ضرار الثعلبي قال اوس

وانی امرؤ اعددت للحرب بعد ما ❊ رأيت لها نابا من الشر اعصلا

وقال مزرد ❊ وعندي للحرب العوان مهند

هذا غير ما عندي من العدة التي يصنعها غير الله صانع، ولم يبعها غير
الايام بائع على ايده الله الوزير من انتماء اقبالي الى اقباله درع لا تصدئها
الايام، ولا تنفذ فيها السهام، وعلى راسي من واقية دولته مغفر لا تعمل
فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من صنعة يمينه وبركته
قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من صقال نعمته سيف يقطع
الآجال لا الاوصال ويهزم الاقدار لا الرجال وتحتي من نتاج شوقي
اليه فرس اذا سرت به طار، واذا وقفت به سار، الشوق عنانه والايام
ميدانه والعجلة سرجه، والسوط لجامه، والعزيمة لببه وحزامه،

فان اذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة، المكنوف بجو الدولة والكرة، رأى مني بحمد الله تعالى فارسا ملأ العين، كما سمع مني عالما ملأ الأذن، فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان وفروسية السيف والسنان، ويكر في معركة الطعان، كما يكر في معركة البيان، ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان، فان الاقبال ربما التقى طرفاه، والكمال ربما اعتدل جانباه، والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسراه، واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين، وسابق الرهانين، وكانت يده تجيل قدحي الشجاعة والكرم، وتجمع بين السيف والقلم، وتحذق آداب العرب والعجم، ولم يكن القباء البق به من الطيلسان، ولا الدفتر في يده اخلق من السيف والسنان، فلابد لنا معاشر تلاميذه من ان نرقى على درجه، و نمشي في منهجه، واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حياتا امة، ونفس الله تعالى مقسمة من نفوس جمة، فلابد من ان تفدى تلك النفوس بنفوسهم وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤسهم، وان يخدموه في مواطن المنايا، كما خدموه في مواهب العطايا، وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا، كما بذل معهم مجهوده نوالا، وان يبتذلوا فيه النفوس الكريمة، كما ابتذل فيهم النفايس العظيمة، هذا واجب في قضية الكرم والمجد، لازم في شريطة الوفاء والعهد، على اني اظن العدو اذا ظلته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة اولها جرجان، وآخرها خراسان، تقبلا الاولية وجريا على تيرة ابيه فندا عقل من ان يقذفاه ويخالف اباه، ومن خالف والده فقد نفاه، سيهزم من رجل طالما هزم، وينهزم ابن رجل طالما انهزم، ومن اشبه اباه فما ظلم

وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملي اعباء نعمته، والمتسمين بسمة جملته اذا صدئت قرائحنا وفسدت اذهاننا، جلوناها بمجالسته وغسلنا عنها وضر التغير باتباع طريقته، وسننا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته

لبطانته ثم لرعيته، واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه، وان نجلب اليه ما جلبناه عنه، وان نقيم انفسنا مقام المتعلمين، وان نحمل اليه مواعظ بذله كلام منها ابرع، وبداية توقيعاته منها ابدع، ولكن لابد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه، بما يترجم به عن ودائع صدره، ويعبر عن نيته وسره، ولابد لمن شارك ربيبه في ايام الرخاء والمواهب من ان يشاركه في ايام الغموم والمصائب، ليكون قد خدمه في النوبتين، وتصرف معه في الحالتين، واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين، و بلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين، ونفذت الي سهام الفجيعة من طريقين، اما احدهما فهي اني اغار على هذه الجنبة الكريمة، وعلى هذه الدولة المستقيمة، من ان ينفذ فيها رمية الزمان، او تتناولها يد من ايدي النقصان، واما الثانية فهي اني علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء، تضاعف اذاؤها، وزادت اعباؤها، وانما الغم سم ترياقه المباثة، والموت خرق رفوه التسلية والتعزية قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة		من الوجد او يشفي نجي البلابل	

واذا كان لابد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال، ولابد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال، فلأن تكون الواقعة في الصغير، خير من ان تكون في الكبير، ولأن يقع سهم الزمان على النسوان، امثل من ان يقع على الذكران، فالحمد لله تعالى الذي جعل في طي المحنة منحة، ومزج الترحة بفرحة، فستر عورة من حيث سلب نساء نزهة، وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة، وابقى الكبير من حيث اخذ واحدة صغيرة، وجل والدا من حيث اثكل والدة وهذا تكون مصائب المقبلين المجدودين، فان الدهر اذا اساءهم في القليل احسن اليهم في الجليل، واذا كاشفهم في الخفي المستور، صانهم في الجلي المشهور، والمدبرون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا، وخالصة بحتا والدهر يعلم اين الزبون، ومن المغبون، وانا اسئل الله تعالى ان يجعل المتوفاة لوالدها فرطا واجرا، وكنزا من كنوز الجنة وذخرا، وان يجمع بينها وبين

البتولُ السيدة فاطمة بنت الرسولُ وبين خديجة الاسدية، وآسية الاسرائيلية، بنات الاكرمينُ وازواج المرسلينُ صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته، وتقضى فى والديه واهل بيته حاجته، ويعوض عنها الشيخ اخالها سوى الخلق والخلقُ شريف الفعل والعرقُ ليستوفى الشيخ فى يومه اجر الصابرينَ وفى غده جزاء الشاكرين وليكون قد قضى لله تعالى حق الربوبية، من طرف العبودية، وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان وساقة عساكر النقصان، فلا يرى بعدها فى تلك الدار الشريفة الاموهبة مستطرفة، وفائدة مستجدة مستأنفة حتى يشتغل بالتهانى عن التعازىُ وبالمدائح عن المراثىُ والسلام

وكتب الى ابى محمّد العلوى جوابا عن كتابه

ورد كتاب السيد بشرا من خبر سلامته بالبشرى التى تنسى كل بشرى، وبالنعمى التى تلغى كل نعمى، وبالفائدة التى تنظم فوائد الاولى والاخرىُ وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عنىُ وشمول النعمة بامثاله للناس ونى امتلأت عجبا، ورأيت لى فى كل جارحة قلبا، ورأيت السيد قد سلك بى من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها، وجعله بنجوة منها وتكلف مالو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط، وراكبا مطية الغلو والاشتطاط، وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر، وعز وفخر ومال ووفر، وكبر وكثر، وحياة وعمر فكيف كتابه الينا، وسلامه علينا والرئيس اذا اعطى المرؤس فوق حقه، فقد استرجع منهُ واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد نفض عنهُ والاشياء اذا فرطت الى الرجحان عادت الى النقصان، ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتى عفو كتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته، وهذا كلام لولا انه قد جرى به بنانه، ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، ولقد جئتم شيئا ادا، الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة مجانستى لها مجانسة النور للظلام، ومناسبتى لها

مناسبة الاوز للنعام، ولم اقرع ابوابها، ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها، ولا ادعيتها بقلبي ولا بلساني، ولا ادعاها لي اصدقائي واخواني، ولا تمنيتها اذ كان المتمني انما يتعلق بذنب الامكان، ويمشي في طريق الكيان، ولا احتلمت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وهو وسنان ما يتفكر فيه وهو يقظان ولا دعوت الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة، ولا يفسد التكليف والمصلحة، ولو كنت اجوز على نفسي شيئا منها لجوزته من طريق تصالي بجانب السيد، فان المواصلة ربما صارت مقاربة والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة وهب ان ذلك كان فكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاني من دراهم الصيرفي، وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والعبد لاني وكم يحظى من الكتابة على مجالسة السيد في كل اسبوع ساعة، وعلى رواية له في كل شهر كتابة او رقعة، اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتي لا تهذيب والتعرض لي بذكر الكتابة لكي اكاتب فان هذا من ابواب الحث والبعث وصنف من اصناف الرقي والنفث، قد يقول الاستاذ للتلميذ احسنت يا سيد الادباء واصبت يا واحد العلماء، ليلحظه طعم التقدم، وليرقيه في درجات العلم بالتعلم، فان كان ذلك هذا السيد اراد فقد بلغ المراد، وها انا ذا من بعد اليوم اقرع باب الكتابة، واتسلق على حيطان البلاغة، واجمع ما قدر عليه من رسائل السيد فاحفظها صدرا صدرا بل سطرا سطرا، واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا فان خرجت من ذلك فالحمد لله تعالى الذي رزقني، ثم للسيد الذي حركني وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل منجح ذكر السيد ان اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي والمعتزلي بالمعتزلي وانا اقول مكافيا لا مباريا، ومنا بعلا موازيا اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام، واعتداد الشيعة بالوصي واعتداد المعتزلة بالحسن البصري، واعتداد الحجازيين بالشافعي واعتداد الزيدية بزيد بن علي رضي الله تعالى عنه، واعتداد الامامية بالمهدي لا بل اعتداد العاشق باللقاء، والظمآن بالري لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري

بالري

بالسيد ابن محمد العلوي وهذا ميدان يحتمل القريبات وفصل يتسع للتصرف والجولان ولكني اكره ان اشق على السيد في الجواب وان اكلفه دخول هذا الباب ذكر السيد ان انكفاءه الينا قد قرب وان نجم الغيبة قد صغر وذرعها قد قصر وانا اسئل الله تعالى ان يصدق هذا المقال ويحقق هذا الفال و يريني تلك الطلعة التي اذا رايتها لم انتغص بغيبة الغائبين واذا فقدتها لم اتهنأ بحضور الحاضرين واذا نظرت اليها فيومي سعيد بل عيد وفصلي ربيع بل ربيع واذا تعجبت بما تصبحت بالنظر الى النبي والوصي عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين سألني السيد ان سئله بعض هدايا تلك الناحية لا والله ما اعرف نفيسة ولا طرفة خطيرة تعدل عندي وجهه فليهده الي وليطلع نظري اليه علي وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زف الي الدنيا في معرض الجمال واهدى الي السعود بين طبق وبكبة من الاقبال ولم يدع لعين التمني بعد ذلك مطمحا ولا للقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا الا يكتب الى السيد بخط غيره لاني اذا قرأت كلاما من آثار بنانه فقد جنيت الورد من اغصانه و قليل لمن ادلى بمثل وسيلتي واتسم بمثل سمتي ان تنبعث له البنان و الاقلام وان ينتقي له الخط والكلام وان ينزل على حكمه والسلام

وكتب الكاتب

اعتذر سيدي من صغر الكتاب واختصاره فقد اغناه الله تعالى عن تكلف من اعتذاره وانما الصغير ما صغر قدره لا ما صغر حجمه فاما ما افاد وجاوز المراد فليس بصغير بل اكبر من كبير واما شكره لي على تفصيلي لكلامه فاني من هذا بعد في ميدان عريض مديد وفي شوط بعيد لم ابلغ عشر عشره ولم اقض منه اليسير يسيره والحق اني وان اجتهدت فاني غير بالغ منه ما في ضمن النية ولا آت على ما في الهمة و الامنية ولكني سأقف عقلي انتهاء الطاقة واحمل مجهودي اقصى الغاية

والتمادح بيننا بعد الحال التي عتقت، حتى اخلقت، وقدمت حتى هرمت فصل لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة في الدنيا باخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة

عظلم على الشيخ ادلالي وكثر على قلبه اشغالي وفتح عليه كرمه من حوائجي بابا لا يسد ولا يرد، ولكني اذا قلبت سلعة الشكر، ونشرت طراز الاحسان والبر، لم ار غيره يشتريه، او يرغب سواه فيه، وانا عرضت جريدة الكرم، و افضت قداح المساعي والهمم، جاء اسمه صدر الجريدة، وقدحه معلى القداح السبعة، فارجع اليه وعن يميني الرجاء يقربني منه وعن يساري الحياء يطردني عنه وما احب ان يشرك الشيخ في لساني غيره، ولا ان يحتوي على قلبي الا ذكره، فاني آنف لكرم المتاع، من لؤم المبتاع واستحيي لنفاسة هذه الملابس من خساسة اللابس واغضب للموكب الكريم من الراكب اللئيم واحب ان ازف ابكار المعاني وان اغرب في الثناء، لمن يغرب في السناء، وان ازوج الشيخ من صنعة لساني كرائم لا تجتليها الا عيناه، ولا تنظلها الا يداه، قد علم الشيخ اني عقدت هذه الضيعة، ولفقت هذه المعيشة لتكون صونا لوجهي عن ذل السؤال وحجابا للعرض دون الابتذال ولا جعل ما يدخل منها من الكفاف جسرا الى الصيانة والعفاف فاجب نفسي الى صدقائي واخفف ثقلي على جلسائي فان السائل ثقيل الطلعة كريه الزورة، مشنوء اللحظة واللفظة، معرفته غرامة، ومنادمته ندامة ومجانبته امان وسلامة، فمن اعانني على حفظ ما اعتقدته وامسك على جوانب ما استفدته، فقد كفى اهل المشرق كلي وخفف عن رقابهم ثقلي وضرب بين لساني وبينهم ستر الغنى، ومد عليهم دون استبطائي وعتابي كنا كنيناء، ومن اخرجني من صيانة الدهقنة، واحوجني الى ابتذال المسئلة، فقد عرضهم لخطبين وعرضهم لحد السيف من جهتين

لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء، او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء، وما من لحظتين صغيرة وما فيهما المختار خيرة، على ان خروجي من خراسان الى غيرها، وضع من اهلها، فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار، ولو احسن الى البازي لما طار، وان مقامي حيث خيمت محنة، تدل على فهم الكرام الاجاود، ولو ملكت اعنة الايام، وجاز حظي على الحظوظ والاقسام لكانت مدائحي الى اهلها مصروفة ومعاتباتي على غيرهم موقوفة، ولما تمثلت تحت قول ابي عبادة البحتري

عذلتني في اهلها واسترابت	جيئتي في سواهم وذهابي
ورأت في سواهم من مديحي	مثل ما عند غيرهم من كتابي

هذا على اني ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا، وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا، وسوق الادب قد قامت، واطراف المسالك قد استقامت، وليل النقص والجهل قد جلاه فجر الفضل والعقل والجود قد اقبل بوجه الغالب، والبخل قد ادبر بقفا الهارب، وارى الدهر قد افتر عن يتيمته، وانجلى عن كريمته، وجاء بواحده الذي لم يزل لسان محامده، وعنان مراشده، والذي لم يزل يجف به لسان الاماني وتتقاضاني فيه ايام زماني وهو الشيخ الاجل بيب الدولة وغذي النعمة وسليل الكفاية والوزارة، وفرع السياسة والرياسة، وناشر ميت الآمال وناقد قيم الرجال وناشر الوية المقال والفعال، وقد علمت ان الدهر البخيل لا يسمح الآن به الا ليكون للاحرار ركنه، وليدول للافاضل دولة، ولتهب للخير ريح طالما ركدت، وتنفق للفضل سوق طالما كسدت، ورجوت ان اكون احد من ينتصف به من محنة، وينتزع في ايامه حقه من مخالب زمنه فقد طال ما ضرب الزمان على رزقي وغصبتني ايامه ولياليه حقي، اسأل الشيخ ان يعرض كتابي عليه ويوصل كلمتي اليه، ولا يقول كيف يكون الرسول اجل ممن ارسله، وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له، فان الكريم يعز من حيث يهون، ويشتد بأس الرمح حين يلين، وهو ايده الله تعالى

الحكيم الذي لا يوصى، والمشير الذي لا يعصى، واذا سعى في هذه الحاجة ففي امره سعى، وعن ماله نضح ورمى، وعن عاتقه القى حملاً، وطرح ثقلاً، لانه ان حوم سهمي الاصابة، ولم ترزق دعوتي الاجابة، فاني ملق كل خراجي عليه وراجع به عند اليه، اذ كنت لا ارى الفرج الا لديه وانشد،

سبيلي ان اعطى الذي تسألونني	وحقي ان يجدي علي لا اجدي

وانتقيه

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا	فلم انت عاد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاجة بعين من يعلم انه فيها سهيم، واصلحها قسيم، وانه يكدح كدحا له بعضه، ويجلب جلبا له شطره، واني لا اعلم اني قد هتكت ستر الحشمة، وخرقت حجاب الهيبة، وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال، ولكن الثقة تطلق اللسان، وتجرى الجنان

وكتب الى وزير صاحب خوارزم

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله في لؤلؤ منثور، وطراز منشور، واستمليت منه نسخة الود الصريح، والعهد الصحيح، والخلق السجيح، ووجدت الشيخ قد استرقني رقا لا تنحل عقدته، ولا ترد عهدته، وكفاني منها لا يكفيه الامثلة على ان ذكري مثله ارجاف بالزمان وفعله، وكذب على الفلك واهله، وامنية من اكاذيب الاماني، وترهات من لساني هيهات الدهر ابخل من ان يأتي بكريمته، ويجود بمثل يتيمته، والكرم اقل مبتاعا واكسد متاعا، من ان ينازع الشيخ بهاءه، او يسلبه رداءه،

والجود اخشن مسا يا بني مطر	من ان تبزكموه كف مستلب

اخبرني الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة، وفتله من اسبابه الوثيقة في ذلك الحال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان، وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الهي الذي رزقني صديقا يحفظ علي ما اضيعه بيدي، ويحسن بي من حيث تسيء نفسي الي، وقد كنت خاطبت الشيخ في امر هذا المال بكمال جرأتي عليه

فصدق

فصدق ثقتي بسعة ساحة احتماله، فان شكاني فقد كافاني وان سلفني شكرا
فعلي اداؤه وعلى الله جزاؤه، ولو انصفت الحال بيننا، والجهة الجامعة لنا
لخرجت لهذا الوافد الاثير لدي والكريم علي من مالي، ولقاسمته ولدي وعيالي و
لحملت العالم اليه بين طبق ومكبة والفلك بين دنيا وآخرة ولكني نزلت
على حكم طاقتي، وانتهيت الى غاية وجدي وجدتي وعولت على عفوه ونيتي
ونكست راس خجل منشور، وغضضت طرف قاصر مقصر، وانشدت

لو كنت اهدي على قدري وقدركم		لكنت اهدي لك الدنيا وما فيها	

الذي طلبه الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته ولو على رحلي وانسخ
ما ليس عندي ولو على خدي، ولوددت لو كان دمي حبرا وجلدي ورقا واصابع
اقلاما، وذاك عندي يسير ينسى وصغير يلغى وقليل لا يسمع ولا يرى على
انه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب من الفضة والذهب لكان آخر امره
منتظما باول امتثالي وطرف قوله متصلا بطرف فعالي فان الناس يتخذون
الاصدقاء، ليكسبوا بهم الثراء، وانا اكسب الثراء، لاتخذ به الاصدقاء
والصديق هو العقدة التي يحلها الدهر، والذخيرة التي لا يفسدها الخير
والشر، والكنز الذي لا ينقص منه الغنى والفقر، وسائر الاعلاق تفقد من
حيث توجد وتحل كما تعقد ويدب اليها الفناء كما يتفق لها البقاء ويتسلط
عليها الاعداء، كما يحسد عليها الاصدقاء وتمسها النار فتحرقها ويصيبها
الماء فيغرقها، فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا، ويفسدان ان تركا
والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل ولا تنزل
بمنزله ان نزل والعبيد والاماء حيوان يتحكم فيها الحدثان ويعمل فيها عمله
الزمان، فاذا حاربته الايام سقم، واذا سالمته هرم فهو معرض للحادثات
اما بالحياة واما بالممات، والثياب والفرش ورق يجف اذا استعمل ويخفى اذا
اهمل والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله واعان على من قاتله
وصار في يد المحارب آفة على الصاحب والحلي والجواهر زجاج يسرع اليه
الكسر ويبطئ عنه الجبر، اظهاره خطر، واخفاؤه حذر، خفيف الحمل على

مر بسرقة ثقيل الوطأة على من فقده، والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار، وبقاؤه احتكار، من بذله عرضه للفناء، ومن بخل به عرض عرضه للهجاء، والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت، واذا رفعت صدئت وتغيرت والفيء والماء غريم كفيله الارض والسماء، وهما كفيلان لا يغرمان ولا يلزمان ولا يلازمان والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء، ويحكم فيه الصيف والشتاء ويتداوله الفناء، والكتب مالك جالس على قافية السرقة، موضوع على شبكة الخيانة، يسرقه كل امين، ويتهم عليه من ليس بظنين، وقد اكثرت ايها الشيخ في هذياني، ووضعت عنان قلبي في بنان في بيد لساني، فان يكن ما جئت به مفيدا فقد بدعت واغربت، وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت فلم اخل، جئت بفائدة، ان كنت ضحكة ونزهة زائدة

وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تاخره ولته، وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته، وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا، ورأيته في النوم خيالا، وبعد ان عددت له الليالي والايام عدا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا، وبعد ظننت الظنون بسيدي وبوده وتوهمت الايام في وفائه وعهده، وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر، وجانس ابناء الدهر، وبعد ان انشد فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى	علمتك الايام كيف تخون	

فويلي ان لم يعف سيدي عني، ولم يغفر لي ما بدر مني، ولم يجعلني في حل من سوء ظني وتهمته، ولم ازل اكرر قرائته حتى حفظته، ثم تزويت في ذلك حتى حفظت غاية باثاته وصارت روايته تقطع على صلاتي وتستهلك اكثر اوقاتي، ثم عرضته على اصدقائي واصدقاء ولائي فا منهم الا من سألنيه ونافسني فيه، واستعارنيه، ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدي الامانة، ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه، ذكر سيدي

من شوقي اليه ما لم يتكلم فيه الا عن لساني ولم يترجم الا عن شاني ولقد طويت بعده بساط المدام ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا وفارقت الغناء بتاتا حتى جفت الاقداح واستخصتني الراح و نسي بناني الاترجة والتفاح ولقد ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسة وآثار الفرح والانبساط مسة وديار المنادمة والمجالسة مقفرة واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة قد هبت عليها بغتة ريح الادبار وطلع عليها نجم البلاء والاقفار ونفذ فيها حكم الفناء ولسنها بالعفاء سألني سيدي عن ذكري له وكيف لا يذكره من يراه وان كان لا يلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضا منه و كيف يخفى ذكره من لا يفتح عينيه على اكرم منه عليه واحب منه اليه وقد عرفنا بالهجر الشراب واغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا في كل فترة نبوة او بيعة خلافة فلا نقل الا تذكاره ولا تحية الا اذكاره ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن ولا اقتراح على المغني الا شعر في اوله ذكر غيبته وفي آخره تمني اوبته رده الله تعالى سيدي الي اخوانه الذين انا اولهم في المحبة وان كنت آخرهم في الرتبة على حالة يقع الشكر وراء حقها وتكل مطايا التعديد والبشر في مسافة طرقها والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين وانا اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعته فهو غارم وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عند الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران كما اجتمع علي بغيبته صومان على ان صوم العين اشد من صوم البطن فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد مخوفة الزيادة والمدد ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة قريب العشية من الغدوة فحصتي من صوم هذه السنة المباركة حصتان ويومي منه يومان وتأبى صروف الدهر ان تأتيني الا مزدوجة في قرآن وذلك اني صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهري رجب وشعبان

وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان، وقال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر مدامة	فمتى يفيق فتى به سكران

وانا اقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة	فمتى يعيش فتى له صومان

وكتب الى ابى القسم وقد تهدمت داره عليه وسلم

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذي هدم الدار، ولم يهدم المقدار، وحين ثلم المال لم يثلم الجمال ولما سلط الحوادث على النشب والخشب لم يسلطها على العرض والحسب ولا على الدين والادب ولا بد للنعمة من عوذة ولا بد لعين الكمال من رقية، فلأن يكون ذلك في دار تبنى ومال يجنى وينمى خير من ان يكون في النفس التي لا جابر لكسرها، ولا شيء يفي بقدرها، وصادف ورود هذا الخبر علي رمدا في عيني قد حصرني في الظلمة، وحبسني بين الغم والغمة، وتركني ادرك بيدي ما كنت ادرك بناظري كليل سلاح البصر، قصير خطوة النظر، قد ثكلت مصباح وجهي، وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي، ابعد الاشخاص عني اقربها مني فالبيض عندي سود، والقريب مني بعيد، قد خاط الوجع اجفاني، وقبض عن التصرف بناني، ففراغي شغل ونهاري ليل وطوال اللحظ قصار وقصارا وقاتي طوال فانا ضرير وان عددت في البصراء وامي وان كنت في جملة الكتاب والقراء قد قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني وقامت بيني وبين يدي ولساني وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتماثل مبانيها، وتتكافأ مقاطعها ومباديها، فتقول العلة ذلة والواحدة وحشة والغلب سلب واللحظة لفظة والهوى هوان، والاقارب عقارب وانا اقول المرض حرض والرمد كمد، والعلة قلة، والقاعد مقعد

وكتب الى ابى احمد الرازي ببلد نيسابور

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته، واسبق الى المكرمة
في الابتداء بمثله، ثم ابى الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله، وان ينبت
الكريم الا على اصله، و فهمته وافادني من خبر سلامته فائدة هي الغنى بل المنى
بل الكنوز والقناء بل المراد والهوى بل السناء والعلى بل العالم والدنيا، بل خير
الآخرة والاولى وهي السلامة التي لا يتصور بها الشيخ عني ولا يختص عزيتها
دوني اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة، وسائر اسباب السراء والضراء متسهمة
وسألت الله تعالى اولا، والآن اسأله ثانيا، ان يجرى على الشيخ نعمته ويرد غربته
ويجعل اوبته، ويبصره رشده في الرجوع الى بلدة، الذي هو بحضوره
مصر مباه الامصار، وبغيبته عنه مفاوز بل قفار، كما ان اهله
اذا كان فيهم ناس واذا غاب عنهم نسناس والله يلهمه قول النابغة

فحلي في ديارك ان قوما … متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه، واعتق الابل اكثرها نزاعا الى عطنه
والدنيا رستاق نيسابور وقصبته، وعقد نيسابور واسطته، ولو علمت
اني ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد والنفس المديد وانه اذا فارق
قوما طلقهم، واذا القى آخرين عشقهم، لاخذت من الزمان الف كفيل
ووضعت الارصاد بكل سبيل ولوردته، على او كلت بحفظه عيني بل عيني

شدت باعناق النوى بعد هذه … مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده، فارايه ان يعفو عنا بقربه فيكون قد ادبنا
قد رته، ثم اسبغ علينا نعمته، وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آبت
ومقدار المحنة اذا غابت كان كتاب الشيخ الطف من عتبه، واقصر
من اوقاتي بقربه، واظنه اشفق على من التعب فيه اذا طال وظن بي
الكسل والملال فما زلت اعرفه مشفقا على حميد الاثر لدي وان استعفيه
من هذه الصدقة، واشتهي ان لا يبرني بهذه الشفقة، وان تكون كتبه
الى اطول من يده على وابسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي فاني اذا
رتعت في رياض قوله، واجلت عيني وخاطري في ميدان فضله وطوله

تقلبت في روضة وغدير، وادرت يدي في جنة وحرير، ولم اعدم معنى يلقح الذهن، ولفظا يمتع العين والاذن، وفقرة استفيدها، ونكتة اقراها ثم اعيدها، وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد

فلا يبعد زمان منك عشنا	بنصرته ورونقه العجاب
لياليه لياليّ الوصل تمت	بايامٍ كايام الشباب

وكأن ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي ويميت نفسي، وقد استسلمت للفراق فليمض في حكمه لا بل فلينفذ في سهمه، وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بي ويشفيني من اوصابي فليهده الشيخ الي فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة مبرورة، وصنيعة مشكورة، وكلما قرب مني الداء فترا تأخر عني الدواء شبرا

وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

لولا تمنع الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وانكان ليس مع عطاياه جليل كانه ليس مع تواضعه قليل لا فنيت في هديتي اليه الاعلاق والجواهر ولا تعبت في حملها اليه الخف والحافر ولسبقت في ذلك الاولين، واتعبت فيه المتأخرين عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان، واورده بذلك عرسا ثم ايام الزمان، ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد، ويقطع مسافة سعدها ونحسها وهو حديد والسلام

وكتب الى ابي سعد احمد بن شبيب

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه،

لما استتم عناقه لقدومه	حتى ابتدات عناقه لوداعه

كانه كان ذلك الرجل قائما معناه، او كانه قاله هذا البيت لنا ولقد كانت الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتني بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصارا فبينا انا اشكو مطلها اذ صرت اشكو بخلها وبينا انا استدرك عليها الماضي اذ اصبحت اطلب اليها الباقي، وبينا انا انشد

ایا لیلة الوصل لا تنفدی	ویا لیلة البعد لا تنقدی

غدوت انشدہ، ھذا الذی قیل لہ اطیب ما کان فنہ، ولعمری انی لموسر من الصبر، قوی بنیة القلب والصدر، حیث ابیت ببلدة وصاحب الجیش باخری ولیس بینی وبینہ بعد الخافقین ولا سد ذی القرنین ولا جبل قاف ولا سورة الاعراف، ولقد رضیت من الشوق بالدعوی ومن اللقاء بالمنی وغششت فیما بعتہ من الهوی والله اسأل ان یجمع بینی وبینہ علی ما یثلج صدری ویقر عینی وان یرینی الدهر وهو وافد مرجتہ والسعد وهو خادم من خدمہ والایام وهی سلہ فی اولیائہ واعدائہ والمنایا وهی سہامہ فی صباحہ ومسائہ والاقبال وهو خلیط من خلطائہ والسرور وهو ندیم من ندمائہ والغمز وهو مستدری بافیائہ والشرف وهو مطنب بفنائہ، وهذا الدعاء منی تجمل قطعت بہ الحدیث لما توجهت بہ المسئلة علی وخرج الجواب من یدی ولو صدقت فیما ادعیتہ وکنت من الشوق علی ما حکیتہ قلت للشوق اذ دعانی لبیک وللحادیین کر المطایا ولا نضیت الرکاب وفارقت الاحباب ورکبت کاهل الخطر واعرورییت ظهر السفر حتی انیخ بحضرة طال ما حضرتها العلی وانزل علی سدة طال ما سدت زوایا الندی وانظر الی طلعة علیها للکریم دیباجة خسروانیة وفیها للطلاقة روضة ربعة رجعت من حضرة الوزیر بعد ان افرغ علی من سجالہ واسبغ علی من نوالہ ما خفف ظهری بل ثقلہ وانطق لسانی بل اخرسہ وارخص شکری بل اغلاہ وابقی مدیحی بل افناہ، وانی حین امدح البحر بانہ عزیز والبدر بانہ منیر واعلم الناس ان الدهر کبیر وان الرمل کثیر کنت کاحد عباد الله المکلفین الذین قولهم هباء وعلمهم جفاء ابقی الله تعالی ذلک السید لتفتضح بہ اللئام وتفخر بہ الکرام وتتجمل بہ الایام والانام، واقام بہ سوق الکرام وقد اقام وادام بسلامتہ عز المجد والمجد وقد ادام ولیت المکارم کانت جواهر لا اعراضا وخلقا لا اخلاقا فتتمکن من رؤیتہ العین ویأتی علیها الوزن والکیل فیدرکها الجاهل بحاسة بصرة کما یدرکها

العاقل بحاسة فكره، فاستريح من الدلالة على معرفتها، ومن اقامة البينة على صفتها، وصلت الجارية وددتها لاني رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء، بل اجتمع الظمآن والماء، وهذا ميدان لابليس فيه مجال وزاوية له فيها افعال وان النساء لحم على وضم وصيد في غير حرم، الا ان تلاحظ بعين غيور، وتلازم بنفس يقظ حذور

وكتب الى تلميذ فرد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة اليك، وغير مضنون بها عليك، و لكني ذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك، وصرت بعض آفات اوبتك، فارجع فديتك وانتجز ما وعدته واسمع من قاله تزدد به عجبا فحسن الورد في اغصانه، رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام، وصرت بعض محاسن الايام، و ان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد، ولا يجب عليه فيها حد ولا يعاقبه السلطان، ولا تتبرأ منه الاقوام، واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى ولا ارش الجرحى ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك، ولا يثلم له دينك وامانتك، فيا ايها المغير النظيف الغارة، والسارق البري الساحة اشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت واجعل لنا سهما مما سرقت واعطنا قليلا مما اخذت ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك ولا من ميراث ابويك

وكتب اليه ايضا

كتبك يا ولدي عندي تحف وشمامات، وانوار وباكورات، افرح باولها و انتظر ورود ثانيها، واشكرك على ماضيها، واعد الايام والليالي على باقيها، فكثر على سوادها، ووفر علي اعدادها، واعلم اني احبك حبا مستكنا وباديا

احبك ما لو كان بين معاشر	من الناس اعداء لجر التصافيا

وانی آنس بك حاضرا واشتاق الیك غائبا شوقا لو عرفته لتكبرت علی الوری، ولم تفهوز نا لاهل الدنیا، وكنت لا انظر الیهم الا بموخر عینیك ولا تكلمهم الا ببعض شفتیك

وكتب الی حاجب ركن الدولة بالری

الكتاب الذی عظم الحاجب باصداره شانی واعاننی به علی زمانی واهل زمانی، ورد وثمرة الفؤاد منه بعد فی اكمامها لم تزهر فتغنم، ولم تدرك فتطعم، واذا انتجت الشفاعة من حیث لقحت، وزكت اغراس المعونة من حیث زرعت، ولاحت ان صفحات احوالی اثار الزیادة وظهرت فیها مخایل السعادة، القت رهج الحمد والشكر، وانطقت بهما لسان الدهر، وقلت ما یتعب الراوی، ویحیر السامع والرائی، ویوقع للخواطر شغلا طویلا، وللسان الاقلام عملا ثقیلا، والی ان تیسر من ذلك ما هو فی ضمان الایام، وفی ودائع الحظوظ والاقسام، فانی اسأل الله تعالی ان یطیل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغیر محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقتبل وبابه مستقبل وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل

وكتب الی ابی عبدالله النحوی الخطیب بالری

ان تكلفت للشیخ ذكر ما اسلمنی له فراقه من الهلع واهداه الی من انواع الغم والجزع جریت معه فی میدان الاعتداد، واستقبلت بكلامی قبلة الشكر والاحماد، و رایتنی اشكر نفسی علی ان اؤدی فرضا، واحمد جوانحی علی ان یجیب بعضها بعضا وان سكت بقیت فی نفسی حاجة، واستولت علی قلبی حسرة، ورأیتنی ابخل علی نفسی بشكایة المضرور، وانفث علیها نفثة المصدور، فلا ادری أأقول علی ان القول كلفة، ام اسكت علی ان السكوت غصة، ولكنی انشد قول لمولد

واشهد الله وحسبی به	انی الی وجهك مشتاق

ما زال قلبی مقبلا لذكر لیالینا تلك الطوال القصار، اللواتی كانت ظلماتها انوار، وساعاتها كلها اسحار، حاربنا فیها النعاس بجیش السمر

وسهرناها ولم نجد مس السهر، فكلما مال بنا النعاس الى شقة، وكاد
يستعبدنا الملال برقة، نفضنا عنا غبار الكسل، وجلونا عن اعيننا بل انفسنا
صدأ الفتور والملل بحديث مطرز بالادب، مرصع باخبار العجم والعرب
يسكر من سمعه وان لم يشرب، ويشهد على بهيمية من شهده ان لم
يطرب بالفاظ انيقة النظم وثيقة النثر، ومنطق رخيم الحواشي لاهراء
ولاهزر، فبعثنا النشاط امضى ماكان حداً، واصفى ماكان فرنداً، واثقب
ماكان زنداً، ولو عاوضني دهري واشترى جميع عمري وباقي عصري
وردا الى تلك الليالي الزهر، المحجلة الغر، لكان قد احسن الى واربحني
وخسر على، وهيهات الدهر تاجر لا يغبن في تجارته، وامير لا يغلب على
امارته، ولكنا نقطع الدهر قالاً وقيلاً، ونعلل فيه قلباً عليلاً، يسر الله لنا
حالة يعود بها الانس في احسن زينته، واتم بهجته، واد النا على الفراق
الذي وجدناه لئيم الظفر، قبيح المنظر والمخبر، واعاد لي تلك الاوقات
المسعودة المحمودة التي سرقتها من دهري ورأيتها غرة عمري وصلقت
فيها بلقاء الشيخ زندي وفكري وانشدت فيهما من شعري وشعر غيري

وفرحة الاديب بالاديب	كفرحة الطبيب بالطبيب

ولوطلبت من الشيخ عوضاً لكنت قد اغنت الزمان واستحققت بطلبتي المحال والحرمان
والفضل اليوم اقل طالباً واعز صاحباً، واجدب جانباً واخيب كاسباً، من ان
يعظم غير الشيخ بين طرفيه او يضم عليه كلتا يديه، سقى الله ايامنا بيد الشيخ
الجليل فاني لا اعرف سحابة تندى يداها، ولا تسقي سقياها، وانما طلبت الغاية في
الدعاء وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء، وقد قال ابو الطيب المتنبي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها	ويفعل فعل البابلي المعتق

وكانه قال سقى الله ايام الصبي خمراً فانما فرحها ساعة، وطيبها مجاز
لاحقيقة له مع بشاعة طعمها اولا وثقل خمارها ثانياً، والذي دعوته به
من السقيا يبقى ولا يفنى ولا يستبشع بل يستحلى ويستطاب ويستمرى بلغني
ان فلاناً زعم ان سمعه لا يسع لاستماع كلامي وانه يستعظم ما يرى عليه الناس

من اعطائی والذنب للعين العشواء فی محبة الظلماء، وکراهية الضياء، وفم المريض
يستثقل وقع الغذاء، ويستمر طعم الماء، والجعل يتغذی بالسرقين ويموت من الورد
والنسرين، ومن الريحان والياسمين، ومن طمس عين الشمس، فقد نطق فی الحس
ومن حارب جيش العقل، وخلع ربقة العدل، ورضی لنفسه بمجانسة الجهل
فقد کفی خصومة مؤنة عتابه وعقابه، وقد امرنی يادة المحنة لتمام ما به
کتبت هذه الاحرف ولم يبق منی الحر الشديد، والسفر المديد قلباً يدری
ولا بناناً يجری، فانی قد ذبت غير حشاشة ودماء، ما بين حر هوی و
حر هواء، فاما حر الهواء فشاهده حاضر، ودليله ظاهر، واما حر الهوی
فان هوای مقصور علی مولای وقلبی حمی لا يحله غيره، ولا يعمره الا ذکره،
وارجو ان لا اعدم علی ما قلته من قلبه شاهداً، ومن علمی به رائداً،

وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شاذان

کتابی ايد الله تعالی القاضی من قم وانا فيها بمکة حر الاحجار، وبعمان هواء
لا ماء، بل کتابی وانا فی سلامة الا من الحر الذی يذيب دماغ الضب ويشبه
قلب الصب، وهذا سرقة من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول غارة
الکردی علی الحاجی ولا باول اخذ الطراز مال التجار، ولا باول تجمل المتکاتب
بکلام الکاتب، وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه، وهل اجرينا اقلامنا الا
علی آثار قلمه وبنانه، وهل اغترفنا الا من بحره، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره
وهل علی الارض عار ان تطلب سقيا السماء، وهل بالفقراء نقص ان ياخذوا
صدقات الاغنياء، وهل يعاب النهران يستمد من البحر، وهل يضع من الساری
ان يستنير من البدر، لا بل کتابی عن سلامة الا من مباينة الجمال، ومن عشرة
الجمال علی ان الجمال حمار وهو ينطق بلسان، وتشبه خلقته خلقة الانسان
لا بل کتابی عن سلامة الا من سبعی من کل حضرة بعد تلک الحضرة البهية،
ومن کل نفس بعد تلک النفس الزکية، فانی منذ لقيتها وزنت العالم باخف
صنجة، وقومت الدنيا باوکس قيمة، علی انی ما خرجت منها الا طريد حياء،

وو قيذ عطاء، وفدت على الوزير ابن عباد وحقيبتي مملوءة رجاء، وصدرت عنه وهي مملوءة مدحا وثناء، ولقد غاص في معناي على درر قانوص من الكرم اخترعها ونوادر من الجود ابتدعها، لو كانت ابياتا لكانت اوابد، ولو كانت قصائد لكانت قلائد، ولو كانت الوانا لكانت غررا، ولو كانت حليا لكانت دررا، فلما رأيت ان لا ازداد في صنائعه طبقة، ولا ارتقي في نعمه درجة، الا ازددت عنها تبلدا وبحقها تقاعدا، هربت لأكون اوحد في الهزيمة من الجميل، كما انه اوحد في بذل الجزيل، ولأغرب في الهرب على الشعراء، كما اغرب في العطاء على الرؤساء، وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع والفحواء، وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه، خلفت على القاضي من دقائق اشغالي ما اذا تفكرت فيه قرعت له سني، وتعجبت منه ومني، ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير، ونطت الحقير بالخطير، ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يحل عن دقيقها، ولم يدق عن جليلها، وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب وافتراس الثعلب وان كان يفترس الفيل ويصطاد الزنديل، فاما انا فاني اخترت لغرس مودتي من تركو تربته وتم صحبته، وانزلت حاجتي بمن داره مفيض حوائج الاحرار وبابه مثابة الشكر من الاقطار، ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه، والى حجابه وكتابه، علم انه لم يلتقطهم الا بوافد الفراسة، ولم يغض عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية، وانه طالعهم من وراء العواقب بمرآة من التجارب وانه الوجيل اذا قدح بالظن اثقب واذا ولد بالرجاء انجب واذا نظر الى الناس عرف النقاية فلمقاها، والنقاية فانتفاها، وعلى هذه الجملة كان اختيار القاضي فصادف صنعه مصطنعا، ووافق بدره مزدرعا ووقع الجميل منه موقعا، ليت القاضي لا يقول هذه الحاجة لا تساوي كل هذا الملق، وكل هذا السجع الملفق فاني لم يبق في قلبي سجعة الا نثرتها، ولا في لساني فضلة الا احضرتها والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب بانشاء الشوق اليه، وكثرة التلهف

عليه، وكتبته يد الحمد والشكر، واملاه لسان الحديث والذكر، وعزيز علي اني في هذا الفصل الذي هو شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان غائب عن مجلسه الذي حضوره شرف دهر، واستئناف عمر، ورفعة قدر لابل عن وجهه الذي اذا لقيته لقيت به السعد طالعا، والنجح مطالعا، وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن، وهيكل الاحسان والحسن، والدهر غريمي في استئناف تلك الحالة القديمة، ومراجعة تلك الحضرة الكريمة، وانا راجع، فهل الشيخ مراجع، وانا تائب، فهل رضى الشيخ الى آئب، وسالقى اليه ربقتي، واوقف عليه طاعتي، فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت، واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت، وطالما تقدم عتاب وتاخر اعتاب، وطالما زجي لساعي بالضرب فخاب، ورمى بين الاحرار سهمه فما اصاب، وطالما كان قليل الهفوة، ويسير النبوة وعارض الجفوة، سببا الحميد لرضى، وكريم العتبى، وكثير الرحمى، لا بل الاصل خلف القطيعة ابقى، والمودة بعد النفرة اخلص وابقى، لان العتاب قد صفى ماء ها، وجلا اقذاء ها، وابرز عن غش مفسديها، ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها، وان دام الشيخ على حقده، ولم ينحل عن عقده، لم يجد لي بحمد الله كاسد الشعر، رخيص المهر، قوي الجزع ضعيف الصبر، ولم اسقط عليه سقوط الذباب في القدر، وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم، وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم، ولقد خصني من بين الازمان زمن لئيم، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم، حيث صرت الزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحتري، واضايق في ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوي لابي تمام الطائي حيث قال البحتري

ولم لا اغالي بالضياع وقد دنا	على يدها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتلالها	وكان عليكم عشره وخراجها

وقال ابو تمام الطائي

فدع ذكر الضياع فبي شماس	اذا ذكرت وبي عنها نفار

ومالي ضيعة غير المطايا ... وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فلليس رؤساؤنا برؤساء، وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء، وقد عرف الشيخ اني لا اقيم على الخسف، ولا احل الا خطة النصف، فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها وسنانها، فعل

وله رحمه الله تعالى

ورد علي كتاب من ورائي، من اسرتي ووكلائي، يذكرون فيه ان الشيخ قد ترك لهم خراج هذه السنة، وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة، ومثله من عقب الفساد بالصلاح، وعفى بالمراهم على آثار الجراح، وانا اعلم ان ماكان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة، وان ماكان منه من الاخرى كانت قصدا وعمدا وفطرة، فان الكريم اذا اساء فعن خطية، واذا احسن فعن عمد ونية والحر اذا جرح اساء، واذا خرق رفا، واذا ضر من جانب نفع من جانب وان يكن الفعل الذي ساء واحدا، فافعاله اللاتي سررن الوف والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه، ولفاضل يستخلصه ولعارفة يسديها، وصنيعة يوليها، ورغبة يعطيها، ومعال يوشيها، وكريمة يجليها، ومهمة يكفيها، وملمة يكدوها، وايام كايامنا هذه يداريها، ودولة سامية يليها، وجنية من جنيات الكرم يجنيها، ومسعاة من مساعي الشرف يبنيها، وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها، وغاية من غايات الفضل يحتويها ومسبوق اليها اهاليها، وصفوة من المعالي يصطفيها، وحسنة يرغب فيها وفي ذويها، اسئل الله تعالى ان يعينني على شكره، وان يزيدني من بره

وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه وهو باصفهان في توفيت الوزير

كتابي طال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته، ومن مستقر عزه الى مستقر عزه، فانا بما تبغي من عنايته، وشيعني من عساكر حياطته ورعايته، ونسبت اليه من خدمته، ولاح على صفحات احوالي

من مواسم نعمته، صالح الحال، بل ناعم البال، راض من الايام والليال، والحمد لله ذى الجلال وصلى الله على محمد والخير آل، قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير انى اتوصل الى بره، واكرع من بحره، وارد شريعة نواله، واضرب عطفى بين جاهه وماله، اذا وردت حضرته البهية، وطالعت طلعته الزكية، فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب، ولم تصافحنى ايدى الرغبات والرغائب، فاذا انا بنعمته يشيعنى غائباً كما تتلقانى حاضراً، وتمشى على عقبى ظاعناً، كما تنزل بعى قاطناً، كالغيب يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر طلوعها على الحاضر وذلك انى وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته، المكنوفة بافضاله وفضله، فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام، ومن دقائق الافضال والانعام، ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة، وجعل ايدى التعديد قاصرة مقصورة، وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية وضرب فى قالب الفتوة والانسانية، وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار و يصرفها على حكم الاختيار، اوله ثناء جميل وآخره عطاء جزيل وفيما بينهما ترحيب وتأهيل وتعظيم وتبجيل برحتى سر، وعظم حتى فخم وافضل حتى اخجل، وتركنى اتردد بين محاسن قوله وافعاله، واجيل طرفى بين طرفى تنزيله وانواله واذكر به اخلاق الوزير التى ما رأيت كريماً الا ذكرنيها الاستيفائه منها، ولا لئيماً الا مثلها لى لتخليه عنها يذكرنيه كل خير رأيته وشئ فالنفك منه على ذكر، وكيف اتعجب من علق الوزير انخذه، ومن سيف بنانه شحذه، ومن جواد هو ضمرة للرهان، ومن جوهر هو علمه نسخة الحسن و الاحسان، ومن تلميذ استفاد منه، وخريج صدر عنه، فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفرى وان الخيل على حسب فرسانها تجرى وحق لنهر انشعب من بحران يكون غزيراً، ولنجم استضاء من بدر ان يكون منيراً، على انه بالآباء تقتدى الاولاد، وعلى اعراقها تجرى الجياد،

والسيف ما لم يلف فيه صيقل	من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سأل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنهم فقال له السائل اني لم استكثر منه فصغر لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول في جم هذا شرده، وفي سيف هذا اثره، و في كريم هذا نتائج سودده، وآثار يده، فسبحان من جعل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبة وتحيط بي من جوانب الستة، فاذا حضرته طالعني واذا فارقته تبعني

	نفى كل نجد في البلاد وغائر		مواهب ليست منه وهي مواهبه

المصيبة التي فرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها وحقق في مغفرته املها وان كانت نالت كلا من خدمه، ومتحملي اعباء نعمه، بالغم الذي لا تنجلي كربته، والجرح الذي لا تؤسى ضربته، وخصني من بينهم بالنصيب الاوفر، والقسم الاكثر فاني غار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا، واتطير لنعمته ان تتحلها التعازي والمراثي ثانيا، وآنف له من ان اقيم مقام من يوعظ وينبه ثالثا، والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة، والخواطر مجيبة، والشعر ليس بعازب، و الشيطان ليس بغائب، والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عام ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

	يعلمن حين تحيي حسن مبسمها		وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لالحقته بها، وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وبمائه، ولا مرتع للبكاء والفجيعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه، وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناه واخطأت حوادثه حوباه، فما ثم ما يأتيه صغير محتقر، ومنسي مغتفر، وباطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلام ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة، ولم يخلد الى الغيبة، ولم يدخر شعره، ولم يخبئ بعد عمرو سر عطره، والله ما انصفنا ولي نعمتنا، ومالك رقنا، وجالب رزقنا، فيما نشاركه في نعمائه، ولا نشاركه في بكائه، ونساهمه في احوال الرخاء، ولا نقاسمه احوال البلاء ولا نساعده على البكاء، ونتحمل اعباء منته، ولا نتحمل اعباء محنته قضية والله سدمية، وسنة جدوبية، لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة

والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة، وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفة، والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة، ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يزكو طريفه على تليده، ويقع عتيقه وراء جديده، وارانا الله جماعة اوليائه فيه، ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته، ويأتي على صالح دعائنا برحمته، فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله، وقلد في نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهب وعلى لبه ضرب وكأن خدم الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم، وتكافؤ احوالهم، حلقة مفرغة، لا يدرى ما طرفاها، وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها، وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا، وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا، والوزير اوسع لمكافات خدمه، فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم من نعمه، ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه، ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه، ومدار الاحسان في الاستحسان عليه، وما عسى اقول في مدح الوزير ونعمه، الآن استعير لسان طفيل الغنوي فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا	تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكتب ايضا الى بندر رئيسا بور من الري لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن سلامة مشتبكة، و حال بجميع احواله متمسكة، والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا، وعلينا به آخرا وقد صدر كتابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه يعجبه، وهزل لم اشك انه يطربه، والجد في غير وقته كثافة، كما ان الهزل في غير موضعه سخافة، وخير الكلام ما انتزع من ضده المضحك، ورتع بين هزله وجده، واستوفى صفة القائل رحمه الله تعالى وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء، ووردت ايد الله سيدي من حضرة الوزير على رجل ذارته الرفعة تواضعا، والصيانة تبذلا،

حتى كان الايام كتبت له وثيقة بان يستبقي جميل عهدها بجميل عهده، ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده، وكان صروف الدهر شارطته انها لا تفي له حتى يفي لاخوانه، ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه، وما ظنك برجل نفذ توقيعه في البر والبحر، وجاز حكمه في اهل نجد والغور، وخدمه اعيان العرب والعجم وقبل يده ملوك الجبل والديلم، وصارت لحظة منه تغني، ولفظة منه تفني، وسطر من سطوره يحيي املا، ويقرب اجلا، وخلوة من خلواته تزيل نعما، وتحل نعما، وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة، ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا، وعلى سجيته المعروفة المالوفة توددا وتحببا، يصل بشره، قبل ان يصل بره، ويحيي القلوب بلقائه، قبل ان يميت الفقر بعطائه، اكرم الناس عليه، اكثرهم حوائجا اليه، وابعدهم منه، اشدهم انقباضا عنه، حتى كان الله تعالى لم يبلغه ما بلغه، ولم يسبغ عليه ما اسبغه، الا ليكذب الفرزدق في قوله

قل لنصر والمرء في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا	
فاذا زالت الولاية عنه	واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم في قوله

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة	اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد حضت به بحر الغنى، وركضت به في ميدان المنى، ورايت يقظان، ما لم اكن احتلم به وسنان، وزفت الي الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما تقاعد عن نشره، واصغر عن قدره، ولست امسح من البياض بالمقدار الذي يسع تفصيل هذه الرغائب ويستوي في اقسام هذه المواهب، ولكني اقتصرت بالمكاتبة على الجملة واكل التفصيل الى المشاهدة فلسان العيان، انطق من لسان البيان، وشاهد الاحوال اعدل من شاهد الاقوال، وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله ورجع الى اصله، واحب ان يرى عليه عنوان اليسار، ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في معرض الاستظهار، ويعلم الناس انه زرع رجاء فحصد

عطاء، واسلف من الكلام عرضا زاهقا، فاخذ من المال جوهرا نافقا، وفرح الشاعر
اذا قبل شعره، ونفق سعره، كفرح التاجر، صاحب الجواهر، اذا اشتريت يتيمته،
والشيخ ابي لبنته اذا خطبت كريمته، وجدت فلانا وفلانا نديما ابن العميد رحمه
الله وقد لبسهم الخذلان ثيابه، ونفض عليهم الادبار ترابه، ونبذهم الاقبال
وراء ظهره، ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه، فهم ارخص من الثمر بكرمان، واضيع من
الورد في شهر رمضان، واثقل من الفرو في حزيران، واكسد من ابي بكر الخوارزمي
بخراسان، وكذلك تكون مصارع البغي والعدوان، وحقائد البهت والبهتان،
ولقد جلسوا على قارعة الامصار، واعترضوا بيد التحكم والاقتدار، واستهدفوا
لسهام الايام والاقدار، لولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل
مانع، ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع، هذا وقد ولغوا في دمه، و
رتعوا في لحمه، وخبوا واعنقوا في ذمه، بل في شتمه، فلم يبقوا في القوس منزعا،
ولم يتركوا للصلح موضعا، فلما دفع الاقبال ربقتهم اليه، وصارت حياتهم وموتهم
في يديه، اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة، واسبغ فيهم حكم الصحيح بعد المقدرة
وقلم عنهم اظافير الحدثان، وقام دونهم في وجه الزمان، وما قتلهم الا يوم احياهم
ولا افناهم الا حيث استبقاهم، ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة، والى عراق حرة
لكان النظر الى عين الشمس اقوى عينا من نظر الى طلعته، ولكان المقام في القفر
بل في القبر اهون عليهم من المقام في حضرته، ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم
الحياء والتندم، فلعن الله تعالى من لا يعرف الالم الا في جسمه، ولا النقصان الا في
ماله، ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الانطلاق، ومن لا يعد الا حفظ اللغة و
الاعراب ورواية اشعار الاعراب هذا جسم الادب فاين روحه، وقشر الفهم
فاين لبه، ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين، شريف الجانبين مهذب
العرق حسن الخلق والخلق، ولو كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف
ناصعة الظرف وفيه جميلة العشرة للاهل ولو كان كفران النعمة طعاما لكان
قذرا ووضرا، او شرابا لكان عكرا كدرا ولكن كل انسان ينمى الى عرق اوليه
وكل اناء يرشح بما فيه، وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير، ولا اقابل نعمه

لا اسكر ولكن احب لرئيس مثله ان يختار ندماءه، وان يشترط على المجانس جلساءه
وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث
حظوظ الجدود والاقسام، وان يكون افضاله عليهم، على مقدار ما يجده من الفضل
اليهم، ليكون قد صاب بمعارفه مظنة الاستحقاق، ولم يلقها على
طريق الاتفاق، وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد، وانتقد فلم يظلم الانتقاد
فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار
ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار، فذلك مما يضيق عنه مسالك الحرية،
وينطق بخسته لسان الانسانية، ولقد كشفت الايام من حلم هذا
الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين، ولم تقرع بها اذن، ولم يعثرها بها ظن
فصارت صلاته من الآجال كصلاته من الاموال، وتصدق بعرضه على
اعدائه، كما تصدق باموالہ على اوليائه، ليكون الجود متكافئ الطرفين، و
السؤدد متعادل الوصفين، ولئلا يبقى في الكريم غاية الا انتهى اليها، ولا
للمدح جلية ولا دقيقة الا غاص عليها، فلان قد ابطأ علي، فليت شعري الريح
قلعته، ام الارض ابتلعته، ام الافعى نهشته، ام السباع افترسته، ام
الغول اغوته، ام الشياطين استهوته، ام اصابته بائقة، ام احرقته صاعقة
ام رفسته البغال، ام اغتاله الجمال، ام انكسر على ظهر جمل، ام تدحرج من رأس
جبل، ام وقع في بئر، ام انهار عليه جرف شفير، ام جفت يداه،
ام قعدت رجلاه، ام ضربه الجذام، ام اصابه البرسام، ام جمش غلاما
فقتله الغلام، ام تاه في البر، ام غرق في البحر، ام مات من الحر، ام سال به
سيل راعب، ام وقع فيه سهم من سهام الآجال صائب، ام عمل عمل
لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود، مسومة عند ربك وما هو
من الظالمين ببعيد، وكان في بر وقد سمع هذا الفصل فغضب علي و
شتم طرفي. وما اردت بما قلته غير الشفقة، ولا نطقت الا بلسان المقة
وانما اتبعت فيه السنة، فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحب الفال ويكره الطيرة، وهذه مزحة خفيفة، وان كانت ثقيلة عليه

وظريفة وان كانت سخيفة لديه، ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه، وقد اعتذرت والعذر وان قل، دواء كل ذنب وان جل، والسلام

وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب، وبالصلح بعد الحرب، ورد الله تعالى علي من الاقبال، ما كان غصبنيه البخت الغاشم، والخط الغادر، ورد كيد الساعي في نحره، ورد غصته في صدره، والحمد لله تعالى على نعامه علينا بما ليس له عندنا شكر، ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر، فما اعظم النعم على غير الشاكر، وما اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر، ذكر سيدي حال تلك الضيعة الضائعة، التي اول عهدي بها آخر عهدي بالوجه المصون، والعرض المخزون، والخطب يد الله تعالى سيدي في تلك الضيعة جليل، والحديث فيها طويل، لا اسعه حتى اعقد لعجائبها حسابا، واصنف فيه كتابا، واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا، يرتبونه بابا بابا، ويجعلون له رؤسا واذنابا هذا بعد ان اشتري كاغد سمرقند كله، واجري قصب الدنيا دقه وجله، و يكون مدادي ماء البحر، وعمري عمر النسر بل الدهر، وما ظن سيدي بضيعة الزمتني الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير، واستأدتها الوعية والامير واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين، وجمعت علي فنون الاغنياء وغم المساكين، وتشغلني صداعها عن اشغال الدنيا والدين، يستغل الناس الغلة وانا استغل القلة والذلة، ويزرعون في الارض حبا، فيحصدون حبوبا، وانا ازرع في قلبي كربا، واحصد كروبا، وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت استخدمهم، واسلم على ناس كنت اذا كلموني لا اكلمهم، ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجبته، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته، قد كنت ابغض الهوان اذا مر ببابي، فاليوم قد دخلته داري وبين ثيابي، والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل، ومن يطالب بالقتيل وهو القاتل والسلام

وكتب اليه ايضا

كان الحاكم قدم في امر ضياعي واباحاه، ربما قوي حسن ظني، وانا غائب وحفظ الصديق حاضرا ود، وحفظه غائبا عهد، ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء، ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء، فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير، ودب الى الحاكم حوادث البشر، ووقع في تلك الضيعة من الصنيعة، وفي تلك الغلة من الفلة، ما بغض الى المال وحبب الى الفقر والاختلال، وتركني كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين وانهزمت فرسخين، والتفت ديد بانين على مرقبين، وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان، فاذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر، واليسر هو العسر، لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجمل من الغنى حالا، واقل منه اشتغالا، لان الفقير خفيف الظهر من كل حق منفك الرقبة من كل رق، لا يلزمه اداء الزكاة، ولا تتوجه اليه غوائل النائبات، ولا يستبطنه اخوانه، ولا تطمع فيه جيرانه، ولا ينتظر في الفطر صدقته، ولا في النحر اضحيته، ولا في شهر رمضان مائدته، ولا في الربيع باكورته، ولا في الخريف فاكهته، ولا في وقت الغلة شعيره وبره، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره، فانما هو مسجد يحمل اليه، ولا يحمل عليه، وعلوى يؤخذ بيده ولا يؤخذ من يديه، يتجنبه الشرطي بالنهار، ويتوقاه العسس بالليل وفي الاسحار، فهو اما غانم او سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه، وصيد كل نفس طالبه، وطبق موضوع على شارعة النوائب، ومنصوب على مدرجة المطالب، تطمع فيه الاخوان ويأخذ منه السلطان، ويتطرق اليه الحدثان، ويتحيف ماله النقصان فاذا كانت حاله حالي فوقع عليه اسم الاغنياء، واصابه من الضر ما يلحق بالفقراء فقد نظم له بين المحنتين، وخرج عليه الزمان من كمينين، لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب، وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب، فلا هو غني فيتسلى بوفره، ولا هو فقير فيستريح الى فقره، فهو كمؤدي الخراج وليس له غلة، وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة، فقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة وخسر الدنيا والآخرة، ولولا ان تضييع

المال

المال، ضرب من العجز والاخلال، وخصلة من خصال النساء لا الرجال لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا، واجعل حديثها بساطا مطويا، ولكني لا اغبن عن الصغير، كما لا اخل بالكبير، ولا اغالط في القليل، من حيث لا اضايق في الجليل، ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول، كما ان المعدوم مسئول، وما ارخص الماء اذا وجد، واغلاه اذا فقد وربما غلا الشيئ الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم ويطلع نجم الهم، ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وكرمه

وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه، وحرص كان عليه، وبعد ان اقترحته على الدهر، وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر، ولم ادر بايهما انا اشد سرورا ابالكتاب وهو اسير واصل، ام بحامله وهو اجل حامل، فلان ولدي قد اقتطعت له من فراغي فلذة على انني لو درسته حتى تحفى الاقلام ويفنى الكلام، وتحسر الافهام والاوهام، ثم لقمته العلم لقمة، وسبكت له الادب فقرة، والهمته جوامع الكلم وافرغت في خاطره اداب العرب والعجم، و خرجت له من حد الافهام، الى حد الالهام لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا، ولكان وقوعي دون ادنى مواجبه على ظاهرا، ولكن الاقرار عذر قوى كما ان الانكار ذنب طوى وقد كان هذا الولد ديباجا مجملا، فصار بحمد الله تعالى ديبا مفصلا، وكان اغر فصار اغر محجلا، وارجوان الله تعالى يحيى به مآثر سلفه الصالحين، ويعلى به منازل آبائه الاولين، وان يكون اولهم علما وادبا، وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

وله الى خلف بن احمد

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التى تفلق الصخر، والحكم التى تشرح الصدر، يامرني فيه التأدب باداب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير

علی بان اتدرع درعا من التماسك، وتردعنی داعیة التهالك، وفهمته ولعمری ان الرزیة بفلان رحمه الله تعالی وان کانت عظیمة تنسی العظائم، وتوهی العزائم، فان عظة الامیر مما یهون الخطب ویکشف الکرب ویداوی القلب ولقد ضربنی الزمان بحد حسامه، ورمانی بانفذ سهامه، فان اجر علی سبیلی الاولی فی الجزع، وادرع داعیة الوجد والهلع، فلعظم خطب الرزیة، ولثقل وطأة البلیة، ونفوذ السهام النبلیة، ولئن استسلمت للقضاء، واستقبلت قبلة الصبر والعزاء، فلبلاغة العظة، وللزوم الحجة، ولما وفق الامیر له من مداواة القرحة، وردضا ة السلوة، علی انی وثرالآخرة علی الاولی واحمل التأسی علی الاسی لاکتسب بذلك مرضی الله تعالی فی الآجل ذخراء، ومرطاعة الامیر فی العاجل فخراء، فاکون قد نسقت بین الطاعتین، واستوجبت بهما الثواب فی الدارین، ولا کون قد اصبت بمصیبة احاط بها اجران، وابتلیت بعسرالکنفه یسران، فاذا المحنة فرادا، واذا النعمة مثنی والله تعالی یرحم الماضی رحمة تضیئ قبره، وتحط وزره، وتضاعف اجره، وتلحقه بالنبی صلی الله تعالی علیه وسلم وعلی آله وعترته، وبمواليه وشیعته، لیرتع معه فی روضه، ویشرب بیده من حوضه، ولیحشر فی اعلام اهل دینه، ویعطی کتابه بیمینه، ویطیل عمر الامیر حتی تصیر خدمه من ابنائه، ویعز نصره حتی یکون خدمه وحشمه من ولاة اعدائه، ان رأی الامیر فی هذه المخاطبة لفظة ینبو عن قبولها طبعه، ویتجافی عن استماعها سمعه، صرف ذلك الی دهش الروعة وشغل القلب بالفجیعة، علی انا ان اصبنا فبدولته، وان اخطأنا فلهیبته،

وکتب الی ابی قاسم بن ابی الفرج کاتب رکن الدولة لما عزل

انا اهنئ الدنیا یوم عزلك، کما کنت عزیتها یوم ولایتك، فلئن عد اقبالك فی مثالبها لقد ذکرا دبارك فی مناقبها، ولئن کانت عوتبت یوم رفعتك، لقد اعتبت یوم وضعتك، وانت والله الجلیل یسر بفراقه والخلیل اهنئ بطلاقه، ولقد کان معرض النعمة قبیحا علیك

مستغيثا من يديك، كانك ابا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لا بد يوما	مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لتترجم عن قول الآخر

سنعزل ان عزلت ولا نساوي	صنيعك في صديقك نصف فلس

لا بل كانك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار، ويقوى طمع الاشرار، ولتصل زيادة في نوب الايام الى الكرام، وحجة عليها اللئام، ولقد خالفت قول الحجاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا	يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا، ونكبت فلم تملك استك ضراطا نضقت عن احتمال الفرحة، كما عجزت عن احتمال الترحة فلم توجد يوم سعدك شاكرا، ولا يوم نحسك صابرا، فالحمد لله الذي جعل امسك لنا عبرة، ويومك لنا نعمة، ولا عدمنا فلكا دار بردك الى قيمتك، وصير حالتك في وزان آلتك، فلا زلت بعد ها غضيض الطرف، راغم الانف، صديقك يرحمك، وعدوك يظلمك ويتهضمك، اقرب الناس اليك اكثرهم بكاء عليك، وادناهم منك، اشدهم هربا عنك، والسلام على من قال آمين

وكتب الى ابي علي البلعمي بعد ابيات استبطأ جوابها

قد حملت الى الحضرة الشيخ ابياتا عاتبته بها، بل عتبته فيها، وهي عروس كسوتها القوافي، وحليتها المعاني، ولعمري لقد رففتها الى كفؤ كريم، وعوضتها من كرمه على قيم عظيم، فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين، مائة سنة على مئين، وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه، ولا يميل اليه قلبه، والعاقل اذا ابغض انصف واذا احب الطف وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق الى مهرها وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها، وليعلم انني غريمه فيها، وخصمه عنها، والسلام

وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور ابو الطاهر محمد بن ابراهيم

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبي وانبئك فيها بحبري، وافضي اليك بعجري وبجري واستأمنك في جل احوالي ودقها، وفي باطل اشغالي وحقها، ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلبا يعقل ولا بنانا يعمل واقل ما لحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل ويشيب بها الطفل ويتوقع معها الموت بل القتل ولقد نشبت بين اظفار الخوف وعقلت بحبالة الحتف فلا انا لما ورائي آمن ولا لما امامي آمل وما كنت احسب اني انظر الى قبري قبل انقضاء عمري ولا اني ارى شخص ملك الموت في حياتي قبل ان يجيء وقت وفاتي ولعمري لقد رأى لحاسد ما كفاه وشفاه، واضحكه مني مثل ما ابكاه فلئن كان وشى بي الواشي لقد بلغ، ولئن كان قد تعني في افناء اجلي لقد فرغ ولقد كنت ارجو ان يسعني ما يسع الاحمر والاسود ويشملني ما شمل الادنى والابعد ولقد عتذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت وان تكن الاخرى فهذه عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد فالى اين المهرب من الفلك الدوار، ومن القدر الجبار، ومن خطو الليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنه واسع، ومن المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه، والايام منخرطة في سلكه، وهل الهارب من الجد ودالا كالهارب اليه وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان ومن ذا يبيت على وساد الثعبان ومن ذا يرجو الدواء والموت داؤه، ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه، فلان قد احسن المحضر وحارب عني القضاء والقدر وليس الكرم عن مثله ببديع ولا الجميل من اهل بيته بنزيع، فانما يجري على عرق جاذب ويعمل على قياس واجب واني لالهف عليه تلهف آدم على الجنة، واحبه حب الصحابة للسنة واشتاق اليه شوق الوجه سؤاله، واعشقه عشق لبذل نواله، والسلام

وكتب الى ابي علي البلعمي لما بلغه منه عتب وخرج توقيعه بالتقريع

ذكر الشيخ اني تنقلت بعرضه المصون، وتمندلت بقدره المكنون المخزون وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا

صفاة حلمه ويخترقوا بباطيلهم طريق عزمه وحزمه ولقد هدم على الوشاة حصنا كنت اعددته وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته وسلبوني علقا نفيسا اشتريته بنفسي لا بمالي وحاربوني بعدة كنت احييها نهاري ولقد كنت ارى البعيد به قريبا مني واسري في الظلماء بضوء رضاه عني

فمن لي بالعين التي كنت مرة … الي بها في سالف الدهر تنظر

وما انا هارب من نفسي فانها ان غضب الشيخ علي كانت اقرب اعدائي الي ومتهم لاعضائي فانها عيونه وجواسيسه لدي ومن عاداه الشيخ حاربته نفسه وزحف اليه نحسه وصار خير يومه امسه

ولا وساد على سم الاساود لي … ولا قرار على زار من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين ويسعى بالنميمة بين المحبين فلقد حارب بسلاح كليل الا انه قطع وضرب بعضد واهية الا انه وجع وانما النمائم من سلاح النساء ومن حصون الضعفاء

وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه

او بغير الماء حلقي شرقا … كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء من لا يهتدي الى وجه الداء وكيف يلاقي اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء وكيف يعالج ملة القرحة العمياء ام كيف يسري بلا دليل في الظلماء ام يخرج الهارب من بين الارض والسماء الكريم ايد الله تعالى الشيخ اذا قدر غفر واذا وثق اطلق واذا اسر اعتق ولقد هربت من الشيخ اليه وتسلحت بعفوه عليه والقيت ربقة حياتي ومماتي بيديه فليذقني حلاوة رضاه عني كما اذاقني مرارة انتقامه مني ولتطلع على حالي غرة عفوه كما لاحت عليها مواسب غضبه وسطوه وليعلم ان الحر كريم الظفر اذا نال اقال وان العبد لئيم الظفر اذا نال استطال وليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار ولينتهز فرص الاقتدار وليحمد الله تعالى الذي اقامه مقام من يرجى ويخشى

ورکب نصابه فی رتبة شاب الزمان ومجدها فتیٌ واخلق العالم وذکرها طریٌّ فجعله فی المیلاد کریمها وسلیلها، وفی الرتبة قدوتها وجلیلها، ولیعتقد انه قد هابه من ستره ولم یذنب الیه من اعتذره وان من دعا علیه عذره فقد خرج الی الشجاعة بعد الجبن واخرج ذنبه الی صحن الیقین من ستره الظن وفقه الله تعالی الشیخ لما یحفظ علیه قلوب ولیائه، وعصمه بما یزید به فی جماجم اعدائه، ولیس بین الموالاة والمعاداة الا لقیة بشعره، او لفظة تقذعه

وکتب الی ابن سمکة القمی وقد اهدی الیه مع کتابه هدیة

لما وردت الناحیة تسالبونی تسالب الطرفة، وتهادونی تهادی السماعة، و وزنونی بمعیار الامتحان، واجرونی فی میدان الرجحان النقصان فوجدونی بحمد الله تعالی جوادا یجری ما وجد مذهبا، وهزوا سیفا یقطع ما صادف مضربا، ولقد عاینوا رجلا هون علیهم من قبله، و بغض الیهم من بعده واجلت الغمرة عن المزور وهو حامد، وعن الزائر وهو شاکر، حملت الی سیدی کتابا غیر طامع فی قضاء حق من حقوقه علیّ ولا متوغبا رحسنة من حسناته لدیّ ولو اهدیت الیه تاج کسریٰ وخراج الدنیا، وخاتم سلیمان، و ذخیرة الهرمزان، وصدقة البصرة، وجوهر الشمسرة، وکسوة الکعبة مع الدرة الیتیمة، معجواهر الخلافة، نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائیلیّ وکنز النطف بن حبر التمیمیّ وملک عمرو بن حریث المخزومیّ ولو کسوته البردة النبویة، واعطیته الشطرنج الکسرویة، ولو غرست شجرة طوبی فی داره واجریت نهر الکوثر علی بابه، وجعلت ارم ذات العماد التی لم یخلق مثلها فی البلاد فی قبضته، ولو قلت فیه ما قال حسان بن ثابت فی آل جفنة، ومدحته بما مدح به زهیر هرم بن سنان بن ابی حارثة، وشهدت له بما شهدت به الخنساء لاخویها صخر ومعویة، وصنفت فیه ما صنفه الجاحظ فی محاسن احمد بن ابی داود الایادی، واغرقت اغراق الامامیة فی المهدی وفضلته تفضیل الشیعة للوصی علیه السلام، واعتقدت فیه اعتقاد النصاری

في المسيح اولاً، واعتقاد المانوية فيهما في ثانياً، وانقطعت اليه انقطاع
الاخطل الى بني مروان، واعتذرت اليه في تقصيري عن مدحته
اعتذار النابغة الى النعمان، ثم لم ادع بيتاً نادراً، ولا مثلاً سائراً الا جعلته
سلكاً انظم به محاسنه، وقيداً اقيد به مناقبه، حتى افني في ذلك بياض
سمرقند واحفي اقلام مصر وواسط واشغل فيه وراقي الكوفة وكتاب السواد فانهم
منبع هذه الصنعة، ومعدن هذه الحرفة، لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف
الجمحي للطالبين وتجرد مروان بن ابي حفصة للعباسيين، واتعبت في ذلك
الكرام الكاتبين، حتى تركتهم محمود بن لاعبين، لما كنت الا مقصراً ولكني اذا
قررت عذري، واقررت بتقصير سيري وقصور قدري، فقد جاوزت
عقبة الاستزادة وسيدي اعلم بخفايا عقدي، واعرف بحال عندي والسلام

وكتب الى تلميذ لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

كتابي وقد خرجت من البلاء، خروج السيف من الجلاء، وبروز البدر من
الظلماء، وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه، ودعتني وهي مودع
لا يبكى عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجليها، ونعمة ينيلها ويوليها، كنت اتوقع
امس كتاب الشيخ بالتسلية، واليوم بالتهنئة، فلم يكاتبني في ايام البرحاء
بانها غمته، ولا في ايام الرخاء بانها سرته، وقد اعتذرت عنه الى نفسي
وجادلت عنه قلبي فقلت اما اخلاله بالاولى فلأنه شغله الاهتمام بها عن
الكلام فيها، واما تغافله عن الاخرى فلانه احب ان يوفر على مرتبة
السابق الى الابتداء، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء، لتكون نعم الله
تعالى موقوفة من كل جهة، ومحفوفة من كل رتبة، فان كنت احسنت
الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب الي بالاستحسان
وان كنت اسأت فليخبرني بعذره، فاني اعرف مني بسره، وليرض مني
باني حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي وقلت يا نفس
اعذري اخاك، وخذي منه ما اعطاك، فمع اليوم غد، والعود احمد

وكتب الى احمد بن شبيب

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم، بل خلقت لبذل الدينار والدرهم، بل خلقت لامساك العنان والعلم، بل خلقت للنعم والنقم، بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم، فرويته لما رأيته، وحفظته لما لحظته، ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته، والمدهر راويته، ولما اجلت فكري فيه، و احطت علما بمعانيه، ورتعت بطرفي وخاطري في مقاطعه ومباديه، وتفكرت في رتبة صاحب الجيش في الرتب وفي رتبة كتابه في الكتب، انشدت

ولما رايت الناس دون محله	تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه، الى الجواب عنه، ولكن بعض الاجوبة خدمة، كما ان بعض الابتداآت نعمة

وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

كتبت ايد الله صاحب الجيش قد خرجت من تلك الاهوال، خروج المشرفي من الصقال، لا بل خروج البدر من خلل السحاب وحالي الآن بين الرجا والقناعة متماسكة والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله صفوة الله، وصل كتاب صاحب الجيش وافادني من خبر سلامته ما غفرت لذنوب الايام الي وجنايا تها علي وفهمته فوجدت صاحب الجيش في غضبه على رقيق صفحة الاحتمال، قريب غور الصفح والاجمال، مضا[illegible]قا من حيث تتوسع الكرام، مخالفا لما توجبه الاحلام، يفطن للذنب الخفي ويتغاضى عن العذر الجلي، لا ينزل في المكافاة الا على حكم الاعداء، ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء، ولا يعلم ان العبيد على الموالي ذمة وان كان عليهم حق، وان للمماليك من طريق العشرة احرارا وان لزمهم رق، هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذي يأخذ مثل ما اعطى ويستوفي على قدر ما اوفى واما انا فما دللت على صاحب الجيش لا طرق له على الى الاحتمال، ولا وفر

له نصيبه من الفضل والادلال على انه يحمل التواضع على التكبر، ويميل مع المحاباة على النقد، فاذا اخذنا في طريق المؤاخذة، وعاشرنا على المكايلة والموازنة، فما له عندي الا السكوت حتى يرضى، والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فاني اظن ان الدهر لا يرضى عني الا بقتلي، ولا يتوفر من اعناتي، الا عند وفاتي، وهلا حاربني الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعي للاقران، وكيف صبري عند الضراب والطعان، ولقد رماني الا دبار ببهم على اني لم البس له جنة ولم اعد لوقعه عدة، فاني والله لست بالصبور على مس العتاب، ولا بالقلب على وحشة الاحباب، ولاني لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكي السلاح ومن غرائب الغضاء، ونوادر اخبار السماء، اني ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا، ولا اضفى منه ذيولا، فليت شعري لم طول هذا التطويل، وجاء بهذا الكلام العريض الطويل، الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية في الشكاية ام لانه ما وضعني تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته وانهارت قوافي اجراف خطابته، ام لانه اراد ان يعرفني انه طويل مد العربدة مديد نفس المذمة والمحمدة، اذا شاء قال، واذا قال طال، واذا غضب كان عقابه جليلا، واذا رضي كان ثوابه جزيلا، ولم يبق الى الآن شيئ اعلل به قلبي العليل، واداوي به هي الدخيل، الا فرحي بما اسمعه من خبر سلامته في نفسه نفس الله تعالى مدتها، وفي سببها حرس الله تعالى جنبتها، ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان، وكل الطعام ياكل الغرثان، واستغفر الله ليس لي سلامة صاحب الجيش بالطفيف، ولا توزن الموهبة فيه بالخفيف، ولكن خوفي غضبه قد حيرني حتى سلبني عقلي، وحتى صيرني لا املك قياد قولي، وما اعتذر من هيبتي في مثل هذا المقام الهائل، ولا الام على دهشتي لهذا الخطب النازل، والشجاعة في غير مكانها خرق، والجلادة على ما لا يقتضي الحال حمق،

وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكي اليه وزيره حسب رضا

قرأت كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته، لا يفي بنداً متى على مفارقته، وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من أبواب المنن، وأغلقه عليه من أبواب المحن، فسبحان من إذا أغلق باباً، فتح أبواباً، وإذا قطع سبباً أوصل أسباباً، وإذا أبخل عباده فخزائنه مفتوحة، وإذا قبضوا أيديهم بالرزق فيده مبسوطة، وأنا إلى الشيخ مشتاق شوقاً لم يسم على القلوب لملأها صبوة، ولم يدع فيها سلوة، وما أشكو نفسي على أن تشتاق إلى من لا ترى منه بديلاً، ولا تجد إلى السلو عنه سبيلاً ويحسب الشيخ أن طرفي بطرفي معقود، وأن باب نسيانه وتناسيه على مسدود، وأني أن أصدرت كتابي إليه بالسلامة مع أن قلبي غير سليم من الألم، ولا صحيح من ألوان السقم فإنما أريد بذلك التفاؤل للكتاب واتباع رسوم الكتاب فلان قد بلغني إطنابه في ذكري وتفضيله لي على أبناء عصري وهذا أسلف أسلفنيه وأنا بمعونة الله تعالى أؤديه، وما أزن نفسي بالصنيعة التي بها زنني ولا أزينها بالفضل الذي به يزينني فإن كان كما قال فلعل الفضل دب لي ودرج من الكمين على لأني عاشرته فأعدلني فضلاً، وهذبني قولاً وفعلاً، وأنا في ذلك جنيبته إن قبلني جنيبه، وخليفته إن قبلني خليفه، ولقد أغرب ذلك الحر على أهل دهره، وخالف طريقة غيره، حين ذكرنا ونحن أصدقاء العسرة وإخوان الفترة، فلم يغيره السلطان ولم يطغه الشيطان، ولقد شهد له وحده بأنه كريم، ومن اللؤم واللوم سليم، على قضيته قول أبي تمام

وإن أولى البرايا أن تؤاسيه		عند السرور لمن آساك في الحزن	
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا		من كان يألفهم في المنزل الخشن	

وشهادة أبي تمام في الكرم تقوم مقام شهادة أمة بلا أم، ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الأنبياء والحكام، فإن أبا تمام ذو الشهادتين عند الأحرار والكرام ولي على ذلك الولد حق الأبوة، كما أن له على حق النبوة، والآباء أبوان أبو ولادة، وأبو إفادة فالأول سبب الحياة الجسمانية، والآخر سبب الحياة الروحانية والسلام

وله إلى فزن خوارزمشاه لما نكث

قد

قد امتدت مدة هذا البلاء، واوهمنا ان الدار دار البقاء، لا دار الفناء، وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام، وداعية الى قلة الاستنامة الى الايام، ونصرة لفعال اللئام على الكرام ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار، وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر الحمار، كانه لم يسمع في الخبر، بدل الاعور، اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا		بدل لعمرك من يزيد الاعور	

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التي تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انما انطقت الناس بالتوحيد وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد، اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب، ويتغرب اذا سمع الغرائب فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها		عجائب حتى ليس فيها عجائب	

فاما الآن فقد كان ما كان فانى ارى للشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبر ثخينا، ويولي الحوادث ركنا من التماسك ركينا، وان تجده الايام حرا، وان تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا، وان يدارى مع ذلك سلطانه، ويصغر بلسانه اساءته، ويكبر احسانه، ويروض لسانه في الخلق على شكره، لئلا يجمح به في الجلوة الى غيره، فانما ايام المحنة موج من نطاطأ له تخطاه، ومن وقف على طريقه ارداه، ومن قابل ايام الادبار بوجهه صدمته، ومن قاتل عساكر الاقبال في ايام كرها هزمته، ومن طالب السلطان بالنصفة طلب عسيرا، ومن حاسب على قليل من العتب لقى كبيرا، وآفة الناصح آلته، وعيب الكامل في وقت المحنة دالته، لانه يطالب بثمن نصيحته، ويدل على صاحبه بكفايته، ويعتقد ان طول الخدمة آكد حرمة، وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة، ولعمري ان ذلك كذلك ولكن الغضب ينسي الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبرى جنايات

	وانت امير المؤمنين وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر	

وكتب الى ابى محمد العلوى

لولا انى لا احب ان افتتح كتابى الى سيد بعتاب وان اكلفه الى تكلف جزو جواب لوجد سهامى فى الملام مسددة، وسيوفى فى التقريع محددة، وعلم انى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى واذا رميت لم تنج رميتى ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب لشريف كاتباء السعيد حاملاء المغبوط ناسخا المحسود راويا، وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان، ولا تمجه الآذان، وقد فرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكيت الحلبة، ولا انى ساقة الكتيبة، ولا ان اسمى آخر الجريدة، ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد، فانه اخو الفساد، واستجير من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين، وسقف لا يبقى الا على عمادين، وصفقة لا تتم الا ببيعتين، وان قوما انا اصغيرهم لكبار، وان امة ابوذر شرها لخيار، خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب انهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية، وانثلم جانب الانسانية وانهزمت عساكر الكرم، واغبر وجه السيف والقلم، ونضب ماء الحياء، وركدت ريح البهاء، وخرب بنيان العقل، وتضعضع جبل التوحيد والعدل، واخلقت ثياب الافضال والفضل، وتهافت نظم القول والفعل، ودك جبل السخاء والبذل، وانشد كل من وجد من فقده، ونظر الى تكل المكارم من بعده ما حال من كان له واحد، يؤخذ منه ذلك الواحد، وانا من بين الجماعة كالواله الثكلى، وكالفاقد الحرى، اقلب طرفى لا ارى من احبه، وفى البلاد من لا احب كثيره، اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خالية، والى ربوع الفضل عافية، والى سدة الشرف وقد خلا جنابها، واصطفقت ابوابها، انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا	كان الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسا، وللفضل امثل

شيخصا، اذا ناظره العربي صار اعجميا، واذا ناظره الاعجمي صار عربيا، واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره، وفارق فخره، فهو رفيق الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيله، وغرة الدهر وتحجيله، حضوته حضرة الآجال والاموال لابل حضرة الاقوال والافعال لابل حضرة الرجال والكمال، تنصب اليها مواد الرغبات، وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان وجمعها في زماننا هذا في انسان، فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل، ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل من غير ان يكون ظلم احدا او حابى احدا وصف عراقي خراسان فقال نسوانها كرجالنا ورجالها كجبالنا، ورايت انا اصفهان فقلت صبيها كرجلنا، ورجلها ككهلنا وكهلها كشيخنا، وشيخها كنبينا، ولم لا تخرج اهل تلك البلدة في قالب الكمال ولا يستوفون شرائط الرجال، ولا ينظمون في حلي القول والفعال، وهم يرون كل يوم واردا، ويشهدون وافدا، ويسمعون نغمه، ويطالعون نعمه، لان فيهم مثابة الجود، وقرارة الوفود، وكعبة الآمال ومحط رحال الرجال، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ويجلسون في سدته مع كل ناثر وشاعر، ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذي صناعة معاشية او معادية، والى ذي آلة رياضية او عقلية، فتترقى السنتهم وتصفو اذهانهم وتتنزه ابصارهم، وتدق افكارهم لاقتباسهم علم كل مكان واستماعهم تبيان كل لسان ولترددهم بين اللغات المختلفة، وبين اخلاق المتمايزة، فهم يبصرون ويستبصرون ويرون فيروون ويسمعون فيحفظون واين بهم عن ذلك وهم يترددون في مغيض العلم والادب وينزلون في موسم العجم والعرب وهنا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش لانست، ولو خوطبت به الخرس لنطقت، او استدعيت به الطير لنزلت، ومن جالس صاحب صنعة حذقها، ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار، ونعم الرسول الاسماع والابصار، كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه، والعين بل القلب مكانه، فان الغيرة على الكتب من المكارم، لابل هي اخت الغيرة

على المحارم، والبخل بالعلم على غير اهله، قضاء لحقه ومعرفة لفضله، و
انى لا احسد على الورقة من لا احسده على البدرة، وانا فرق خوفا وخوفين
ما لا انافس في دينار او الفين، واغار على الادب الكريم، من المتأدب اللئيم

وارثي له من موقف السوء عنده		اكرثيتي للطرف والعلج راكبه	

ولوددت لو ان يكون الادب في جبهة الاسد، ولو اصبحت الدفاتر في انياب
الاساود وددت لو ان كتب ورقة بدينار، اوكتب دفتر بقنطار، فلا يتادب
الاشياع كي، ولا يعز الدفاتر الاجواد سخي، طولت على السيد واكثرت
وتهذيت فيما حررت واضجرت ولسان الهذر ناطق بالضجر، والسلام

وكتب الى ابي العباس كاتب محمد بن ابراهيم قد طلب منه نسخة رسائله

قد سلفت الشيخ من شكري ما اوجب عليه صلاح امري، والسفارة بيني
وبين دهري، والسلف في الدراهم محظور مستقبح، وفي الشكر مباح مستملح
وحاجتي هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور
ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ في دراج المتاركة، ودخلت في باب
المساكتة، ثم ردني اليه، اني لم ار معدن الكرم الا عليه، ولا ارى منبع الارزاق
الامن يديه، طلب الشيخ شيئا من رسائلي فرحبا بانجح طالب واكرم خاطب
ويمن سعادة الصهر كرم اختانه، ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف
من نظر في ديوانه، ولو قدرت جعلت الورق من جلدي بل من صحن
خدي والقلم من بناني، والمداد من اجفاني، ولامليت هذه النسخة
على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة، ويجلدوه في بيت الحكمة، بل لو علمت
ان مثل الشيخ يطلبه، وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه،
لحاسبت عليه قلبي ولساني ادق حساب، وطالبت شيطاني بتنقيحه
وتهذيبه اشد طلاب، ولقلت لخاطري دقق طرزك، وجود
بزك، فان المبتاع كريم، والثمن عظيم، وقد قيل الراوية احد
الشاعرين، وانا اقول الراوية احد الشعرين،

وكتب

وكتب الى ابي الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل

كتابي عن سلامة لا تهنأ بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته
وعلى سلامتي في جملته، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي وعلى عترته
لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمني اليها، وانتظرني لديها،
فنزلت منه في اوسع منزل، وعلى اكرم منزل، اكرمني الشيخ نازلاً،
وشيعني راحلاً، وقضى حقي عاجلاً وآجلاً، وفي الجملة ان الشيخ وجد
امري ميتاً فاحياه، ورأى النجاح مني بعيداً فادناه، وصادف اقبالي
مريضاً فداواه، ولقد اراحني الشيخ ببره، بل اتعبني بشكره، وفرغني
بصادق قيامه، لا بل شغلني بتعديد احسانه وانعامه، وخفف ظهري من ثقل
المحن، لا بل ثقله باعباء المنن، واحياني بتحقيق الرجاء، لا بل اماتني بفرط
الحياء، فانا له بعد اليوم عتيق، واسير بل طليق، ومن انقذ انساناً من
الفقر، وانتاشه من مخالب الدهر، وفكه من اسار العصر، فقد اعتقه
من الرق الاكبر، ونجاه من الموت الاحمر، والرق رقان، رق الملك ورق
الهوان، والاسر اسران، اسر العدو واسر الزمان، ولست ارضى
لشكر السيد لساني ولا بناني، ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامي
فاني ولا كفران لله كليل شفرة الكلام، سليم وقع الاقلام، قصير رشاء
اللسان، قريب غور البيان، ولكني استعين في ذلك بالسنة اصدقائي
واقلام معارفي واوداني فنجتمع عليه، ونهدي ما نلفقه بيننا اليه،
لا ازال الشيخ للاحرار عضداً، ولساناً ويداً، وعماداً معتمداً ولا زالت
الالسن عليه بالثناء ناطقة، والقلوب على مودته متطابقة، والشهادات
بالفضل له متناسقة، ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه منيخين بافنائه
وعفاته، مستعلين به على اعدائه، وجعلني الله فداءه ان كنت صالحاً لفدائه، و
احسن عني جزاءه اذا كان اوسع لجزائه، واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم في بقائه

وكتب الى ابي سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى، وخضت غمار المهالك والردى، ونظرت الى الآخرة وانا في الدنيا واول ما مر بي سوء الدخول على ظهر الحمار، ومعاشرة الحمار، على ان الحمار ايضا حمار، الا انه قصير الاذنين، يمشي على رجلين وكأني كنت بين حمارين، الا اني كنت بين جنسين غير اني ادركت المراد، وحمدت المراد، وساعدني الزمان وما كاد، ومن تعلق بذيل المقبل اقبل ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل، فها انا ذا الشيخ صنيعه ولامره تابع وجنيبه وظيفتي في الملاء شكره، وفي الخلاء ذكره، والسلام

وله اليه

قضيت بهذه الناحية حاجتي وعمرت بعد الخراب حالتي اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بي ومرافقا نظره لي ولولا سكون قلبي الى حفظه على ما ورائي، وقيامه دوني في وجوه اعدائي لما تقدمت الا وقلبي متأخر ولا اقبلت الى مقصدي الا وعزمي متذبذب فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه، والرجل اذا قيدها عقال الوجل لم تنطلق نحو مظنة الامل، فسبحان من خولني كنزا ووهب لي من جانبه شرفا وعزا، وجعلني اطير في بجناحيه، واتناول ما اريد من يديه، واذا مات ملكني احياه، واذا تبلد بختي امضاه، واذا سخط علي دهري ارضاه، فلا جرم لقد ملكني ملكا لا تنحل عقدته، ولا تخاف عهدته لا سلبني الله تعالى النعمة ببقائه، ولا نزع عني ثوب الجمال ببهائه

وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها، والعقلة وسطاها، والغيبة كبراها، ومالي عذر في واحدة منهن ولا منهن كلهن ولكن المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكل حبل يتعلق، ولقد عققت الود، وظلمت العهد، ونصبت جنبي للملام، واستهدفت لسهام الكلام، وكأني بعساكر العتاب وقد زحفت الي، وحملت علي، والتقريع على

مقدمته، والتوبيخ على ساقته، والهجر الصرف على جنبته، فارقت تلك الناحية والحمى رفيقي وزميلي، والنافض عديلي ونزيلي، وقد ودعت الدنيا، وحصلت في مخالب ابي يحيى، بين اليأس والوسواس، ميت النفس والانفاس، لا تطاوعني يدي ورجلي ولا يساعدني لساني وعقلي، ابعد شيئ عني الحياة، واقرب شيئ الى الوفاة، ولا اظن عمري الا حسوة طائر اولفتة ناظر، ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين ولم تجس لي في الظنون، فجاء اسمي من جريدة الموتى، ورجعت الى الاولى من الاخرى وعاش الامل، ومات الوجل، ولولا اني معتزلي لقلت تأخر الاجل، فالحمد لله تعالى الذي قرب الاجل ثم اخره، واورده حوض المنية ثم اصدره لا بل اماته ثم انشره، وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر واذا غفر عرض للزيادة بالشكر، حمدا يتصل مداده، ولا يفنى اعداده

وكتب الى تلميذله ورد عليه كتابه بانه عليل

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه، ثم غمني اطلاعي عليه، لما تضمنه من ذكر علتك، جعل الله تعالى اولها كفارة وآخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرا، وعلى الاخرى شكرا، وبودي لو قرب علي متناول عيادتك، فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك، ومرض قلبي لمرض جسمك واظن اني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على وجاع اعضائي غير جلد على اوجاع اصدقائي ينبو عني سهم الدهر اذا رماني وينفذ في اذا رمي اخواني فاقرب سهامه مني ابعد سهامه عني كما ان ابعدها عني اقربها مني شفاك الله وعافاك، وكفاني فيك المحذور وكفاك، ورفع جنبك، وغفر ذنبك، وشرح قلبك، واعلى كعبك

وَكَتَبَ اِلَيْهِ وَقَدْ وَرَدَ كِتَابُهُ بِاِفَاقَتِهِ وَحَمَلَ اِلَيْهِ تُفَاحًا

وصل التفاح فی طیب نشرك، وحلاوة نطقك ونثرك، وحسن نحرك، وكان اعبق من كل طیب غیر خلقك، واحسن من كل حسن غیر خلقك، وعدتنی سرعة انفكاك وذكرت افراقك من دائك، فما ادری علی ای الخبرین كان شكری الله تعالی اكثر عدداً، واكشف مدداً، وبایة البشارتین كانت نفسی اسر، وعینی اقر، صدق الله هذه البشری، واتم علیك هذه النعمی، وها انا قد مددت الی الطریق عینی واخذت احد الخطی بینك وبینی، احسب كل انسان رسولاً، وكل شخص كتابا الی محمولاً، فجعل الله تعالی اتحافنا بنفسك، ولا احرمنا حظنا من انسك

وكتب الی كاتب من كتاب الحضرة

تأخر عنی كتاب شیخی حتی نسیت ایام المراسلة، وصرت اری فی المنام اوقات المكاتبة والمواصلة، وحتی ظننت ان الاقلام قد جفیت، وان القراطیس قد فنیت، وان الكتابة قد نسیت، وان المطالعة والمفاوضة قد طویت، وان المداد قد صار فی جبهة الاسد، او یجلب من السویس الابعد، وان الدواة قد اصبحت تامیة، وان الدولة قد عادت اعجمیة، ثم راجعت فناظرت نفسی، فوجدت الذنب مقسوما بینه وبینی، فتحملت حصته منه، وانفردت بجمیعه عنه، وذلك انی خرجت وسافرت هذه السفرة فوقعت فی الحال فترة، والغائب ملقی وملغی، ومنسی ومتناسی، فلان كان افقر من الانبیاء، فان فقرا ئهم اكثر من الاغنیاء، واعری من الحیة، وانقی كیسا من الراحة، یده صفر، ومنزله قفر، وغذاؤه الخوی وعشاؤه الطوی وطاؤه الارض، وغطاؤه السماء، وادامه التشهی، وطعامه التمنی، وراحته زوجته، ورجله مطیته، لا یری الدرهم الا فی المنام، ولا یحس الدینار الا بالاوهام، ولا یشبع الا فی اضغاث احلام، بابه مجلس الغرماء وذیله متعلق الخصماء، قد ضرب علیه الخذلان رواقا، وبنی فوقه الادبار طاقا، ونشز علیه الرزق، وحرمه الخالق والخلق، واسع المنی ضیق الغنی افرغ دارا من فؤاد ام موسی علیه السلام لو مرت به الریح لاخذ منها، ولو

زار الذباب لطمع فيها، خصيب العين، جديب البطن، لان العين تشبع بنظاره ولا يشبع البطن الا عن حقيقه، كان الارزاق قسمت ورزقه غائب، وكان البخوت وضعت وبخته هارب، وكان الفلك يعاديه، والدهر يناويه، وكانه اثكل الرزق ولدا، او كسر له رجلا ويدا، فعمدت اليه فجبرت كسره، وطردت عنه فقره، وحاربت دهره، وزففته زف الهدى الى منى، وعالته تعليل الصبى بالمنى، ورايت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك، وانحلت انحلالا لا يتماسك، فلم ازل ارفو خرقها، وارتق فتقها، واجلو عنها صدأ للادبار، واغسل عن اطرافها وضر العسر والاقتار، فما هو الا ان رأى بيده الدرهم والدينار، وطوى مراحل العسر الى اليسار، حتى نسى نفسه، وجحد امسه، وتطاول بيد قصيرة، وتعظم بنفس حقيرة، وقلب على مجن غادر، وصافح نعمتى عليه بيد كافر، وقبح لقائه لى وكان حسنا، وخشن مسه على وكان لينا، فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس رددت الى قيمته، وجعلت نقمته فى وزن نعمته، ونزعت عنه قميص عافية اساء لبسه واستعماله، ولم يعرف له بهاؤه وجماله، وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت، ووردت اليه روحه وقد ابتدأ يموت، فمن رآنى فليتهم على الدرهم يديه، وليوكل به عينيه، وليجعل وكيله نفسه، وقهرمانه كيسه، وشريكه فعله، وحارسه عقله، وخادمه خاتمه وصديقه صناديقه، وليعلم ان درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه، واذا صالح يد غيره لم يصالح يديه، واذا اعطى اباه او اخاه فقد زاد فى عدد اعدائه كما نقص من عدد اصدقائه، ومن اراد ان يشترى الاعداء بماله، وان يحارب بيمينه بشماله، فليخالف طريقتى ولا يقبل نصيحتى

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كتابى الى الشيخ من الديوان، وانا فيه ملتحف بالحرمان، مشتمل بالذل والهوان، قاعد بين النقصان والخسران، عن يمينى مستخرجان وعن

يا ري وكيلان، والحمد لله على تصاريف الدهر واحواله، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله، قد جفيت قلبي ويدي في كتبي الى الشيخ اخطب نظره لي وانشد ما اصلت من عنايته بي فلم يعطف على عطفه، ولم يشغل بجانبي طرفه، واذا ادباري مصمت لا يسمع الدعوى ولا يقبل الرقى وما اشكو الا نحسي ولا اهجو الا نفسي وما خصمي غير حرماني ولا قرني الا زماني، ورد علينا فلان ونحن نيام نوم الامنة، وسكارى سكر الثروة، ومتكئون على فراش العدل والنصفة، فما زال يفتح علينا ابواب المظالم، ويحتلب فيناضرع الدنانير والدراهم، ويسير في بلاد ناسيرة لا يسيرها السنور في الفار، ولا يستجيزها المسلمون في الكفار، حتى افتقر الاغنياء، وانكشف الفقراء، وحتى ترك الدهقان ضيعته، وجحد صاحب الغلة غلته، وحتى اخرب البلاد، بل اخرب العباد، وحتى شوق الى الآخرة اهل الدنيا، وحبب الفقر الى اهل الغنى، وحتى نشف الزرع والضرع، واهلك الحرث والنسل، وحتى لقب بالجواد، وكنى بالفساد، و صار الدرهم في ايامه، اقل من الصدق في كلامه، وصار الامن في اعماله اعز من السداد في فعاله، فليته اذا وحش الرجال حصل المال وليته اذ ضيع المال ارضى الرجال، ولكنه حرم الاثنين، فافلس من الجهتين، والله ما الذئب في الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين، ولا السوس في الخز في الصيف عنده الا من المحسنين، ولا الحجاج بن يوسف الثقفي في اهل العراق الا اول العادلين، ولا يحسب الا ثيم في اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين، ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين فان كنا به معاقبين فقد تنقضي مدة العقاب، وتختم صفحة العذاب، وان كان الفلك غلط به، والزمان اخطأ فيه، فقد يراجع الغالط حسه، و يحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسر، ويتلافى ما بدر، والسلام

وكتب الى ابي الوفا صاحب جيش عضد الدولة

كتابي وانا بما يبلغني من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور، وبما يعرفه

الزمان واهله من اعتضادي به مصون موفور، والله تعالى على الأولى محمود وعلى الأخرى مشكور، التطفل وان كان محظورا في غير مواطنه فانه مباح في مأكثره وان كان في بعض الأحوال يجمع عارا ووزرا، فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا، ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة، وهو في غير وقته بدعة، وقد تطفلت على الشيخ بهذه الأحرف خاطب بها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في لساني وقلبي رسما، ويختم عليها ختما، وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب، وبحيرة لا تحلب ولا تركب، ولما نظرت الى آثار الشيخ على الأحرار، ونشرت طراز محاسنه في ايدي القاصدين والزوار، واقيمت له عندي بالفضل شهادة الاخبار والآثار، وهما شاهدا عدل، بكل نقص وفضل، ثم لما رأيت نفسي غفلا من سمة مودته، وعطلا من جمال عشرته، حميت لها من ان يحمى عليها ورد مورود، ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود، وعجبت من سحاب اخطأني جوده وهو صيب، وبحر عدا في سيله وهو مفعم

وبدر اضاء الأفق شرقا ومغربا	وموضع رجلي منه اسود مظلم

وله الى ابي الحارث من ولد فهابن ما سجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعي كتابه

مكاتبة مثلي للامير سوء ادب وودعة، وقلة حياء ومسكة، وتركي مكاتبته بعد ما امكنتني وقرب متناولها مني تضييع لفرصة من فرص العز، وثمرة من ثمر الفوز، والعاقل يختار خير الشرين، ويميل مع اعدل الثقلين، لم ازل ايد الله تعالى الأمير اقترح على دهري ان يسعدني، وعلى عمري ان يسعفني فاتعلق من تلك الخدمة بطرف، واتوصل الى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر الا ان يحلئني عن ورد احوم عليه برجائي، ويغلق على بابا استفتحه بدعائي، فلما غلبني الدهر على مرادي، وخالف بين طريقي وصدادي وايرادي رضيت من المائدة باللقمة، ومن الفصل بالبلغة، وسلكت مع بختي طريق المصانعة، اذ كان قد سد علي طريق المصادقة، وقلت لا اقل

من ان ادس اسمي في اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة، واترب يدي بغبار تلك الصنائع الجميلة، واخدم ذلك السيد قولا، وان كنت لم ارزق خدمته فعلا، واكاتبه غائبا، اذ كنت لا اصل اليه حاضرا، فكتبت هذه الاحرف اصل حبلي بحبله، واعرض بها نفسي لفضله، وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة، واشهد لي وسط في هذه الصنعة، فان الهيبة تحجر بنان الكاتب وتعقل لسان الخاطب فكيف حالها مع المتكاتب وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره، ولم احتلب دره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله، ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله، لا بل شكري له عن غيري اعظم، والحق لي فيه الزم، لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن انسان، واحتجت في ذلك الى لسان، واذا شكرته عن الناس شكر عن امة، واحتجت الى السنة جمة، على انني اطري الحسام اذا مضى، وان كان يوم الروع غيري حامله، جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد اقام له سوقا كانت كاسدة، واهب منه ريحا كانت راكدة، واحيى منه ارضا كانت هامدة، ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها القلة سالكها، وعمر للمعروف دارا الايستأنس بها الغد ساكنها وبيت في قفارها، لدروس آثارها، وانهدام منارها، اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق، وقلة الرفيق، والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه مصافاة المكارم، فبالصبر تنال العلى، وعند الصباح يحمد القوم السرى

وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة

تأخر كتابي عنك يا ولدي لاني كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب، وقلب متقلب واردت ان اخلي خاطري لجوابك، وان اقضي بذلك حق كتابك فمن صيانة صاحب الكتاب ان لا يتجوز له في الجواب على ان مصون كلامي عند مثلك غير مبتذل، ومدخر برى عندك ليس بمستعمل، ولا لوم على الفقير اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير، وقد بذلت جهدي، واني اقصى ما عنده

وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها وعوضه الصحة عنها، ووددت لو قبلتني العلة فداءه، وامكنني ان اقرض سيدي شفائه فكنت نقل اليه الصحة نقلاً، وابذل له ما عندي من العافية بذلاً، الجرب حكة عافاه الله تعالى سيدي منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندها التي يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة قذفتها الطبيعة الى الظاهر، و دفع الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عساكر البلاء، تمده القذارة و تمده الطهارة، وتنقص منه البرودة والرطوبة، كما تزيد فيه اليبوسة و الحرارة، دمر او وى ظاهره، وترك باطنه، فانما بل حائطا ودائه النار الموقدة ويرش على سحاب بيت فيه الشرار المبثوثة، ويقعد تحت قول الاول

خليلي دوايتما ظاهرا	فمن ذا يداوى جوى باطنا	

وكيف تنقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد، وهي تتوقد في باطن الكبد، وكيف يزول داء سمه مكايله، وترياقه موازنه، وكيف يصح جسم حميته دواؤه، وغذاؤه داؤه، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم او يفي صغير البناء بكبير الهدم، وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته، ولا يملك يده ولا يهاجر حبيبه وطعامه وشرابه، حتى لا يراهما الا خلسة، ولا يذوق منهما الا بلغة، ارى لسيدي ان يصبر على الجوع مع مرارته، وعلى العطش مع حرارته، وان يقتصر من الطعام على ما يكون في اوسط طبقات الرطوبة وفي اعدل موازين البرودة، ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطرافه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو في المنام، ولا تمس ولو بالاوهام، والسمك وما ناسبه بلية، واللبن وما خرج منه منية حتى اذا حس في معدته بالخلاء، ووقف من طبيعته على الصفاء، ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء، استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء، وتخرج خبايا الصفراء، وتقمع سلطان البلغم، وتصفي كدورة الدم، فاذا انجلى عنه خمار ضعفها، وتقشعت غيابة سكرها اتبعها بفصاد يخصر به الاكحل فانه نهر العروق، والطريق الذي يفضي منه الى

كل طريق، تصعد اليه السفلى، وتنزل عليه العلياء، وتلقى عليه الاولى والاخرى فاذا فرغ منه، وخرج باذن الله تعالى سليما عنه، وعلم ان لم يبق من العارض الا هباؤه، ومن الخوف الا زبده وجفاؤه، يعالج حينئذ بالطوخ التي تغسل ظاهر الجسم، ويجلو صدأ السقم، ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال ومباشرة الماء الحار على كل حال فان الجرب في حيز الحرارة، كما ان الماء في حيز البرودة، والبارد اذا التقى الحار اطفى بعضه، وان لم يقطع اصله، والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه، وان لم يهدم اركانه، وملاك الامر الحمية فانه لا يكون قوي الحمية الا من كان قوي الحمية، ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية، وانخلع عن ربقة الانسانية، وحق على العاقل ان يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل، وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع ماكله وقتيل نامله، وان يجني ببعضه على كله، ويعين فرعه على اصله، فكم من لقمة اتلفت نفس حر، وكم من اكلة منعت اكلات دهر، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر، وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر، وهدمت عمرا هدمت بناء اعمار، وخربت بخرابه بيوت بلا امصار، والعلل كلها وان لم يشملها اسم، ويجمعها حكم، فهي متباينة الاقدار متمايزة المقدار متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترحم عن الرقة الروحانية، وعن النفس الخاصة الانسانية، وعلة النقرس على التنعم والقعود، وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود، وعلى ان صاحبها مخدوم مكفي اوملك حظي، وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى التفريط في العلاج والتفقد تنطق بان صاحبها ضعيف المنة في التوقي اسير في يد الحرص والتشهي غاش لنفسه، قليل البقيا على روحه، وكيف يحفظ اصدقائه، من لا يحفظ اعضائه، وكيف يبقي على غيره، من لا يبقي على نفسه، وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه من لا يؤتمن على بعض منه وهذه علة تكسب صاحبها خزيا وحياء، وتورثه خجلا واسترخاء، ينظر الى

الناس بعين المريب، ويستترعنهم كتستر المعيب تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس، وتنبو عن مواكلته العيون، واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهي يداه وآلة اللقاء والزيارة وهي رجلاه ولولم يكن من آفاتها، ومن عجيب صباتها الا انها تشيخ الفتيان، وتمسخ الانسان، تجعله اميا بعد ان كان غيرامي، و اعجميا وليس باعجمي تنفر عن نفسه نفسه، وتهرب من فراشه عرسه، ويتباعد عنه اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد لدوائها، وتبذل الرغائب في اقتنائها ثم هي ربع من ارباع الخذلان، وقسم من اقسام الحرمان، قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة		الموت والعشق والاملاق والجرب	

وما ظن سيدي بداء قد سارت به الامثال، وقيلت فيه دون سائر الادواء الاقوال، قال رؤبة وقد ذكر علة، هي اعدى من الجرب، عند العرب

وقال ابو تمام

لما رايت اختها بالامس قد خربت		كان الخراب لها اعدى من الجرب	

وقال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الاجرب	

فجعله راس الادواء، ووصفه بانه غاية البلاء، وانما ذكرت فيه ما ذكرت لازيد سيدي فيه في الهرب منه رغبة، وفي الصبر عليه زهادة، من الله تعالى على سيدنا بالشفاء، وجعل عهده بهذا الداء، آخر عهده بالادواء انه طبيب الاطباء، وخالق الداء والدواء، وكاشف البلاء

وله الى قاضي الري ابي الحسن الهمداني

قد ملات مسمع قاضي القضاة ايده الله تعالى بكتبي اليه في الحاجات واني لاعلم اني قد دللت عليه حتى امللته، واوجفت حتى اجحفت، ولكني اتطير بنعمة الله تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها، واني جوابها برد الناس عنها، والسلام

وله الى ابي المعالي وزير صاحب الجبل

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنان، وهذيت بذكره يقظان، فلما رايته خررت له ساجداً، وشكرت الله تعالى باديا وعائداً، والحمد لله تعالى الذى ارانى محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتورة ودولته قد اقبلت بوجه مسرورة وادال ايام سعدة على ايام نحسه، وابعد ما بين الحوارث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من امسه وتارمن الحنة كثرة الشامتين وخير من نكشافها كثرة الشاكرين، فان الذى يشمت بالناس فى وقت الرحمة لئيم وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم، والشيخ بحمد الله تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السناء وابكى بالشفقة عليه اعيناً، لا ازال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعداءه فان اعداء الفاضل اعداء فضله واضداده اضداد فعله، وكل امرء مُصدق لامثاله وشكله

وله الى سعيد بن سمكة

نظرت الى ذنبى الذى استحققت به الهجران، وتقصيت طرقا فعالى لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان، فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائر الرسائل والسفاتج، ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقيت الاطراف من ضر السؤال خفيفة الاكناف من ثقل الادلال، لما تحلى على بالمقال من لا يبخل على بالمال، وضايقنى فى العرض اليسير من لا يضايق فى الجوهر الكثير، لينزلنى الشيخ ايده الله تعالى من قلبه حيث انزلتنى الثقة به وليضعنى من نفسه بحيث وضعنى الودمنه، وليعلم انى سيفه الذى لا يفله طول الضرب ولا يمله مراس الحرب ولسانه الذى يذب عنه فى الملاء ويدعو له فى الخلاء، واخوه الذى ان لم تصفه اخوة الولاد، صرفته اخوة الوداد، ويتجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد، فلان قد استشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره وافق هو بدره، وان ما تفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع، وعنه متفرع

وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته

ابلغ قتادة غير سائله	جزل العطاء و عاجل الشكم
انی شكرتك للعشيرة اذ	جاءتْ اليك برقة العظم

الحمد ؛ اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة ، كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة ، والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب يمدحونه وان لم يحسن اليهم ، و يشكرونه وان لم يفضل عليهم ، كما ان المسيئ في النفوس صغير وان كثر مالا و حالا ، و قبيح وان حسن زيا و جمالا ، على هذا اسست البنية ، و عليه وضعت الفطرة ، و فيه اتفقت الخاصة والعامة ، ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات ، كما ان الاساءة سيئة و ان كانت كلها على درجات ، فمن صاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها ، ولا يمر ثمرها واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه ، ويخرج الاحسان في موضع استحسانه فقد سددت رميته ، واصيبت رميته ، وزكا صنعه ، ونما ربعه ، وما عرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا ، واجود لاهلها انتقادا ، واصوب لها اصلا را وايرادا ، من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمال بهم مكانهم وزمانهم ، والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج ، فصنائعه في قوالب الحمد والشكر ، وعلى طريق الاجر والذخر ، لا يقع الا بين الشرف والثواب ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كالفلا الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا ، او يحكم مهرا ، او كبائع الجوهرة النفيسة لا يبزرها حتى يرى ثمنا ، او يأمن غبنا ، والجواد محتكر لا محتكر ، والكريم تاجر جمال وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من قفره ، وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده في بلاده ، خلقهم ليعيش بهم العاسر ، ويشد بازرهم الفاقر ، ويحيي بحياتهم المعالي والمآثر ، فهم ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت ، ومعرض الايام والليالي اذا احتشدت ، بلغني ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم وبره الجسيم ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد ، ومن طريف نازع التالد ومن غصن من اغصان الشرف ، نما عرقه في السلف ومن نفس رضعت ثدي المكارم

وربيت في حجر الاكارم فجرت على سنن اوائلها، واحيت فضائلهم بفضائلها، وانما تعجبت من حسن ماتحرى الشيخ لمعروفه وارتاده، ومن صواب ما عزا واراد فاكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع، وخالف بزرعه موضع المزرع، وما اكثر من يند معروفه فلا ينجب ماولد، ولا يبلغ به صاحب المقصد، وهذا الفقيه بين نفس مقبلة، ودولة مقتبلة، يرمى به كماله وراء ميلاده، ويسبق فضله غايات آبائه وجداده، والدهر فيه مقاصد، وللايام فيه مواعد، ولله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله، ويكمل الاقبال في تمامها عمله، والحمد لله تعالى الذى جعل الشيخ من ابى عنده اصطناعه، واول من بسطت يده ومد باعه، والحمد لله تعالى الذى جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع ابكار الجوارى، وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى، فالمصطنع فى الرؤساء والامراء، كالمصطنع فى العلماء والفقهاء فسبحان من وفق بين الشكلين، وزاوج بين المثلين، وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين، وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طراز الايلى، وقد مر في كره شهابا لا يخفى، فلا يقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر، بل الكتب والدفاتر، حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع، كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع، وحتى قلنا

شعر	مالقينا من احمد بن على		ترك الناس كلهم فقهاء
	مالقينا من جود فضل بن يحيى		ترك الناس كلهم شعراء

لازال الشيخ يستولى على امد كل غاية بفعله وقوله، وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله، ولازال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه باغلى الاثمان،

وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولته بقضائها، ونبت عن طالبها في اقتضائها، فكنت الخصم والحاكم، والمحاكم والمحاكم، وما ابطأ من اجدى ولا اسرع من اكدى ولقد وجدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم

والبنان، واثرهما للتبيين والبيان، وسودت حواشيها، ولاحت مبسم التصفح فيها، ولم تكن في حسن خط كاتبها، ولاجودة تجليد صاحبها، ولا استقامة حروفها، ولا تساوي جوانبها وحروفها، بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف ومن سقم الاشكال والحروف فانما الكتاب لحسن ظاهره السقيم باطنه مثال المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها، ويسوءك خلقها، ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدي النسخة الاولى التي هي مائدة منقوشة ليس عليها دسم، وكيس مصرور ليس فيه درهم، وتقع الثانية خلافها كالعجوز المتنقبة، وكالقفل على الخربة فانما هي كسوة عامي غبي او مقبرة يهودي غني وتقع في يدي الثالثة وهي اسم ولا جسم، ودعوى ولا علم، قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدري، ولا يدري انه لا يدري فراؤها زاء، وميمها حاء، وطاؤها ظاء، والنظر فيها يعمي والاستدلال بها يعمي، ومن آفة العلم خيانة الوارقين، وتخلف المعلمين كما ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة وكما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع، والبخل سبب الجمع، وان المال في ايدي البخلاء، دون ايدي الاسخياء، وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مامون الجنبة، وان السفيه منيع الحوزة، قاعد في خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد، واذا ابرزته عرضته للنفاد، وكما ان من آفات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك، واذا بلغتها وابلغت فيه اوهمت من سمعك وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض لهمتك، واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار، وابرزت صفحتك للالم والخمار، وكما ان من آفات المماليك انك اذا باسطتهم افسدت آدابهم واذهانهم، واذا قبضتهم افسدت وجوههم والوانهم، وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الاعداء من الاصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء، وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب والحاذق ينسي الادب

وكان من آفات النساء انهن داء من شاء خلقهن، واذا هن فسد خلقهن، فلما تمادت مدة الاكداء، وما اصل في يسمع في وادي بهمة ولا شراء، نزلت على حكم الامكان، وحربت في التعو على رسم الزمان، وحملت نسختان لم تكن بتلك السليمة، فليست بتلك النسخة، وانا اعتذر اليوم منها قولا و غدا فعلا، واحصل الذري وتوحدي ومهجتي، وبدنياي وآخرتي

وكتب الى ابي بكر بن سمرد

انا متحير بين ان اقر للشيخ بذنبي واحابره بعيبي وبين ان اسكت سكته متجاهل، واصفح صفحة متغافل، وقد كنت اعلم ان العفو الى المقر اسرع منه الى المصر، وان وضر الذنوب لا يغسله الا الاقرار، ولا يزيله الا الاعتذار، وقد كان في حكم ما اولانيه من نعمه التي يهني الابد ولا تفني، ويخفى الصباح ولا تخفى، ويبلى الجديدان ولا تبلى، ينسى القوم ولا تنسى، ان يكون لي عنده كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد، لا بل كان ينبغي ان اجعل رسولي اليه الريح فانها اسرع، واكتب اليه في الفاق فانه اوسع، ولا تطلع شمس الا وجنبها مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب، ولكن ابن آدم للنعمة كفور، وبالعهد غدور، غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه واني لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب، ونزل ذلك الجناب، واود لو كنت سطرا فيه، او حاشية من حواشيه، ولا ايام عندي اذا وصلتني بالشيخ نعمة لا اسرع عنها الثواب ولها على اذا ابعدتني جناية لا اقدر على كفائها من العقاب، وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه، وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته، ودفعت الى حربه وطالما صالحته، قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها ورجحت بين تركها وذكرها، فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت ذكرها لاحت على فعلى سمة الكفران، وعرفت بسوء مجازاة الاحسان، وحرمت نفسي ثمرة اللسان، فقد اسكت الشيخ لساني من حيث انطقه، وحصر

بنانی من حیث اطلقه، وعلی ذلك فقد سمعت شکری کل من له اذن، و
اریت اثر صنیعته کل من له عین، حتی لقد حسدنی علیه الاقارب وتعرف
الی فیه الاجانب، وهابنی ورجانی منذ عرفته الحاضر والغائب، ثم لم
یرض ان احسن بی حتی احسن الی من یرسل الیه بکتبی فاضاف النعمة
الاخری الی الاولی وعقب الصنیعة الکبری بالصغری علی ان اصغر صنائعه کبیر
کما ان اکبر شکری له صغیر، ولکن الکبیر من الکبیر یصغر کما ان الصغیر من
الصغیر یکبر، فکیف اهلنی الشیخ لاحسانه ثانیا، ولم اقض حق احسانه بادیا،
وکیف حملنی النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع علی الکل وقد ضعفت
عن البعض، وکیف نبع علی بره من کل منبع وطلع الی السعد به من کل مطلع
ودب الی احسانه من کل مکمن وکان سبیلی ان یستوفی علی قبل ان اوفی وان
احاسب علی الحاصل الاول قبل ان یثنی وان اعامل علی قول الاول

اذا ما قضیت الدین بالدین لم یکن	قضاء ولکن کان غرما علی غرم

وکتب الی تلمیذ له عن کتاب وقصیدة

وردت القصیدة الغراء، بل الدرة العذراء، بل الهدیة العظیمة، بل الشمسة
الکریمة، بل الیاقوتة الیتیمة، بل فریدة الدهر، بل غرة الغر، بل ثمر الکرام
وغریبة الایام، بل الخطاب الجزل والمنطق الفصل، بل الحسن والاحسان، بل
التبیین والبیان، بل واحدة القصائد وخاتمة القلائد وآبدة الاوابد، بل میزة
النظم والنثر، بل ملکة الرجز والشعر، بل حسنة الالسن ونزهة القلوب والاعین
بل بستان الافکار، وجلاء الابصار، بل روح المعانی والمبانی وهیکل الاوزان
والقوافی، بل عقیلة الدهر، ونادرة العصر، وثمرة العمر، وبیضة العقر، و
تریاق القلب بل ملبسی تاج الفخر، ومورثی کنز الذخر، لا بل لیلة القدر
فانها خیر من الف شهر، وهذا خیر من الف بیت شعر، ولم اعن بیت الموزون،
انما اردت البیت المسکون، ففتحت کتابها عن النور المنشور، وعن الدیباج المنشور
وفلیت معانیها عن روح البدیع وقلبه، ومبانیها والفاظها عن جب الفصیح

ولبه، ووددت طرفي منها في روضة سقاها اللسان وعلها البيان ونافس عليها زمانها الازمان، ولم يبق فيها بيت الارويته، ولافضل لاحكيته، ولالفظ الاكررته وثنيته، ووددت لوكانت اعضائي كلها للنظر اجفانا، وللاستماعها آذانا، وللنا ولها وجسها ايديا وبنانا، بل لوكان الحرف منها سطراء والكلمة من كلها تماعشراء، فيمتد نفس ستيفائها روية ورواية، ويعظم حجم استقصائها فهما ودراية، وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق ان يكون له والد نجيب ولا يقتضي ان ينبغ فيه عالم ولا اديب ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه لا ابن ايامه ولياليه، وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازي ومعنى اصطلاحي وقد نحلني فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بجذواه، لم اخرج من عهدة دعواه، فان تكن تلك شهادة منك اسلفتنيها، وسلعة جازفت لي فيها، فقد يسامح الكريم اخاه، ويحابي الحرمن بايعه وشاراه، وان كنت تظن في هذا الفضل فاسال الله تعالى ان لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتني رجعت عن ظنك، ووددت بعينك حكم اذنك وانا المعيدي وان لم يكن لي في العرب نسب ولا بيني وبين معد قرابة ولا سبب

وكتب الى ابي الفرج خليفة الوزير بنيسابور

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه، وجعلت قبولي عظته بدلا من جوابه، ذكر الشيخ اني لو اقتصرت على خدمة الامير، وعلى منادمة الوزير، لمالت الصروف عن جانبي ناكبة، وولت الخطوب عني هاربة، ولولم انتجع غير نيسابور بلدا ولا غير من بها احدا لعشت معهم عيشة رغدا، وجواب الشيخ تحت قول الاول ؏

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتي	واي فتى يقتاد منه الترهب

مثلي ايد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد والترهيب ولا تجلب خلاف مودته بالازلال، ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال، وانما يحبس مثلي بالرغبة، ويقيد بقيد من الذهب والفضة ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين، وبالشكر والتذمم ضمينين، وانما الحر زجاج رقيق

ثمين إذا رفق به واستعمل في موضعه مثله زين المجالس، وامتع المجالس، وكان مالا الا انه جمال، وجمالا الا انه مال، واذا خرق به انكسر فعقر الكاسر، واتعب الجابر، وغم السامع والناظر، وكان ينبغي لاصحابنا ان يقتنصوني بحبالة الاحسان والبر، ويرتبطوني بحبال الحفاظ والشكر، ويعلموا ان البازي العتيق لا يصبر على الاضاعة، ولا يقيم في بيت المجاعة، ومن اصطنع اليوم شكر غدا، ومن جد الاحسان قيد تقيد، ولكن كيف يصون الادب مغرم، ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم، وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته، ويطيب الثمر مع خبث تربته هيهات ان الفرس الجواد يجري على عتقه، وان الفرع ينزع الى عرقه،

وان مقامه حيث خيمت محنة	تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا، فقد تحولت شكايتي لهم شكرا وذلك انهم عرفوني بمقادير الكرام، وقاموا في تأديبي مقام تصاريف الايام ودبغتني بهم التجارب، وراضتني بايديهم النوائب، ولاحت لي ببركاتهم الغيوب العواقب، فانا تلميذهم في ائتمام الايام، وخريجهم في معرفة احوال الانام، والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادوني عقلا، وان لم يفيدوني نيلا، وزادوني ادبا، وان لم يزيدوني نشبا، وعهدي وانا بالعراق مفيد، فاصبحت وانا بخراسان مستفيد، وهذه الزيارة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التي توجهت الي من بركات هذه الدولة والسلام

وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الري

ورد على كتاب الشيخ وفهمته، والمواعيد التي اراد الشيخ ان يسحرني برقاها، ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها فقد طلبت عنها ثوابا، ولها جوابا، فلما اجد غير قول عبيد

لا اعرفنك بعد الموت تندبني	وفي حياتي ما زودتني زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا، واخترت سلطانها من الملوك جارا حتى جعلتها بيتا اعمره، والدنيا جسرا اعبره، لآمن بما على مالي

وولدي بعد مماتي، ولا اخاف بها على روحي وعرضي في حياتي، ولو علمت اني سام خدمة من ليس له اثر علي، واصادر على نعمة لم تصل الي، لفارقت دار الهوان، ولكان جناحي وافر الطيران، ذكر انه ما تلف باكثر حتى سلمنه السخيمة، وحمله علي ان اغتفر الجريمة، وما عرفت لي جرما يحتمل معذرة، او ذنبا يستوجب مغفرة، فان كان الامير غفر لي ما ساجنيه من السيئات فهلا شكرني على ما ساتيه من الحسنات، وكيف استخار السلف فيما يتعلق بالعقوبة ولم يستخره فيما يتعلق بالمثوبة، فان كان مراده ان اقر على نفسي بذنب ما اتيته والتزم بشكر جميل ما اوتيته، فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لا تحل من الفقراء الى الاغنياء ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء، وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان، ويجب ان يسير ذكره في اثناء هذه المعاني الحسان

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا ... ما لم يروا عنده آثار احسان

وانما لساني خادم من خدم فؤادي، ومتصرف من متصرفي مرادي، فكيف يفتات على بشكر غيره، وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره، وانما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر، حتى تستسلف المطر، ولا تضحك في وجه السما الا بعد ان تستوفي حقها من الانداء وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذاري فقد خرجت اليه من عهدة اضماري، وانا اقر بذنوب العالمين حتى بذنب ابليس في الاولين، وحتى بذنب هاروت وماروت في المتقدمين، والتزم كل المعايب حتى معايب بني امية، ومعايب بغلة ابي دلامة واقول قد ادبني الليل والنهار، وثقفتني الاحوال والاطوار، فابصرت قصدي وتبينت رشدي فليلبسني الامير رضاه عني ثوب العزة، كما البسني بغضبه علي ثوب الذلة، وليجعلني عبدا اعوج فقوم، وجهل فعلم، فلما عرف نفسه وتلافى بيومه امسه رد عليه مكانه، ورجع اليه زمانه، فادعى ان النابغة الذبياني ما اعتذر الا عني ولم يك لسانه الا بضعة مني، وانتحل قول علي بن الجهم

ليس عندي وان تغضبت الا ... طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا التا ... ئب عفو وعتبهم تقويم

وكتب

وكتب الى رئيس قم

بسطني الشيخ ثم انقبض عني، ودعاني ثم هرب مني، وكان ليس له مثال الا كمن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه، وارخى دونها حجابه، فعرض الصهر للهجنة، والعروس للتهمة، ولعلي اتيت مني، واصبت الشيخ بعيني لما رأيته قد احيا مواتاً من الود، وسبق الى باكورة من كرم العهد، وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائي بعين العجب بهم، وارمقهم بما يدعوني الى الحب لهم، لا بل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها، واتغابى عنها وان دريتها، ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب امير خورستان

ذكر الشيخ من غمه بغيبتي فيما كان، وفرحه باوبتي الآن، ما قلبي عليه شاهد، وعلى الشهادة زائد، لانه لا يمين على شاهد، وانا احلف على هذه الشهادة فاكون قد وفيت بما وعدته من الزيادة، ولقد رأيت الاخوان غير شيخي ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه، ويعرضونه على كل من رآه، ومهر هذه الحال قلبي فقد احتوى عليه، وودي فقد تمسك بطرفيه، والاحرار تستعبد بالاحسان، من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان، على ان المملوك يعتق بلفظة، ويباع في صفقة، ويزول عنه الرق في لحظة، والحر لا تزيده الايام الا رقاً لمن اصطنعه، وتواضعاً لمن رفعه، ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه، ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه، مع انه في زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان، واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان، وما لوامع الرجحان على النقصان، ورضوا من القلب باللسان، ومن الغيب بالعيان، واذا تبين التاجر كساد السلعة، تجوز في الصنعة، واذا قل المتاع، فتر البياع، والحمد لله الذي رزقني من شيخي صديقاً يتجمل بقربه، ويوثق بغيبه، ولا يخاف لغير من لسانه ويده، فلا سلبت هذه النعمى ولا سبت على هذه الموهبة العظمى، فان الايام قلما رأت بيدي علقاً نفيساً الا سلبتني، وقلما اعطتني ما احب شيئاً الا حاسبتني

حتى لى لو صادفت الهواء لجعلته حتى لا يطال جانبه ولو اختصصت بالماء
الصيبه منبعا لا يرى شاربه ما الناس فيما احصى فيهم عددا من ابتعته فباعنى وحفظته
فاضاعنى واستعنت به على الزمان فاعان على و... تطهرت بمكانه على الاعداء فكان
عدم ما الى اللهم نفق سوق لوفا فقد كسدت واصلح قلوب الناس فقد فسدت
ولا تمتنى حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت النقص كما مات الفضائل

وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندي البشائر، وفاتت
النظائر، وملأت المسامع والنواظر، فلا زالت امداد صنع الله تعالى له
متناسقة، والايام له بما يهوى موافقة، وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة
تاب الدهر منها، وخطيئة انكرها ورجع عنها، فان الشيخ يحسن فى لباس
النعمة، ويقبح فى زى المحنة، وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية
ويعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته
ولو اخذنى فيما اخذه منى لاستقللته له واستصغرته دونه والذى رجع
اليه فهو مقسوم بينه وبينى فان اذن فهوله دونى حملت الى الخزانة نسخة رسائلى
فنصفها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء
تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة الى قبح الكسوة، وتغطى على ظلمة الدواء
ظلمة الوعاء، وتتضاعف السماجة ضعفين وتقذى العين من لونين
فيصير القلب سير العين بلغنى ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه
ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله وكتبته فى هفوات عقله العمل ايد الله تعالى
الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير
والكبير منه بالصغير صغير، وكانى بالتمييز وقد نبع منه نابع، وبدولة
الانقاد وقد طلع من سعود ها طالع، وبرجالات الحضرة وقد تذاكروا
مظان الآجال ومساقط الرجال فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته
وقوموه قيمته، وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأنف خلاف ما سلف وانما

خدمة السلطان نار، بينما هي شرار، اذ ملأت دار، و حرقت اوقار، و صيرت الليل نهار، ولاصغير من الولاية كالاكبر من العطلة والسلام

وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها

سمعت ارشد الله سعيكم، وجمع على التقوى امركم، ما تكلم به السلطان الذي لا يتحامل الا على العدل، ولا يميل الا على جانب الفضل، ولا يبالي بان يمزق دينه اذا رفا دنياه، ولا يفكر في ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه، و انتم ونحن اصلحنا الله واياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا الدار الاخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل، فاعدلنا ثواب الآجل، وقسمنا قسمين قسما مات شهيدا، وقسما عاش شريدا، فالحي يحسد الميت على ما صار اليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى اليه، قال امير المؤمنين و يعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة اسست على المحن، وولد اهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة اهلها نغص و قلوبهم حشوها غصص، والايام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة فاذا كنا شيعة ائمتنا في الفرائض والسنن، ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن فينبغي ان نتبع آثارهم في المحن غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر امير المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضي الله عنه سرا وقتل اخوه كرم الله وجهه جهرا، وصلب زيد بن علي بالكناسة وقطع رأس زيد بن علي في المعركة وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ومات موسى ابن جعفر في حبس هرون وسم علي بن موسى بيد المأمون وهزم ادريس بفخ حتى وقع الى الاندلس فريدا، ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا، وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان، وبعد تاكيد العهود و الضمان، هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان، وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على ايدي آل ساسان، وغير ما صنعه ابو الساج

سكان أفى علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى لابن عمر بن على حين اخذه بابويه وقد ستر نفسه وواري شخصه، يصانع عن حياته، ويدافع عن وفاته، ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة وبحسبكم انه ليست فى بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبى تربة تشارك فى قتلهم الاموى والعباسى، واطبق عليهم العدنانى والقحطانى

فليس حى من الاحياء نعرفه		من ذى يمان ولا بكر ولا مضر	
الا وهم شركاء فى دمائهم		كما تشارك ايسار على جزر	

فادتهم الحمية الى المنية، وكرهوا عيش الذلة، فماتوا موت العزة ووثقوا بما لهم فى الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية، ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم واولياؤهم، ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه انصارهم واتباعهم، داس عثمان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ونفى ابا ذر الغفارى الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمى وغرب الاشتر النخعى وعدى ابن حاتم الطائى وسير عمر بن زرارة الى الشام و نفى كميل بن زياد الى العراق وجفا ابى بن كعب واقصاه، وعادى محمد بن حذيفة وناواه، وعمل فى دم محمد بن سالم ما عمل و فعل مع كعب ذى الخدلبة ما فعل، واتبعه فى سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم، و يغدرون بمن سالمهم، لا يحفلون المهاجرى ولا يصونون الانصارى ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا، يهدمون الكعبة، ويستعبدون الصحابة، ويعطلون الصلاة الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار، ويسيرون فى حرم المسلمين سيرتهم فى حرم الكفار، واذا فسق الاموى فلم يأت بالضلالة عن كلالة، قتل معاوية حجر ابن عدى الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعى بعد الايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبرا واوسعهم حبسا واسرا، حتى قبض الله معاوية

على اسوأ اعماله، وختم عمره بشر احواله، فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و
يقتل ابناء قتلاه، الى ان قتل هانى بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى
اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى وبابى موسى عمرو بن قرظة الانصارى
وحبيب بن مظاهر الاسدى وسعيد بن عبد الله الحنفى ونافع بن هلال الجملى
وحنظلة بن اسعد الشامى وعابس بن ابى شبيب الشاكرى فى نيف وسبعين
من جماعة شيعة وامى بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى
ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم الوان القتل
حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بذمائهم التى سفكت عظيم التبعة بجريمه التى
انتهك فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا
ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمدوا واصمد الفئة الباغية وطلبوا بدم الشهيد
الدعى ابن الزانية، لا يزيدهم قلة عددهم، وانقطاع مددهم، وكثرة سواد اهل
الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل
سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن وال التميمى
فى رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام
ثم تسلط ابن زبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد ان شفى الاوتار وادرك
الثار وافنى الاشرار وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله
واتبعوه اباعمرة بن كيسان واحمر بن شميط ورفاعة ابن يزيد والسائب بن مالك
وعبد الله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة ويقتلونهم
شر قتلة حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، واراح من اخيه مصعب
العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه ونفى
عبد الله بن العباس واكثر ارهاقه فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج
على الحجازيين ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين واخاف الفاطميين، و
قتل شيعة على ومحا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى
واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله

ان يختم على اتهم باكثر آثامهم، ويجعل اعظم ذنوبهم في آخر ايامهم، بعث على بقية
الحق المهمل والدين المعطل، زيد بن علي فخذ له منافقوا اهل العراق وقتله احزاب
اهل الشام وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدي ومعاوية بن اسحق
انصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتى نوجه وادناه وحتى من كلمه
وماشاه فلما انتهكوا ذلك الحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم
وانتزع الملك منهم فبعث عليهم ابا مجرم، لا ابا مسلم، فنظر لا نظر الله اليه
الى صلابة العلوية والى لين العباسية فترك تقاه، واتبع هواه وباع آخرته
بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان، واكراد اصفهان على
آل ابي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط
عليه احب الناس اليه فقتله كما قتل الناس في طاعته، واخذه بما اخذ الناس في
بيعته، ولم ينفعه ان اسخط الله برضاه، وان ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقي
الدنيا فخبط فيها عسفا، وتقضي فيها جورا وحيفا، الى ان مات وقد امتلأت سجونه
باهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم
حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمرو
التغلبي فما ظنك بمن قرب متناوله عليه ولان مسه على يديه، وهذا قليل في جنب
ما قتله هرون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن علي
بفخ من موسى وما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هرون وما جرى على احمد بن
علي الزيدي وعلى القاسم بن علي الحسني من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي
حين اخذ من قبله والجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس
الامامة وانتم اصلحكم الله اعظم نصيبا في الدين من الاعمش فقد شتموه، ومن
شريك فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد اخافوه، ومن علي ابن يقطين فقد
اتهموه، فاما في الصدر الاول فقد قتل زيد بن صوحان العبدي وعوقب عثمان
بن حنيف الانصاري وخفي جارية بن قدامة السعدي وجندب بن زهير الازدي و
شريح بن هاني المرادي ومالك بن كعب الارحبي ومعقل بن قيس الرياحي والحرث

الاعور

الاعور الهمدانیؒ وابو الطفیل الکنانیؒ ومافیہم الا من خرّ علی وجہہ قتیلا او عاش فی بیتہ ذلیلا، یسمع شتم الوصی فلا ینکر، ویری قتلۃ الاوصیاء واولادہم فلا یغیر ولا یخفی علیکم حرج عامتہم وحیرتہم کجابر الجعفیؒ وکرشید الہجریؒ وکزرارۃ بن اعین وکفلان وابی فلان لیس الا انہم رحمہم اللہ کانوا یتولون اولیاء اللہ ویتبرؤن من اعداء اللہ، وکفی بہ جرما عظیما عندہم وعیبا کبیرا بینہم وقل فی بنی العباس فانک ستجد بحمد اللہ تعالی مقالا، وجل فی عجائبہم فانک تری ما شئت مجالا، یجبی فیؤہم فیفرق علی الدیلمی والترکی ویحمل الی المغربی والفرغانی ویموت امام من ائمۃ الھدی و سید من سادات بیت المصطفی فلا تتبع جنازتہ، ولا تجصص مقبرتہ ویموت ضراط لہم او لاعب او مسخرۃ او ضارب فتحضر جنازتہ العدول والقضاء ویعمر مسجد التعزیۃ عنہ القواد والولاۃ، ویسلم فیہم من یعرفونہ دہریا او سوفسطائیا ولا یتعرضون لمن یدرس کتابا فلسفیا ومانویا ویقتلون من عرفوہ شیعیا ویسفکون دم من سمی ابنہ علیا، ولو لم یقتل من شیعۃ اہل البیت غیر المعلی بن خنیس قتیل داود بن علی ولو لم یحبس فیہم غیر ابی تراب المروزی لکان ذلک جرحا لا یبرأ، ونائرۃ لا تطفأ، وصدعا لا یلتئم وجرحا لا یلتحم وکفاہم ان شعراء قریش قالوا فی الجاہلیۃ اشعارا یہجون بہا امیر المؤمنین علیہ السلام ویعارضون فیہا اشعار المسلمین فحملت اشعارہم ودونت اخبارہم ورواہا الرواۃ مثل الواقدی ووہب بن منبہ التمیمی ومثل الکلبی والشرقی بن القطامی والہیثم بن عدی ودواب بن الکنانی وان بعض شعراء الشیعۃ یتکلم فی ذکر مناقب الوصی بل فی ذکر معجزات النبی صلی اللہ علیہ وسلم فیقطع لسانہ، ویمزق دیوانہ کما فعل بعبد اللہ بن عمار البرقیؒ وکما ارید بالکمیت بن زید الاسدی وکما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمریؒ وکما دمر علی دعبل بن علی الخزاعی مع رفقتہم من مروان بن ابی حفصۃ الیمامی ومن علی بن الجہم الشامی لیس الا لغلوہما فی النصب واستیجابہما مقت الرب حتی ان ہرون بن الخیزرانؒ وجعفر المتوکل علی الشیطان لا علی الرحمن کانا لا یعطیان مالا ولا یبذلان نوالا، الا لمن شتم آل ابی طالب ونصر مذہب النواصب مثل عبد اللہ بن مصعب الزبیری ووہب بن وہب البختری ومن الشعراء مثل

مروان بن ابی حفصة الاموی ومن الادباء مثل عبد الملک بن قریب الاصمعی فاما فی ایام جعفر فمثل بکار بن عبد الله الزبیری وابی السمط بن ابی الجون الاموی وابن ابی الشوارب العیشمی ونحن ارشدکم الله قد تمسکنا بالعروة الوثقی وآثرنا الدین علی الدنیا ولیس یزیدنا بصیرة زیادة من زاد فینا ولن یحل لنا عقیدة نقصان من نقص منا، وان الاسلام بدأ غریبا وسیعود کما بدأ کلمة من الله ووصیة من رسول الله یورثها من یشاء من عباده والعاقبة للمتقین ومع الیوم غد وبعد السبت احد قال عمار بن یاسر رضی الله عنه یوم صفین لو ضربونا حتی نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا علی الحق وانهم علی الباطل ولقد هزم رسول الله صلی الله علیه ثم هزم ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم، الم احسب الناس ان یترکوا ان یقولوا آمنا وهم لا یفتنون ولولا محنة المؤمنین وقلتهم ودولة الکافرین وکثرتهم لما امتلأت جهنم حتی تقول هل من مزید ولما قال الله تعالی ولکن اکثرهم لا یعلمون ولما تبین الجزوع من الصبور، ولا عرف الشکور من الکفور ولما استحق المطیع الاجر ولا احتقب العاصی الوزر، فان اصابتنا نکبة فذلک ما قد تعودناه وان رجعت لنا دولة فذلک ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالی لکل حالة آلة، ولکل مقام مقالة، فعند المحن الصبر وعند النعم الشکر، ولقد شتم امیر المؤمنین علیه السلام علی المنابر الف شهر فما شککنا فی وصیته وکذب محمد صلی الله علیه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه فی نبوته، وعاش ابلیس مدة تزید علی المدد فلم نرتب فی لعنته، و ابتلینا بفترة الحق ونحن مستیقنون بدولته ودفعنا الی قتل الامام بعد الامام والرضا بعد الرضا ولا مریة عندنا فی صحة امامته، وکان وعد الله مفعولا وکان امر الله قدرا مقدورا، کلا سوف تعلمون ثم کلا سوف تعلمون وسیعلم الذین ظلموا ای منقلب ینقلبون، ولتعلمن نبأه بعد حین اعلموا رحمکم الله ان بنی امیة الشجرة الملعونة فی القرآن، واتباع الطاغوت والشیطان جهدوا فی دفن محاسن الوصی واستأجروا من کذب فی الاحادیث علی النبی صلی الله علیه وسلم وحولوا الجوار الی بیت المقدس عن المدینة والخلافة زعموا الی دمشق عن الکوفة وبذلوا فی طمس هذا الامر الاموال وقلدوا علیه الاعمال واصطنعوا فیه الرجال فما قدروا علی

دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا دس احد من اعداء الله فى اولياء الله ولقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العترة ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجة لا تنفع فى ذلك هيبة ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة والحق عزيز وان استذل اهله وكثير وان قل حزبه والباطل ذليل وان رصع بالشبهة وقبيح وان غطى وجهه بكل مليح

قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من انفس بنى امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا — وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره

لعن الله من يسب عليا — وحسينا من سوقة وامام

وقال ابو دهبل الجمحى فى حمة سلطان بنى امية وولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من امية نوما — وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وقال سليمان بن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم — اذل رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى امية حيث حلوا — وان خفت المهند والقطيعا
اجاع الله من اشبعتموه — واشبع من بجوركم اجيعا

وما هذا باعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبى ومن يحبهم — يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود هم — من امة التوحيد فى ازل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

الم تران منذ ثمانين حجة — اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيأهم فى غيرهم متقسما — وايديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تاليت ان لا يبرح المرء منكم — يتل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنو العباس تصبر منكم	ويصبر للسيف الكمي المدجج
لكل اوان للنبي محمد	قتيل زكي بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قربه المامون

يمن عليكم باموالكم	وتعطون من مائة واحد

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بني عمهم جوعا وسغبا، ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والانصاري ويولون انباط السواد وزارتهم، وقلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل ابي طالب ميراث امهم، وفيء جدهم يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها، ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها وخراج مصر والاهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف الى ابن ابي مريم المديني والى ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد وجاري بغا التركي والافشين الاشروسني كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية او سندية وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين ورسوم القرادين وعلى مخارق وعلوية المغني وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهي ويبخلون على الفاطمي باكلة او شربة، ويصارفونه على دانق وحبة ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين احل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون ضرا، ويهلكون فقرا، ويرهن احدهم سيفه ويبيع ثوبه، وينظر الى فيئه بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب الا ان جده النبي وابوه الوصي وامه فاطمة وجدته خديجة، ومذهبه الايمان وامامه القرآن، وحقوقه مصروفة الى القهرمانة والمضرطة والى المغمزة والى المزررة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة والدمية

والقردة وعلى عرس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة، وماذا اقول في قوم حملوا
الوحش على النساء المسلمات واجرو العباده وذوية الجرايات، وحرثوا تربة
الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوز واره الى البلدان وما اصف من قوم
هم نطف السكارى في ارحام القيان وما ذا يقال في اهل بيت منهم نبغ البغا
وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدي مغنيا و
كان المتوكل مؤنثا موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا
وقتل المأمون اخاه، وقتل المنتصر اباه، وسم موسى ابن المهدي امه، وسم
المعتضد عمه، ولقد كانت في بني امية مخازى تذكر ومعايب تؤثر، كان
معاوية قاتل الصحابة والتابعين وامه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين وابنه
يزيد القرود، مربى الفهود، وهادم الكعبة ومنهب المدينة، وقاتل العترة
وصاحب يوم الحرة، وكان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبي صلى الله عليه
وعلى آله اباه وهو في صلبه فلحقته لعنة الله ربه، وكان عبد الملك صاحب
الخطيئة التي طبقت الارض وشملت وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفي قاتل
العباد، وقاتل العباد، ومبيد الاوتاد، ومخرب البلاد، وخبيث امة محمد الذي
جائت به النذر، وورد فيه الاثر، وكان الوليد جبار بني امية وولى الحجاج
على المشرق وقرة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن
الذي قتله بطنه كظة ومات بشما وتخمة وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة
الذي نسخ الجهاد بالخمر، وقصير ايام خلافته على العود والزمر، واول من
اغلى سعر المغنيات واعلن بالفاحشات وما ذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من
جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين وعريق في الكفر
بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف بن عمر الثقفي، وكان
الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن الممزق بالسهام القرآن
واول من قال الشعر في نفي الايمان، وجاهر بالفسوق والعصيان والذي يغشى
امهات اولاد ابيه، وقذف بغشيان اخيه، وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها
ومع قبحها وشنعتها، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس الذين

بنوا مدينة الجبارين وفوقوا في الملاهي والمعاصي اموال المسلمين، هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون بذلك يقف خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم، فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين، والشام والعراقين، وبالجزيرة والثغرين، وبالجبل واليغارين، وان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على الامير الذي لا يعزل وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة ولا يطلب سجلا ولا شهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد، وطيب المحتد، ونسأله ان لا يكلنا الى نفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وان يعيذنا من عونة الحشوية ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وارجاء الحنفية وتخالف اقوال الشافعية، ومكابرة البكرية، ونصب المالكية، واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية وروايات الكيسانية، وجدل العثمانية، وتشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية وان لا يحشرنا على نصب صفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي او شاشي ولا على ارجاء كوفي ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل بغدادي ولا على قول بالباطن مغربي ولا على عشق لابي حنيفة بلخي ولا على تناقض في القول حجازي ولا على مروق سجزي ولا غلو في التشيع كرخي وان يحشرنا في زمرة من احببناه، ويرزقنا شفاعة من توليناه اذا دعا كل اناس بامامهم وساق كل فريق تحت لوائهم، انه سميع قريب، وبسمع ويستجيب

وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه، وخطبته لسلمه بعد حربه، وما لا يزال يتعرفه مذ انقشعت ضبابة المحنة، وانجلت غمرة الكربة، من صنع جديد في ظل يوم جديد لم تحتسبه، وعز مؤتنف في كل ساعة لم تحسبه حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مائها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها الذاهب وهكذا تكون احوال المقبلين، فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم رجعت فاعتذرت اليهم، والزمان اذا جار بهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون

فی الحالین اجر المحنۃ، وزیادۃ بشکر النعمۃ، ثم یحکم لہم بما ہو بحالہم الیق، و بمقادیرہم اوفق، والمحنۃ اذا کانت بعرض زوال فلیست بمحنۃ، کما ان النعمۃ اذا انتظر بہا التغییر فلیست بنعمۃ، وانما الانسان من دھرہ فی یومہ فاما امسہ ففائت وامام غدہ فامل، وکل غم سبب لسرور فہو سرور، وکل ظلمۃ کانت طریقا الی النور فہی نور، ومن محاسن ایام المحن ان الانسان یعرف بہا غش الاصدقاء، ویقف منہا علی اوزان الثقات والاولیاء، ویمیز بین من ہو صدیق البلاء، وصدیق الرخاء، ومن فوائدہا انہا تعلم المرء مقدار العافیۃ وتعرفہ اخراج زکاۃ الجاہ والدولۃ وتحلی فی فمہ ما یجدہ بعدہا من طعم السلامۃ، ومن منافعہا انہا تطالع الناس علی مقادیر قوم لولا المحنۃ لم یطلعوا علیہا، وتظہر کفایۃ اناس لولا غیبتہم وحضور البدل منہم لم یہتدوا الیہا والان عرف الشیخ بحقیقتہ، ووزن بزنتہ ووقف السلطان والرعیۃ علی تفصیلہ وجملتہ، بحضور غیرہ وغیبتہ، وانما یعرف حق الافاضل من نفع بعدہم الی عشرۃ الاراذل ویشتد بدہ بالخاصۃ من بلی بعدہ بالعامۃ وما اغلی الماء علی من فقدہ، وارخصہ عند من وجدہ، ہذا وقد صقلت ہذہ الفترۃ خلائق الشیخ بالتجارب ووضعت فی یدہ مرآۃ النظر فی العواقب وہذبت افعالہ من کل شوب وغسلت عنہ وضر کل عیب علی انہ لم یزل مبرأ من کل رذیلۃ، ومخصوصا بکل فضیلۃ، ولکن الایام علمہا فی التعلیم وخاصتہا فی باب التنبیہ والتقویم، فالحمد للہ الذی رد الی ذلک الامیر جمالہ وبہاءہ، وعمر بابہ وفنائہ، وسر شیعتہ واولیائہ وعم حسدتہ واعدائہ، ولم یجمعہ بالعلق النفیس لکی لایشتری بالاثمان، ولا یوزن بالمیزان، ولا یکال بالقفزان، ولایری مثلہ فی ہذا الزمان، کما لم یر فی سائر الازمان، ثم الحمد للہ الذی حول کتبی من التعزیۃ الی التہنئۃ، و اخرج القاضی من میدان الصبر، الی میدان الشکر، وجعلنی رطب اللسان بالحمد للہ، بعد ما کنت رطب اللسان بانا للہ، ثم الحمد للہ الذی استجاب دعائی، ورحم بکائی، وعلمنی کیف تطلب الحاجات ومتی تستجاب الدعوات، وعرفنی ان الدھر غریم ربما یفی بما یعدہ، وحبلی بما تتم فیما تلد، ثم الحمد للہ الذی ارانی اہل خوارزم وقد عرفوا ریحان من فقدوہ، بمن وجدوہ، کما عرفوا

نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه، وانشدوا قول حنظلة ابن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته	وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

وترجعني اليك وان تناءت	ديارك عنك تجربة الرجال

وكتب الى رئيس سمرقند

وصل كتاب سيدي بعد ان كنت ظننت لتاخره ظنونا اعيذه بل اعيذني بالله من ان تصدق بها فراستي او تتحقق بخيلتي، وظن المحب متوزع، والشفيق بسوء الظن متولع، الكتاب الذي ذكر سيدي لم يصل ولقد كان الكاغذ للجواب عنه موجودا، والكاتب مشهودا، والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا، افهم غير المفهوم وليت شعري كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلكة السعدي واوفى بن مطر المازني وعمرو بن براقة الهمداني والشنفرى الازدي وتابط شرا الفهمي والسمهري العكلي ومالك ابن الريب المزني وشظاظ وبرجان وكعب حدرو ومالك بن خزيم وعمرو الكلب الهذلي وجحدر العكري والمنتشر بن وهب الباهلي وابو النشناش الحنظلي والقتال الكلابي وابو حردبة والحطيم التميمي واكتل ورزام الخريان، واسكاب والغداف القاطعان وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل التميميان وعروة الغفاري وحاجر بن عمرو الازدي هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا، ويأخذون كل سفينة غصبا، واما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدي كتابا قرأت عليه المعوذتين، وعلقت في جيده تميمتين، واخذت من حامله كفيلين، احدهما ذو الجناحين، والآخر ذو النورين، حاجتي في كذا قضيت بسيدي لازال قياما بالحوائج يحل ما يعقد، ويسهل ما يشدد، ولا زالت عنايته تفك اسيرا، وتيسر عسيرا، لا جرم لقد كتب على سجل رقي وقلد رقبتي له حقا يوفي على كل حق، وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة، وعمله انجاز الموعدة، لرجل يحسن ان يغير

الشیم، وان یعلم اللئیم الکرم، فلا زلت اتحمل لسیدی عارفة تنضاف الی سائر عوارفه، وآنف صنیع ینضم الی سالفه، حتی تسود حواشی جریدة نعمه علیّ وایادیه الیّ فاعمل جریدة غیرها، واضیف الیها مثلها

وکتب الی ابی سعید احمد بن شبیب جوابا عن کتاب له ورد علیه یبشره فیه بخلاص وزیر خوارزمشاه من المحنة

کتاب صاحب الجیش ورد مشحونا ببشارتین، او ورد تافرحتین، واوجبا شکرین احدهما وهی کبراهما خبر سلامته وسلامة احواله ونعمة الله تعالی علیه فی جملته، والثانیة خبر ما اتاح الله تعالی للوزیر ابی فلان من الفرج الذی وافی بغتة، وورد علی القلوب والاسماع فلتة، فما ادری بایة النعمتین کنت اکبر اعتدادا، واکثر بها لمحاسن الایام تعدادا، وبایة البشارتین کان سروری اکبر حجما، واعظم جرما، ولایة الفرحتین کان قلبی اطرب ولسانی بشکر الله تعالی ارطب، علی ان سلامة صاحب الجیش وان کانت البشارة التی توفی علی البشائر والنعمة التی تربی علی النعم البواطن والظواهر، فانها جرت مجری الثیب اذ کانت متطلعة متشوفة، ومتوقعة متوکفة، ووردت علی شیخ ینتظر موردها، وعلی قلب یتنجز موعدها، وخبر نعمة الله تعالی علی ذلک الوزیر وقد جری مجری بیضة العقر، وقام سماعه مقام افتراع البکر، وردوا القلوب فیه غیر طامعة، والنفوس الیه غیر منازعة، والیأس قد رتج باب الرجاء، والبلاء قد نسخ آیات الرخاء، وطول ایام الفترة، قد هزم بجیش الهم جیش المسرة، وکان نعمة خرجت من بیت نقمة، وفرحة نبتت فی ارض غمة، وخبرا سار مر علی اذن طالما قرعها خبر البلاء، وعلی عین طالما باتت علی السهر واصبحت علی البکاء، والسرور اذا خرج من الکمین کان انفس للزینة، والضحک اذا وجد فی ساعة البکاء کان اغرب فی السماع والرؤیة والحمد لله الذی جعل صاحب الجیش یهدی البشائر الی مضاعفة، وینعم علی النعم متراکمة مترادفة ویورد علی خبر سلامته فی نفسه التی هی اعز النفوس علیّ ممزوجا بخبر سلامة احب الناس

بعده الى لتـ ون ريح نسيم قد هبت على جو با دشمالا، وجناح الانس والطرب قد رفرف علي بيب دشمالا، كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الامن بابه، وكأن البنات لا يحسن ان نطلع على الامن كتابه وخطابه، وفهمته وعظم اعتدادى بمورده لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين، واجبته بقلبين، وكتبت بكتبه بقلمين، وواليت ايامه ودولته بنفسين، كما انه يحسن الى من جهتين، ويبث رفى من جانبين ويهدى الى الهدية ذات الطرفين، فاما ان نعمته على متنى مثنى، ومكافاتى له عنها فرادى فتلك اذن قسمة ضيزى، ولكن متى استوفى فعل محسن وحال شاكر، ومتى ربح رئيس على شاعر، ومتى استوى من يطلب سائلا، ومن يطلب نائلا، لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا، ومددا وعضدا، وركنا وبدا، وسنانا محددا، وسهما مسددا، وسيفا مجردا مهندا، وجدا مجددا، وعزا مؤبدا سرمدا، ولا خلوت منه ابدا،

وكتب الى خوارزم شاه

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد أسرورى بالوصول ام سرورى بالمحمول وفهمته ولما عرضته على اصدقائى، صار يحسدنى عليه اعدائى، فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم، ومحاسن الخط بعيونهم، علموا ان بخوارزم قوما من النجار الافضل، ومن الطراز الاول، اذا اخذوا الاقلام كتبوا، واذا اخذوا السيوف ضربوا، وان كان الامير رأس الجريدة وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجه الرزمة وصدر الدست واول التخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب ويحسب الاميران هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق، ولقد تركت الاسماع به مشحونة، والقلوب مفتونة واتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا، ولا تحملنى اعوادسرجى مرحا، فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى	ضنا به نظرى الى الامراء

ولقد قال لی من لا یدع فضلا الا تنقصه ولا جمیلا الا غمصه، هذه
کتابة الوزیر لا کتابة الامیر، فقلت له ما زدت علی ان جعلت الفضل
خادمه والکمال تابعه، ومن خدم الفضلاء فقد خدم الفضل، ومن
تصرف فی عمله العقلاء فقد تصرف له العقل، وکیف یخدم الفضلا
غیر فاضل ام کیف یرضی لکلمة بالمقام علی غیر کامل، واصدرت الجواب
الی حضرة الامیر عمرها الله تعالی بوفود الرجاء، وملأ رحابها وابوابها
برسل الملوك والرؤساء، وصرف الیها زمام کل رغبة وثنی نحوها عنان کل رهبة
وجعلت هذه الاحرف جنیبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخیل

وکتب الی العامل علی البرید بالاهواز

کنت ظننت بك یا اخی ظنا کذبه قبیح فعلك، وضعف هجرك ووصالك
فانك لا تعدل فیهما علی قیاس واحد، لا تصبر منهما عن طعام واحد فلا جرم لقد
رجعت فی ودك وما کنت ارجع فی هبة، وندمت علی ثقتی بك وعهدی بی
ان لا اندم علی حسنة، وهذا ایدك الله تعالی رزقی من کل من اصفیته حبی
ووضعت فی یده قلبی فانا ابدا بین صدیق اشکوه وقد کنت اشکره، واعذله
وقد کنت اعذره، وارتجع قلبی منه کرها وقد سلمته الیه طوعا حتی لقد
اشتغل قلبی بخوف الاصدقاء عن خوف الاعداء، واشتغل شعری بالعتاب عن
المدیح والهجاء، حتی لقد صرت اعد سوء الظن حزما واری المساهلة غبنا
واحسب المکافاة علی القبیح عدلا، ومعاشرة الناس بالغش عقلا، وان کان
هذا لیس جمیلا فانا فیه تلمیذ اصدقائی وهم فی الحمد علیه شرکائی

وکتب الی ابی حامد بن روزبه ادیب قومس

وصل کتاب شیخی مکتوبا بخط ینطق بغیر لسان ویفصح من غیر بیان
احسن من کل شیء غیر کلام صاحبه، والطف من کل شیء غیر
اخلاق کاتبه، القصیدة قد حفظتها لما لحظتها، ورویتها لما رأیتها

ولو اجبت عنها، لسرقت الجواب منها، اذ كانت قد جمعت نشر البديع،
وضمت اطراف الرصف والترصيع، ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت
الى شيخ من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على انى قد
طلقنى الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب او بالرغب او بالرهب وما
بقى شيئ يسر به فاطرب ولا بقى كريم فارغب، ولا بقى وجل فارهب

وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

وصل يا ولدى كتابك القصير نجداه، المختصر جداه، وفهمته ذكرت انك مشتاق
الى اللقاء، ومستبطئ فى ذلك القدر والقضاء، والمسافة بيننا صغيرة
البقعة، ضيقة الرقعة، اذا ذرعت بذراع الهوى، ومسحت بيد الذكرى
وهى بعيدة اذا مسحت بيد التسلى ونظر اليها بعين التغافل والتناسى
والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط
والتعويق، فلا تتعلق باذناب العلل، لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا انه كان صغيرا كايام لقائى له قصير الهدية
انسى به، على انه لا قليل من البر، ولا صغير من الذكر، على ان صغير البر الطف واطيب
كما ان قليل الذكر اشهى واعذب، عاتبنى الشيخ عتابا انسانى الرعد القاصف والريح
العاصف والبرق الخاطف واردت جوابه فعقل لسانى عنه ذكر ايام تفض
العزائم، وتسل السخائم، وما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه، و
على شيطانه فيغلبه، فلم نزع شيخى قميصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه
واطلق لسانا لم يزل يحبسه، انا بكتاب شيخى اذ ورد على اشد سرورا من المشتاق
الى التلاق بعد طول الفراق، ومن العاشق بالعناق، ومن الاسير بالاطلاق
ومن الفارك بالطلاق فيلتحفنى به، وليؤهلنى له، ان شاء الله تعالى

وكتب اليه ايضا

١٧

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى وخاطرى وغالطت فى انتقاده قلبى وناظرى لان رسوله كان اعجل من ايدخل نصفه ومن عامل حضر مشخصه ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة او بياض غدوة وهو على فراسخ بعيدة وفوق مطية بليدة ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب وخاف عاقبة فوات الروح والسلب ومن المحتشرى يوم الجمعة وقد سمع الاذان وركب السلطان فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم وضبطنى ضبط الخصيم وشغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدى ترتعش وقلبى ذهل دهش وانا ارى لشيخى ان يستعمل هذا الرسول فى جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوالى فانه يحاسب على اللحظة ويضايق فى اللفظة ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سره لجعله خليفته وفوض اليه امره فانه اكره منه لقاء واشد قضاء وحاجتى ان لا يرده شيخى الى فانى ارحم الارض من ثقله واحب بطنها وابغض ظهرها من اجله والسلام

وكتب تعزية الى ابى بكر

بلغنى ما قاساه شيخى ايده الله تعالى فى هذه المصيبة من غم يشكى بل يبكى وجزع يضنى بل يفنى والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى ما رآه بالماضى وعلى المعزى لما نظره فى المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشى	اواخرنا على هام الاوالى

وشيخى اعرف بالله واقرأ لكتاب الله واروى لاخبار رسول الله من ان يتأدب بغير ادب الله ولا يسلم لقضاء الله ولكن لمفاجاة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الاخ الشفيق فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه ولا يدفع بلاءه وجعلنا الله تعالى ممن ينجز بالصبر ما وعد من البشرى والصلواة والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

والهمنا العزاء عما استاثوبه، والشكر على ما اخلف منه، والسلام،

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

كتابي وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة، ونسي اسم المطالعة والمواصلة والذنب في ذلك لاحدنا فان كنته فمني المعذرة، ومن الشيخ الصفح والمغفرة، وان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر، وغفرت ذنبه قبل ان يستغفر، وطفلت عليه بنصبي لساني نائبا عنه، وخليفة له، وورد ولده فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه ورايت الايام قد كسته رداء جمال وكمال، وصقلته بيد اقبال واقبال، وخرجت نجيبا انجل النجباء، وابنا احيا الآباء، ورأيته

يطلب شاو وامرين قد ما حسنا	بذ الملوك وفاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما	على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل	فمثل ما قد مامن صالح سبقا

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى، وعلى ارتفاعه في الذروة العلياء، وقد رسخ عرقه في تلك الدرة الكريمة، وفرعت غصونه على تلك الدوحة العظيمة، لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا، ولو بات في خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما، فكيف بولده، ومن هو قطعة من كبده، كانت الايام امتعتني بلقاء الشيخ مدية قصيرة كان نهارها القصيرة ظهر وعصر، وليلها عتمة وفجر، فلما شكرتها رجعت فيما وهبت، وندمت على ما صنعت، وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء، وندم على ما سببه من المسرة فساء، والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد، وتجاوز الصنع القديم الى الجديد، فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة، وظفرت بتلك الفلتة، كتمتها لساني وشكرتها بضميري دون لساني، بلغني خبر تلك العثرة التي كانت عينا اصابت الاحسان، وعينا لحق الزمان والسلطان، فزاد ذلك في جراح الايام، وفي وقائعها بقلبي، ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين، والعاقبة للمتقين، وان الدهر يخطئ

ثم

ثم يصيب ويذنب ثم يتوب لا يبخل على الشيخ بكتبه فلولم استفد منها الاخبر بسلامته لكانت الضالة التي تطلب والعلق الذي لا يعار ولا يوهب فكيف وفيها الفاظه التي تشوق العجوز الى شبابها والثابتة الى احبابها فاقوا تماقط الاحسد طرفي لساني على لفظة وحسد لساني طرفي على لحظة

فوالله ما ادري ازيدت ملاحة	على الخلق ام راعك الحب فلا ادري

وانا وانكنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق ولا شاعر الوفاء والصدق ولا شاعر الصداقة والودة ولا شاعر الديانة والعقد لا تتلون اخلاقي الوانا ولا اكون على صديق ومن يشكو الى زمانا ولا اكون اخاه ايام دولته وعدوه ايام عطلته وقد غشت المروات وانثلمت المودات ومات الوفاء والثبات

وكتب الى ابن العميد الحاكم

كتابي الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته ونعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته وورد على كتاب الشيخ الذي كل سطر من سطوره كتاب وكل لفظة من الفاظه باب بل ابواب المفيد باطنه وظاهره البديع اوله وآخره الذي ما ورد على الاحسدني عليه من رآه بيدي وود انه لوكانت عيناه عيني وعلم اني قد حويت في الحظوظ بقسم وافر وانه قد حصل منها على غبن ظاهر لا زال الشيخ اباعذر كل كلمة سائرة وكل فعلة نادرة ولا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد ومحط الرحال الجهد وشريعة موروده لزوار المجد وبابا مفتوحا لمستخرجي الرفد فلان قد غضب على في ما اعرف لي ذنبا يستوجب منه عتابا ولا انسبه مع ذلك الى التجني ولا اضع فعله موضع الظلم والتعدي ولكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه ويخفى على من جناه وقد يرى الانسان من عيب غيره ما لا يراه من عيوب نفسه ولذلك قيل

ان المرائي لا تريك عيوب وجهك في صداها	وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته ويوجد لي من عفوه

ما انشدت، ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من داء
الهجران، ويصلحها من فساد الزمان، ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها
ومتلونة الوانها، فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها، وتعادلت جوانبها،
اتسع فيها مجال الشكر والذكر، وطالت فيها خطوة النظم والنثر

وكتب الى ابى القاسم الابى البندار

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق، لا بل خروج الآبق، قد كتم اخوانه
حاله، ولم يستكفهم اشغاله، وخص من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان، لا بل
بالقسط الاوفر من الحرمان، وما كان يضره لو صحبت ركابه، وكثرت بسوادى اصحابه،
وقد لزمته الذنب وفى، وان كان مقسوما بينه وبينى، كان ينبغى لى ان اقيم على بابه
حارسا، وبكل درب من دروب محلته فارسا، واتعرف خبر رحيله، واقف
على كثير ما يأتى وقليله، اذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين، وبقلبى مأتين، على ان
قلبى قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده على، وليتفذه بل يقدمه رسولا
قاصدا الى، فان غاية المشيعان يرجع، وعاقبة الضيفان يودع، ولا يأخذ
قلوب صدقائه فى مرافق اعماله، ولا يكثر بمشيعيه سواد اضيافه، ولا يتركنى بلا
قلب فانى احتاج فى مكاتبته الى قلوب، والنظر فى كتبه الى عيون، والصبر على فراقه
الى نفوس، ولا يقل هو عندك تذكرة منك، ونائب على بابى عنك، فانما
يحتاج الى التذكرة من ينسى، والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى

وكتب الى بسمكة بقم

انا الح على شيخى فى السؤال، واتجاوز حد الادلال الى حد الاملال، لان
الذى اساله لا يوجد منه عوض، ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض، ومن
طلب خطيرا، احتمل كبيرا، وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع، وبحسب
عظم النائل ضراعة السائل، وليس يرد كتاب شيخى على من هو اضن منى
به، ولا ارغب منى فيه، ولا اروى منى له، ولا اشكر منى عليه، ولا اتوق

منى

منى اليه، واظن شيخى يستفتش مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى وصدر
برى خير من ملق فوقه برد سابرى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض فى زوايا
الهوى، وقد ينبت المرعى على دمن الثرى واولا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ
مستوراً، واصبح لسانى بعدها مقصوراً، لسألته كتاب كذا ولكنى الى
الخروج من الحواصل احوج منى الى طلب النوافل، ولقد نقص شيخى الى
الادباء، وصغر فى عينى العظماء، وصارت اخلاقه لى مرآة ارى فيها الحسن والقبيح
واتبين فيها السقيم والصحيح وثمرة الادب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح
فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل فحصد والنقص من زرع الفضل
لا نعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر، وقليلا يتكثر، لا يفيد من دونه
بخلا، ولا يستفيد ممن فوقه جهلا، ولو تعلم لعلم جهله، ولو علم لحفظ
علمه، والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل والجهل بنفسه نقص
كبير فكيف اذا كان معه البخل ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان
الجواد يبخل اذا بخل عليه ويتحول داء غيره اليه فشر الادواء داء اعدى و
شر العيوب عيب تعدى، امتع الله تعالى شيخى بمحاسنه التى هى بيت المدح
ومقيله، وغرة الدهر وتحجيله، واطال بقاءه وجعلنى فداءه

وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى، واليه تنتهى غاية جودى، فان
اكن بلغت منها رضاه، فذلك الذى اريده واتحراه، وان تكن الاخرى
فالرمية قصرت عن الرمية، والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنية
فانما الذنب لرسوله الذى زعم انه اكفى وقال لى حسبك وكفى فان الطبيب
يخرج من الدواء، مقدار ما يشكى اليه من الداء، ذكر الاديب فى كتابه ان
سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته وقرب نجح تجارته
فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد وبار بل باد،
كتاب شيخى ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر، والى نزهة الفكر

ورايت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف واني لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل والغائب الى الاهل فاذا انقطع عني وانقطع دوني ثكلت املي وفجعت بسروري وجذلي وغزى بعساكر الهم صدري وخلا لها ظهري وشيخي يتفضل فينظم الطرق الى به ويكون شفيعا لي لسانه وقلبه ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي بكر بن شيرد

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظي من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه وقمت بالواجب علي من الاخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على اني لو شيعته لاصبحت مشيعا وصديقا وامسيت معه صاحبا ورفيقا ولما تركني الشوق ارجع عنه ولا خلاني اخلو منه وكنت اصير زيادة في اشغاله بل زيادة في عياله فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت وارتدت الصواب فاخطأت ولقد تركني الشيخ بجميل عشرته وكريم صحبته ابغض كل من احببته واباعد كل من قاربته وكانه انما بعث الي ليفسد الاخوان علي فقد ضيق خلقي وان كان وسع رزقي وافسد فعالي وان كان اصلح احوالي ومن العجب وجود الحر في هذا الزمان الذي صار فيه اللؤم سنة متبعة و اصبح الكرم بدعة مبتدعة ورخص الثناء حتى ما يبتاع وغلا السخاء حتى ما يباع والكلام في هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته ويستفرغ الفراغ مع قلته واني لاعتب على شكري للشيخ وانسبه الى النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكرا لو شكرت الزمان به لاصبح لي شتاؤه ربيعا وجدبه خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا بمرادي ولا تصرفت بروجه الا على اسعادي ولا سعى الا في مصالح معاشي ومعادي وليس يخلو شكري لصنيعة سيدي ان يكون دونها او فوقها او مثلها فانكان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون يده العليا على من عامله وصنيعته الراجحة على شكر من شكوله وان كان

فوقه فقد ربح على الشيخ فليرد لي الى رأس المال فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال وان كان مثله فقد اخذ مني مثل ما اعطى واستأداني كفاءما ادى فليستأنف الآن برأه استأنف شكراً وليجد دفعه اجد دخدمه هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذي اغناني فليحتمل بطرى وهذ ياني وكيف احاسب من نفسي بعض صنائعه الى وروحي بعض ودائعه لدي ومن افعاله الجميلة عندي تفني كل حساب وتملأ كل كتاب الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع وولاني قفا صبور قانع ليعلم ان الكريم الوف عروف وصدوف عزوف يشكر على اليسير وتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوي عندي ان تهدى الى احد او تحمل من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطيبخ لأكل الخل والبقل وتطرف بطلبتها تطرف الغني بلبس الوذاري وهو غريق في الوشي العتابي وقادر على الديباج الخسرواني ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه و يتحف بها جلساءه فتكون بابا من ابواب الهزل او جنسا من اجناس النقل

وكتب الى الوزير بالحضرة

ما اقرب الاشياء حين يسوقها		قدر وابعدها اذا لم تقدر	

كانت ايد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال وفي ضمان الايام والليال فاكتسى فيها الزمان واوجف لي بها الاخوان قد اخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق وتراجع حسن الظن بها حتى تمحق وطابت النفس عنها بيد اليأس منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر واقامها من صرعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ونسخ باليقين الرجاء فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقي وماء سيحا قد كفى مؤنة المستقي وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجد على الطريق مطرحا و بابا من ابواب المكارم مفتوحا لا المجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت

بد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة، واحتوى تلك المكرمة المذخوره فالحمد لله الذى وفقه لحفظ ما ضيعوه، ورفع ما وضعوه، ولقد اشترى من الشكر بلعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة افعاله ويلاحظ شخص خصاله، ويا ليت البخيل يحطى من رزقه قيمة خلقه فى سعته وضيقه، ويا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد فى رقبته، اوحقائب على عاتقه، فلعلها اذا اثقلت ظهره ضيقت صدره، فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه، وحر يسوفه

وليت رزق اناس مثل جودهم		ليعلموا انهم بئس الذى صنعوا

تأخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لانى اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى، ولا القلب اذى ولولا انى رابع الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد، ولناسخها الى كل هذا الارتياد، ولكنى كابى الدمية لا يألو جهده فى جودة كساها، وكثرة حلاها، يشترى لها المطوى والملوى ويكسوها الديبقى والمروى ويتجاوز فى جهازها الفضة الى الذهب والشعر الى القصب ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة، وعليه مردودة، ولو كانت بنته حسناء لزفها ولو انها من الثياب عارية، ومن الجمال كاسية، ومن الحلى عاطلة سالية، ومن وجهها حالية لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته، وبائعا لا تنقض بياعته، وبعد هذا كله فانى مقر على نفسى بالتقصير، ومستحق للوم الكثير فان المحال اذا نصر زاد بردا، وان الخطاء اذا احتج له صار عمدا، فلان قد صحبته كتابى بالوصاية، وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعاية وارجو ان الشيخ لا يلوم من جرّ اليه حمد الاحرار بزمامه، ووقف الثناء والاجر على مدرجته وانعامه، وانما انا دلال من دلال الى الشكر، وممسا من سماسرة الثواب والاجر، ولما رايها تين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا او لاجود منه نقدا فجهزت اليه باعة البضاعة، ودللت عليه الباعة، والسلام

وكتب الى تلميذ له

انكنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة، فنحن في موضع الاستزارة، وان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لك لدينا، فسقط حقنا عنك وبقي حقك علينا فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه، واستغنائه عن دوائه، وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتتجمل له ولا تعيره عزله، ولو لم تزرنا الا لترينا رجحانك كما طالما رأينا نقصانك لكان ذلك فعلا صائبا، وفي القياس واجبا،

وكتب الى حاكم نيشابور من اصفهان

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعد عنه، ويستقصر الدهر اذا قربت منه، ابدع في اكرامي بدائع لو كانت كلمات كانت امثالا، ولو كانت ابياتا لكانت افرادا، وكساني خطرا زامن الصيانة ضفت على ذيوله، ولاحت على صفحات احوالي غرره وحجوله، وخاطبني بكلام كانما خلق من خلقه حسنا ورقة، وكانما اقتطع من كلامه اطفا ودقة، ووعدني مواعيد في صحبة العدل والتوحيد، ورقاني في غاية تزلق رجل المنى وتقصر دونها همم الورى وتجل خلقها الدرجات العلى اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى واتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة وغيرة، وان هذه العاقبة كانت دولة وكرة، وان الدهر اوفانا كيل المسرة، كما اوفانا كيل المضرة، وحمل الينا من الخير مقدار ما تحامل علينا في المكروه ومهد لنا ايام اليسر عدد ما مد لنا من ايام العسر، فقد انصف وهو ظلوم، وتكرم وهو لئيم،

وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقني الى خطبة الوصل كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل، فابى كسله الا ان اسبقه اليهما، واغلب عليهما، فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر، وحين لا تسع مجال النزع في الصدر، وحين رأيت الخط يضيع بين هيبتي وتغافله، والوجه يذهب بين اشغاله وتشاغله، وقد بلغ الله

تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع، ولا يزيد في ارتفاع قدره ان يترفع فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار او في ربابة، ويعمر ما بينهم وبينه او في عمارة، وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمى للمال، وابقى للحال، ومنعها تحقيق للوفر، وتعريض لحوادث الدهر، وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة، والزيادة في النفوس محسوبة، زاده الله تعالى مما عنده واطلع عليه سعده، واعلى جده، وجعل حاسده عبده، ورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا، والقلوب كمالا، والاسماع مقالا، وعمر الاعداء فضلا وللاولياء افضالا ونوالا ورأينا في قميصه رجلا بل رجالا، وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه، وخروجه من حيز اصحابه، ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض ولا يقوم مقامه عرض وقدرانه يصيب في كل زاوية من يسير في اقسام النجابة، ويجمع بين الفروسية والكتابة، فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فاني اراها تلفظ الرجال، وتنفي عن نفسها الكمال وان امرأ تعوق منه الآباء والاجداد ويخالف به تدابير الاولياء والبلاد، لحقيق بان لا تخشى فاتحته، ولا ترجى عاقبته

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

وصل الي كتاب الشيخ وعقفته، اذ لم اطر فرحا لما رأيته، ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته، ولقد استخفني الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله في رياض سقتها الخواطر، لا الغيوث المواطر، وطلعت على شمس البهاء، لا شمس الضحى لا بل روضة الخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر، وطريق للسابل والعابر، وتلحظها عين اللئام، وتدوسها ارجل العامة والطغام، وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة، وعن اكثر الايدي مصونة، لا يرتع فيها الا ناظر خاص، ولا تمسها الا يد نبيل سوي، قال ديك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة	يوما لما وطئ اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعني في خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتي، ولا تطمح نحوها همتي، فعلمت

انه يسلفني نعمة لا ادخل في غرامه، ونصيبه واحداً من جملة انعامه، وليكون قد تناولني بالبر من كل طرفه قولاً وفعلاً وجوهراً وعرضاً ولساناً وبياناً والله تعالى يكافئه ويكفيه، ويبقيه ويقيه، ويديمه كما يحييه، ويديم احساله فيه،

وكتب الى الوزير ابي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى

كتابي الى الوزير وانا على بعد الدار سالم في جملته مستظهر على الايام بدولته واحمد الله تعالى على سلامتي في سلامته، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيري غرت عليه غيرة الفحل على الشول بل غيرة المرأة على البعل وتوددت ان لم يكاتب به غيري او من يشكره مثل شكري فاني مع استقصائي لنفسي في ذلك قد اتعبت الورقين، بل اتعبت الكرام الكاتبين، وابقيت للخواطر والالسن شغلاً طويلاً، وطرحت عليها عبئاً ثقيلاً ولقد كانت ايامي بحضرة الوزير قصاراً، وكان ليلي بها نهاراً، وساعاتي فيها سحاراً، كما ان ايام فراقه لجلد على وقع سهام الهجر، واسع المجال في ميدان الصبر ولقد صابت عين الزمان وفائي وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراقه اصدقائي فاجرني الله تعالى على هذه المصيبة، ولا حرمني عليها جميل الاجر والمثوبة، لا يبعني الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا، ولا يبعد في عنه، وقد قربني الحب منه ولا يبخل على بكتبه، فعهدي به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه وليأنف من ان يكتب اسمه في جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

انا لامر سيدي الشيخ ممتثل ولقبلة مراده مستقبل ولكن فلان طرقني والشوق قائده، والحب سائقه، فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غداً وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح، واقامه من بين يدي الطاس والقدح، فقد قطع عليه طريق السرور، وقام بازائه مقام حوادث الدهور، وقطاع الطريق على الناس اقل وزراً من قطاع طريق الطاس والكاس لان

ليال طوال وليلة فراقه تعد بليال واني بعد صبري على فراقه صح

الذى يأخذه اولئك من المال قد يصاب منه بدل ويوجد الى العوض منه سبيل والذى يأخذه هولاء من العمر ويقطعونه من ايام الدهر لا سبيل الى ارتجاعه ولا التئام لجراحة اقتطاعه هذا والضيف مولاى والمضيف عبده فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاى وان اخالف هواه بهواى وقد علم ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه وخرج الى سخط من رضاه

وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى وراع قلبى واسهر عينى وهذه العلة وان كانت موجعة وفى رأى العين فظيعة شنعة فانها الى السلامة اقرب وطريقها الى الحياة اقصد لان عين الطبيب تقع عليها ويد المريض والمعالج تصل اليها وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم من باطنه وبارز الجرح اهون من كامنه وهذه بعد علة تعم الابدان وتشمل الصبيان واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب عبأ لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى انها تورث سواد اللون وتذهب من الوجه بديباجة الحسن ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة وفى الشر خيار ومن المحنة الى المنحة صروف ومقادر واذا اخطأت سهام الايام جانبا واصابت جانبا فقد سرت اكثر مما ساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب والسيئة منها تنتظر وترتقب ولست استطيع لك غير الدعاء ولا اكلم فى بابك الاطبيب الاطباء ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء ولا اسال صحتك الا من خلق علتك وارى لك ان تحسن ظنك بربك وتستغفره من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعك واليقين طبيبك وتعلم انه لا داء ولا دواء من اجل ولا دواء اشفى من مهل ولا فراش وطأ من امل شفاك الله تعالى وكفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك

وكتب الى فقيه من تلامذته

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهي حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله، ورائع بين روضتين حاهه وماله والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز، واخذت احتال بصبرا عنك فاعجز، وعرضت معاملتك لي على الود بيننا فاباها، وقدمت فعالك مع الى القلب فما ارتضاها، فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا، واذكر ونذكر ما نسيته او تناسيته من عهدنا، واعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا اوشكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم، وخالبا عنهم، حملت اليك نسخة رسائل الوزير وهي كالحلقة لا يدري اين طرفاها، وكالسمسم لا يفضل ولا ها على اخراها كلها خيار، وكلاح ونها اختيار، فاعرها من اذا استعارها منك قبل بدلك واذا ردها عليك مثل بجليك، واعلم ان قد رهنا الكلام في الكلام كقصدر صاحبه في الانام فلان قد نصب لنا الحبائل واراد بنا الغوائل واقعد فرع باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء، وادخل يده جحر الاسود، وقعد ملك الموت بالمرصد، ونطح بر اسه الجبل واستبطأ الاجل وطاد الفتنة عن باب داره، وانزل النحس في جواره، واستهدف سهام الحتف، ووطئ على حد السيف، فلاجرم اصبح نقل كل لسان، وضحكة كل انسان، وحملت امهاته سفاتج الى البلدان، واجلت غيرة جهله عن اديمه وقد نعوك، وعن ماء وجهه وقد سفك، وعن ستره وقد هتك، وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم واصله اللئيم، لمكر العقلاء، وقول الفصحاء، والسنة الشعراء، واقلام البلغاء وليس وراء لسان تقرع به الآذان، ولا عرض يعارض به الاقران

وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن جوارزمشاه

كتبت وانا مقسم بين فرحة وترحة، ومردد بين محنة ومنحة، اشكو جليل الرزية، واشكر جزيل العطية، واسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمة، وللامير السيد التأييد والنعمة، فان المصيبة بالماضي

وانكانت تستوعب الصبر فان الوهن فى الباقى تستنفد الشكر والحمد لله الذى كسر ثم جبر و سلب ثم وهب وابتلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة ان تطمس آثارها، وتظلم اقطارها، وتهب ريح الخراب عليها، وتنظر عين الكمال اليها، حتى ذبلت شجرة المملكة، ووهن ركن الملة، وطرف ناظر الدولة، وانثلم جانب الدعوة ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه، فرد الى الامير حقه، وقرت الدولة فى قرارها، وعادت النعمة الى نصابها، وطلعت الشمس من مطلعها، ووضعت الرياسة فى موضعها، فانا الآن بين شكاية الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه ابكى وانا ضاحك واضحك وانا باكى العين الا ان الضحك على اغلب والفرح الى من الغم اقرب لان المصيبة ماضية، و النعمة باقية، رحم الله تعالى الماضى رحمة تهون علينا مصرعه، و تبرد له مضجعه، وتضاعف حسناته، وتمحو سيئاته، واعان الامير على رعاية ما استرعاه، والهمه شكر ما اعطاه، وتولاه فيما ولاه، ووالاه جزيل ما اولاه، و ايد بالهيبة سلطانه، وثبت بالبقاء اركانه، وحرس من الغير زمانه

وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد

كتابى الى الامير وقد ملك الجزع صبرى وعزائى، وجعل ناظرى فى اسار دمعى وبكائى، والقلب دهش والبنان مرتعش وانا من البقاء فى الدنيا مستوحش والجفن غرق، والقلب محترق، وما اجتمع قبله غرق وحرق للمصيبة التى ثلث عرش السلطان، وطمست نور الزمان، وجعلت الصبر سيئة، والجزع حسنة، والاسى سنة، والاسا بدعة، وحق لمن اصيب بمثل فلان ان يصاب بصبره، وان يدفن معه الفرح فى قبره، وان يجعل يومه تاريخ الجدع انف الكرم، وركود ريح الهمم، وانكسار تاج العجم وانا تفكرت فى عظم هذا النازل، واربائه على سائر المصائب والنوازل انشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدما

واذا تذكرت بقاء الامير وهو البقاء الذى لا وقع معه لخطب

وان

وان كان مؤلما، ولا حظة بعده لمصاب وان كان مستعظما، انشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه		تخمط منا ناب آخر مقرم	

وان بيت الامير الماضي سلفه، والامير الباقي يد الله تعالى خلفه، لبيت عظيم المصائب عظيم المواهب محنتهم اجل المحن، ومنة الله تعالى عليهم اكبر المنن، ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته، ولا يخرب بيت هو بقيته، اللهم ارحم الماضي فانك رحيم بالكرام، منعم على اهل الانعام، واحفظ الباقي من عين الكمال، فانها اكبر آفات الرجال، وانفذ سهام الايام والليال، واطل بقاءه فانه بقاء المجد، وادم عزه فانه عز الشكر والحمد، واجعل فداءه من لا يرضى بان يكون فداءه، ولا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه،

وكتب الى ابي القاسم بن علي صاحب جيش الصغانيان

لم يزل يبلغني ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التي تفتح لها ابواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء، في اولئك الاعداء الذين متنعوا بشدة كلبهم، وقلة سلبهم، ومتاركة المسلمين قديما لهم، ورضاهم راسا براس منهم حتى لقد حقنت الدماء، وسكنت الدهماء، وامنت السبل، واجتمع الشمل، ورجع النافر، وعمر الغامر، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة واغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها، ووضعت الحرب اوزارها، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق، ولا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق، اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله، وعادى الشرك واهله، لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه، والنفاق من جرحاه، والفساد في الارض من اسراه، حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر، وتشغل كل كاتب وشاعر،

وكتب الى فقيه في تعهد مسجد

احق الاماكن بان يصان ولا يهان، واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال

او يرفع ان تتناوله يد لا بتذال مكان بنى ليجمع شمل التعبد، و يضم نشر التهجد، و ترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال، و لا يتبرم بكثرة السؤال، وهو الكبير المتعال، فان صيانة هذا المكان صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين، وكبت الكفر والكافرين، و ما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله، و مظنة لقراءة وحى الله، تصف فيه الاقدام بين يدى الله، وتميز فيه اولياء الله من اعداء الله، وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار، ومجلس من مجالس الاخيار، وحصن من حصون المسلمين على الكفار، وجسر بين الجنة والنار، دخوله عبادة والمقام به سعادة، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة، لا يخترقه كافر، ولا يقربه الا طاهر، من عمره عمر طريق الآخرة، ومن بناه بنى له بيت فى الجنة، وبلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك، ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك واكرم مآبك، ورضى عنك وتقبل منك، فتوسع رحمك الله نعم فى نفقتك، فانما تعامل وتسلف كريما سخيا، ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب، وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب، وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب بن قراتكين

كتابى وقد وجدت فلانا لا يضر ولا ينفع، ولا يضع ولا يرفع، وانما هو مشط يقلبه خصى صلع، وان محال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا اقطع يدى بيدى، ولا اضرب بعضى ببعضى ولا ارمى بيسراى عن يمناى ولا اتباعد عن قربى الاصل منه، ولا اضربه بالسيف لانه طالما ضربت به عنه، ورأسى رأسى وان كان اصلع، وانفى منى وان كان اجدع، واما فلان فان المشرق عاطل هو حليته، وعريان هو كسوته، وجماد هو روحه، واعزل هو سلاحه، واخرس هو لسانه، لا فجع الله به عينى ولا قلبى فان عينى بعده لا تقر، كما ان قلبى بعده لا يسر،

وكتب الى رئيس نيسابور

ارجوان الشيخ لا يلقى امرى بيد الاغفال، ولا يسلك بحاجتى طريق المال، ولا يكلنى الى غيره فى حاجة كتبتها عليه، ووضعت عنانها بيديه فمن المحال ان استمد النهر، وانا جار البحر، وان احتاج الى النجم وانا اسرى فى وضوء البدر، وقد كان الشيخ فى تلك الحالة الاولى اهمل حتى كأنه اهمل، وتغافل حتى كأنه غفل، ولست اشكو يومه، لانى ارجو غده

وكتب الى على بن كامه

كتابى الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها، لا توصل الخدمة بها والحمد لله تعالى ونعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة، الغراء المحجلة، التى ان سكت عن شكرها شكرها عنى اثرها على، وان كتمتها افشاها دونى من رآها لدى، وانما انا غرس نعمته، وبنات راحته، نادمته وانا مقبل الشباب حدث الاتراب، وها انا قد الجمنى الكبر بلجامه، ولثمنى البياض بلثامه، واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا، وكانت رضاعا ثانيا، لا بل رضاع الخمر اقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر، لان رضاع اللبن معروف الامد منقطع المدد، ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر، واستوعب المدة والعمر، ولان رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح، وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطى من حيث يمنع، ويصل من حيث يقطع، ويبعد سببا، من حيث يقرب نسبا، ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه، ويعقد حرمة من جميع مذاهبه، ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم، ولا يعرفون ما عليهم ممالهم، ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقرا السلام على الامير وقل له	ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى	رفعت عنانى فوق كل عنان

واقل ما فی هذه الحال ان اشکرها فعلا، من حیث اشکرها قولا، وهو ان ازور تلک الحضرة الجلیلة کما تزار عظام المشاهد واعتکف فیها کما یعتکف فی المساجد فانها وان لم تکن مشهد حرم وصلوات، فانها معتکف عطایا وصلات، وان لم یکن صاحبها امام خلافة یرجی ثواب زیارته فی الآجل فانه امام سماحة ینال ثواب زیارته فی العاجل ولکنی رجل قد طال ذیلی وازدحم شغلی و قیدت السن رجلی فلا اقل الآن من ان اوجه رسولی وهما قلبی ولسانی، علی ظهر مرکبی وهما قلمی وبنانی، وان انظم فی شکر نعمة الامیر قلائد لا السارق یسرقها، ولا النار تحرقها، ولا الماء یغرقها کل ناطق عندها ابکم، وکل شاعر بازائها مفحم، وسأبلغ من ذلک ما یقیم لی عذرا، ویصیر لی ولعقبی عدة وذخرا، ان شاء الله تعالی

وکتب الیه لما ولی قومس

کتبت والولایة التی شرفت بالامیر ولم یشرف بها، وتسببت له ولم یتسبب لها، وصغرت قیاسا الی شانه، من حیث کبرت قیاسا الی مقادیر اهل زمانه، قد بلغنی خبرها فجررت ذیلی فرحا، ورحت لا تحملنی اعواد سرجی مرحا، ووددت و شربت طربا علیه البحر المحیط قدحا، واین بالامیر عن افتراع المنابر، وقیادة العساکر وهو من اهل بیت یحکم بالملک صغیرهم، ویشیب علیه کبیرهم، تقربا سمائهم المنابر النافرة، وتسکن باعلامهم البلاد الشاخرة، لم یرضعوا الا ثدی ولایة، ولم یروا الا تحت رأیة، ولم یغتذوا الا بلحوم سیاسة ورئاسة، فلا زال یترقی ذروة رتبة بعد رتبة، ولا زال اسمه یفترع خطبة بکرا بعد خطبة ولا زال الملک سلیله ونتیجه، والعز صنیعته وخریجه، حتی یملک الاقالیم ویفترش السریر العظیم فیعطی القوس باریها، ویملک الزعامة من یلیق بها، ویحسن فیها

وکتب الی ابی طاهر وزیر ابی علی بن الیاس بکرمان

کتبت ولما اتصل بی خبر المصیبة لم املک من قلبی الا ما شغلته بها، ولا من عینی الا

مابكيت به لها، ونزل بي ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت في بعض نفسه ونزل عن يده الذخر الذي ادخره لصروف الزمان، وسلب السيف الذي لم يزل يعده للقاء الاقران، ثم تحرّيت، وعودت الله تعالى بالصبر والعزلة، ثم بالتسليم للقضاء، و قلت انا لله وانا اليه راجعون كما امرت، وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت، و لقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر، وخسرانا لا جبر له الا الاجر ولقد سلبته علقا من اعلاق الفضل لا يخاف من حصله عناء ولا يستعظم له ثمنا، سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلوم من الدنيا عنود ساغدرة، مكارة غرارة ختارة، طالما قتلت بعلها، وخانت اهلها، فها انا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه، وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه، وقد دمت يد بيكي، وبكيت على عيني بعيني، وافردت في نفسي عن نفسي والوزية بمثل فلان رزايا كما ان العطية كانت ببقائه عطايا ولكن لا كثير من المصائب مع التادب بادب الله تعالى كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حلما وان كان غض الشباب فلقد اختضر وهو فتي السن واهتصر وهو رطب الغصن وكسوف البدر عند تمامه اوقع، وكسر العود عند اعتداله اوجع

ان الفجيعة بالرياض نواضرا		لاشد منها بالرياض ذوابلا	

وكتب الى الحاجب الوزير ابي القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب كما عمر حالي ببقاء الصاحب شيئا من الطين الخراساني والتراب الخسرواني فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعدّ وما لا يرد، على اني لو حملت اليه حياتي، واهديت اليه صومي وصلاتي، وكتبت في صحيفته حياتي وقاسمته عمري، وجعلت له حظي من سعود دهري، ووضعت ذلك كله بين طي من قلبي، ومكنته من صدري ما كنت الا بالعجز موسوما، وعلى التفريط ملوما، وانما جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير من داره الصغرى الى داره الكبرى، وحولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى

الحاجب ان يتواضع بنا، و يخفض جناحه لنا، فعل ان شاء الله تعالی

وکتب الی ابی محمد العلوی

کتابی عن سلامة اسأل الله تعالی للسید مثلها، بل لا ارضی له ضعفها وو صل کتاب السید المشحون لطفا و برا، المفید فخرا وذخرا، الموجب الحمد لله شکرا، الذی کل حرف منه فائدة بل کل نکتة بل کل فقرة بل کل تصنیف وخطبة تشغل بتخلیدها الاقلام، ویحفظها الافهام، ذکر السید فی کتابه ان اهل اصفهان تزاحموا علیه، واستعاروا کتابی الیه، وذکروا الی کتب من اخذ قلماء ونثر کلماء، وهذا باب ما قرعته، وشأن ما ابتعته، و صناعة ما درت حولها، فان کان الاقبال ساق الی هذه الغریبة، والاتفاق اعطانی هذه الرغیبة، فما ارد نعمة الله تعالی اذا صارت الی، ولا ادفع فی بحو السعادة اذا طلعت علی، ولا شك ان هذه ثمرة محبتی للعترة الطاهرة صلوات الله تعالی علیهم اجمعین وقد کنت اذهب فی رد العدوی الی حکم الخبر فی العدوی والهامة والصفر، والآن اتهمت من رواه وکذبت من حکاه وتأولت ان السید اعدانی بکتابته، واعطانی بعض براعته، یجمع اسمی مع اسمه ویجعل فهمی جنیبة لفهمه، الحاجة التی ستبطأت فیها السید لما خرج کلامی مخرج الادلال ولیس بعجب تسحب الشیعی علی الرافضی ولا تحکم الملحف علی السخی سمعت کلام فلان وبمثل ذلك الکلام یتسلی الاخرس علی بکمه، ویفرح الاصم بصممه، ولمثله رزق لصمت المحبة واعطی الانصاف لفضیلة ولکن ماذا اقول فی معایب قوم هم خیر الی فی الدار، واخوانی فی النجار، وبیضتی التی تفلقت عنی، وغیضتی التی التفت حولی، وبلد هم عشی الذی درجت فیه وبیتی الذی خرجت منه، فمحاسنهم الی منسوبة، ومساویهم علی محسوبة

وهل انا الا من غزیة ان غوت	غویت وان ترشد غزیة ارشد

ویودی لو وجدت لهؤلاء القوم فی درج الفضل ادنی مرقاه ورأیت لهم فی مساعی السبق اقل مسعاه، فجعلت الخطوة میلا، وادعیت القلیل جلیلا،

ولکن

ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال، وتعرض لسهام الآجال،

ولو ان قومي انطقتني رماحهم		نطقت ولكن الرماح اجرت	

علي ان احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام في الاصول كلا سابا، وفي الفروع ناصبيا، ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة، او برز كلامه في معرض من القبول والحلاوة، لصار شبكة من شباك الشبهة، وبابا من ابواب الضلال والفتنة، وحبالة من حبائل الشيطان، ورقية من رقى البهتان، ولفتح علينا بابا يفسد المذهب ويورث التعب، والله تعالى الطف بالاسلام، وارحم للانام، من ان يعطى عدوه سلاحا يغلب به اولياءه، وينصر به اعداءه، ذكر السيد شهادة الوزير لي واعتداده بي وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها، وتسربلت سربالها وجررت اذيالها، لا زال الفضل ببقاء ذلك السيد ثابت المناكب، مقبل الجوانب، عامر الطرق بالجائي والذاهب، ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره، ولا العباد دنياهم بطول عمره، ولا زال جاهه مبذولا، وبابه مأهولا، وفضله مأمولا، وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا، وعدوه بحده مفتولا، ولا زال الشرق يفاخر به الغرب والعجم تفاخر به العرب بل لا زالت اصفهان تفاخر به البلاد، واهلها يباهون به العباد،

وهذا دعاء لو سكت كفيته		فاني سألت الله فيه وقد فعل	

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته، ودهرا يساوي قيمته، فان هذا الزمان يضيق عن نفسه، وان كان يتسع لشخصه، وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيي ميت الكرم، وكيف يرد ذاهب الهمم وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيي ميت الخلق، قدر على ان يحيي ميت الخلق، وليكذب عبيد بن الابرص في قوله، وغائب الموت لا يؤوب، ولبيد بن ربيعة في قوله

ذهب الذين يعاش في اكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الاجرب	

فقد راينا من يعيش في كنفه الاعداء، فكيف الاولياء، ويرد

وكتب الى قاضى القضاة

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد ليا سرضها، وقربها بعد البعد عنها، واهلنى لها اضعف ماكنت املا، واسوأ ماكنت عملا، واقصر ماكان بينى وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء، ولحظتنى عين البلاء وامرضنى طبيب الاطباء، وبعدت على مسافة الشفاء، وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء وافلست من العافية كما ايسرت من الحمى، وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا، ووقفت على جسر قدامه الوفاة، وخلفه الحياة، ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها، حديد بصرها، وعرفنى الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب منتقض الترتيب دواؤه داؤه وبقاؤه فناؤه، واعضاؤه اعداؤه كفاه موتا ان يبقى فيهرم، وحسبه داء ان يصح ويسقم، ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته، بعد ما اراه قدرته، فاقامه من صرعته، واستله من مخالب علته، وازال عنه يد المنية بعد ما اشتبكت به، فله الحمد ربا عفوا غفورا، رحيما شكورا، يأخذ حكمة وعدلا، ويعفو رحمة وفضلا، ويمرض عبده ليعتبر، ويعافيه ليشكر، ثم لا يغلق عنه باب الدعاء، ولا يحسم مادة الرجاء، ولا يديم مدة البلاء، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء، وعلى آله الطاهرين الازكياء، كان ورد على كتاب القاضى فاستظهرته حرفا حرفا، وقبلته الفا الفا، وضممته الى الصدر والنحر، وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر، وما اظن سبب تأخره كان عنى الا شدة شوقى اليه وفرط حرصى عليه، فان الحرص شوم والحريص محروم، وهذه عادة الدهر معى وقديم صنعه بى فانه اذا علم انى احب امرا ناطه بالعيوق، ووضعه موضع بيض الانوق، وابعده وهو غير بعيد، وشدده وهو غير شديد، وانا بعد اليوم لا اقول الدهر بما اقترحه عليه، واطلبه لديه، فلعلى اخدعه عن طبعه، واخلصه عن سوء صنعه، ومن ذا يخادع الايام، او يغالط الحظوظ والاقسام، فلان

قد ولی قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته، ولا جعل هذا الامر اقصى غايته وجعل ولايته منفعته، وعزله فراغا ودعة، ولا جعل شغله سخرة، ولا فراغه عطلة آجر الله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين، شديد الركن، يؤنسني ان جمعت بيني وبين بقعته، ويسرني ان تضم اسمي الى اسمه صنيعته، وكنت اعده لي جناحا وسلاحا، وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا، فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا والتحكم على المنايا، لقلت أيموت فلان الفلاني ويعيش فلان الفلاني خطب منكر، وبدل العور، وسبحان من له في كل قضية الطاف نعرفها، فنثبتها في فضله ونعمته، ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته، فانما كان نجما من نجوم الادب هوى، او غصنا من غصون العلم ذوى فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره، وتحط اوزاره، والحقه بالطيبين الطاهرين من آل لبيته، وفرق بينه وبين النواصب الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، ولا زال القاضي يعزي عن احبابه، ولا يعزى عنه ولا به، ولا كانت عليه طريق للنوائب، ولا على جنبته معبر للمصائب

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

اذا ما الدهر جر على اناس	كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه، ولم ينصر اصدقاءه، من خذل حوباءه، وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها، وعليه ضيرها، وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام، وخصت الكرام، ووجب على كل من اشتم روائح العقل، وميز بين النقصان والفضل، ان ينفطر لها الماء، وان يبكي عندها دماء، وخلص الى من ذلك ما اضحك مني الاعداء، وابكى لي الاصدقاء، حتى رحمني من كان

يحسن في وحتى عجب من جزعي من كان يصبر في وحتى غضضت طرفا طالما رفعته، وقبضت بنانا طالما بسطته، وحتى عزيت كما يعزى الثكلان، وسليت كما يسلى اللهفان، وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسى وهى جزعة هلعة، واستقل سعى عينى وهى سخينة دمعة، وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضى فا صابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بينى وبينه احملها عنه ويحملها عنى ولكنى علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفى فيتغابى عن العذر الجلى وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهى كاذبة، واخرى يصم بها عن المعاذير وهى صادقة، وليس بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب ولو تعرضت لسخطه، بعد ما عرفته من شططه، لتحملت دونه الوزر فى ظلمى ولكنت مقدمته الى ذمى، ومن قعد تحت الريبة ركبته، ومن تعرض لاظنة نالته،

ومن دعا الناس الى ذمه		رموه بالحق وبالباطل	

واقل ما كان ينبعث من حضورى ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضى عنها، ويبتذلنى لها، فاكون قد ضررت نفسى ولم انفع غيرى فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضى ضعفين وتكررت عليه كرتين يرى بولهى ولبانه، داء لا يقدر على دوائه، ويرى وقودا لا يصل الى طفائه، ويتبين فى حاله متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها، ومحنة لا يستوى له ردها، فلما مثلت بين تخلفى آمنا، وحضورى خائفا، عدلت بين طرفى الرؤية، ووزنت بين مقدارى المحنة، فرأيت ان اميل مع السلامة، واقنع من العمل بالنية، واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة فغبت وكلى غير جسمى شاهد وتميزت وما انا الا مشاهد وبعدت وقلبى قريب وباينت وقلبى سهيم واغضيت على عين كلها قذى وانطويت على صدر كله شجا، وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه		ولا تسجنوا معروفه فى القبائل	

ولقد نسجت فى ذم الظالم حللا لا يبليها الماء، ولا يجففها الهواء، ولا تغطى عليها الظلماء، والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض

والربح من محنة فانية ومثوبة باقية ولو انصف الظالم لكان بعزئ ولو انصف المظلوم لكان يهنئ جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد ولا يوم لها غد وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر وخاتمة لقائه لريب الدهر ولا حرم فيما نزل به مثوبة الصابرين ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته

وكتب الى مشكويه وقد تزوجت امه

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمة ولا يريد الشرف الا بالتقوى ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته في الدار الاخرى وبلغني ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذي رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته ووعدك اخا لا يحملك حمل اخوته وقد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك في حياتها و الآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها فان القبر اكرم صهر والموت استر ستر ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه دهره وغلبك عليه الرزق فلا حمية فيما احل الله ولا مضايقة من حيث وسع الله ولا لانسان باء الحمد لله الذي كان العقوق من جهتها ووقع الجفاء من جنبتها فانك بررتها صغيرا وبلغت مرادها كبيرا فاجتمع لك براان ووقع لك على الله اجران

وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

الايام ايدك الله تعالى بيني وبينك ترجمة لي عن صحة وفائك وشهود عندي على صدق اخائك واقل حقوقك علي يلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك ولا قلبي الا بذكرك ولو تجاوز والطبقات هل دون تك في ميدان الثقة وتنازعوا خصال الانس والثقة رجوت ان اكون سابقا ليس لي سابق ولا يذكر معه لاحق وان تجلي الغاية مني عن محبة مرباة بالوفاء وعن شكر مرضع بالدعاء وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره وان كان فوق اعمال عصره فشكرتك عنه وان كان شكرك

اوفى واملا، وبايفائك حقك احق واولى، واردت ان اكل تشكرك اليه، ولا اتطفل فيه عليه، فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لى فيها اسم، وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم، فذكرته الك وانت له اذكر، وشكرتك عنه وهولك منى اشكر، على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار الاعمال، فانها مزالق اقدام الرجال، وضنا به عن تخاليط الايام، وصيانة لمحله عن مدانسة الاوهام، ونعمتك عليه مقتسمة بينى وبينه بل اكثرها لى دونه، فاظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين، وتستعبد لك حرين، وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك، ورفرفت حوله اجنحة رعايتك، ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا، ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل اسأل ان لا يحرمك نعمة بما ليك بما عنق ودوده، ومنه تفقأ عنك عين حسوده، اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى ان اخطر ببالك، ويسوئنى ان اصبر ريادة فى اشغالك، ولا تجشم نفسك فان خيالك، فى كل ليلة نائب عنك عنك، وان لم يكن فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن حضرة الوزير وانا راتع فى فضله، مستذر من الايام بظله، متعرف نعمة الله تعالى على به وقد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء من الوزير على وسوء مجاورتى لاحسانه الى وكنت اخشى ان اكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه، ووفود الشكر عليه، فيقدر ان كلا منهم بكفر النعمة كفرى، ويستروجه الصنيعة سترى والكفر مخبثة لنفس المنعم، فقصدته هذه الكرة لاقيم عذرى واقوم ببعض شكرى واحط عن رقبتى تلك الاعباء التى قت تحتها طليحا، لا بل قعدت نحوها طريحا، فما هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار، ومن نعمه الغرائب والابكار، ما صيرامسى ابغض يومى الى ويومى اكرمهما على، حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الاجال تحتها قدحا واحرى باسمى عليها سهما

ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه، وينتحل البر قبل ان يسدى اليه، ويجعل ذلك استجلاب رزق وايجاب حق، واقام سوق لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا، ولا اضعافه عشرا، ولكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق، ولا ارمي هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق، بل كنت لا انصرف وفي الجفير نبل، ولا انقطع وفي القريحة فضل، ولا ارضى من نفسي الا بان اصبح محسورا وامسي مبهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة		فان وجدت لسانا قائلا فقل	

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل، ولا لفعاله نعت الا الجميل اول القائه بشر، وآخره بر، ومقدمة فعاله الى زواره بشرى، وساقتها نعمى اكثر ما يكون نوالا، اشد ما يكون السائل سوالا، واكثر ما كان الطافا، اكثر ما كان الزائر الحافا، واسهل ما كان حجابا، واطلق ما كان وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا، اجدب ما كان
واعدل ما كان في القضية، واحكم ما كان بالسوية، اخص ما كان المحكوم عليه وسيلة، وانفذ ما كان حيلة، واوسع ما كان نطاقا، اضيق ما كان الخطب خناقا واسجح ما كان حلما، اعظم ما كان الجاني جرما، واجرا ما كان مقداما، اهول ما كانت الحروب فخما، والعساكر عظاما، واضحك ما كان سنا، اشد ما كان قلبه حزنا، واسمح ما كان بماله، لمن استفاد بجاله لا يصارف في عطائه، ولا يحاسب على آلائه، قد تكافأت اقسام فضله، وتناظرت محاسن قوله وفعله، فلم يشغله السخاء عن الشجاعة، ولا صرفه الحلم عن السياسة، ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر، عن علم الكلام والنظر، ولا قدح في هيبته، ما اشربته القلوب من محبته، ولا بخس الرئاسة حقها، من حيث وفى العشرة حظها، فهو القوي من غير عنف، واللين من غير ضعف، والشجاع الا انه سخي، والحافظ الا انه ذكي، واللغوي الا انه نحوي، والسلطان الا انه تقي، والسائس الا انه رحي، يسكت حلما لا حصرا، وينطق علما لا هذرا، ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

ويتوقف حذ ما لا جنبا كل حسنة من حسنا تر واقفة على حد ما دونه تفريط ولا
وراءه افراط يخرج مكارمه في قصد الافعال ويزن افعاله في كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب الا انني ۔۔۔ امسى عليه من المنون شفيقا

با عيبه انه في زمان لا يسعه، وفي عالم لا يستحقه، وبين قوم يفعل ولا
يقولون، ويحسن ولا يستحسنون، ويبصر ولا يستبصرون، ويروى
ولا يروون، ومنع واجب الاستحسان، قطع لمواد الاحسان، وتضييع
حقوق النعمة، داعية من يدوا عى النقمة، واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت
المفحم شاعرا وجعلت العفيف سائلا كالنهر يقصر رشاؤه، ويعذب ماؤه
فيشرب منه العطشان نهلا، والريان عللا، وكالطعام يحسن في العين ويطيب
في البطن ويخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله
الذي ارانى بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء، والملوك يحترفون حرفة
الشعراء، وما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا، ولا خارجا راضيا ولا
جمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما
الاصل والنسب وجمع بينهما القصد والطلب فوردا وهما اعرى من الحية
وصدرا وهما اكسى من الكعبة، ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما
اغنى من الشمسة حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء، وملقى
الرحال وموسم الشعراء وقد رد نصب ليها العلم والادب وقبلة يهوى اليها العجم
والعرب وما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر، وقلوبا تحفظ وتذكر
هذا وفي شواهد احواله، ما يغني عن استماع اقواله، وشاهد العيان، اقوى
من شاهد البيان ودليل البصر، اوضح من دليل الخبر، وناوس كسرى لمدح من شعر
زهير بن ابى سلمى لو جد واكذبهم العواقب ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب جمع
طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن واما بحضرته قاطن، فالظاعن
يحسد القاطن والقاطن يستبطئ الظاعن فقد نفضت اليه البلاد رجالها
وبرزت له جمالها والقت له الارض افلاذ كبدها، وحسبك بالغلاء جالبا
وبالاحسان جاذبا ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا، ومن وجد الاحسان

قيد تقيدا ؛ ولقد صلحني هذا السيد بلا فسدني وقربني الى الناس بل بعدني
لاني بعده لا استام الا العظيم ولا ارعى الا الجميم ولا استكرم الكريم ولا الوم اللئيم
لان الناس كلهم في عيني بعده لئام ؛ فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام ؛ ومن احمد
مراده ؛ وصادف من الماء والكلا مراده ؛ لم يشرب الا من عفوه ؛ ولم ينل الا من صفوه
ولم يلق دلوه الا في جمه ؛ ولم يرتع الا بين غديره وروضه ؛ فها انا اصبح وامسي
بين السرور والجذل واتقلب بين العل والنهل ؛ واردد الطرف بين الخيل و
الخول ؛ قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي وضمنت على مطالبي
منها بماي وبمراي واصبح اعدائي وهم بالحاجة الى اوليائي كما اصبح
اصدقائي وهم بالحسد لي اعدائي فلا طريق الى الفقر ؛ ولا منفذ في لسهام
الدهر ؛ والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي وخاطري البكي وقد اسأت
مجاورة هذه النعمة بكفرها ؛ وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها ؛ وسوء
الشكر اول منازل الكفر ؛ وقلة النهي للنشر والاذاعة ؛ اول طبقات الجحد
والاضاعة وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كنت شاهدتهم على باب سيف
الدولة ؛ ومنهل الصبا عذب وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هنالك و
اياما سلبتها سلبا ؛ ونزعت من يدي غصبا ؛ ودهرا كأني كنت اقطعه وثبا فلما
رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة ؛ وجعلوها من بين الدنيا هجرة ؛ علمت ان الكرم
تتوارثه الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام ؛ وان العلم والادب ينبان
ليس عليهما غيره وصي وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولي وان
المغرب لسيف الدولة رحمه الله ؛ والمشرق لحضرة الوزير ايده الله

ارض مصرية وارض تتجم		منها التي رزقت واخرى تحرم	
واذا نظرت الى البلاد رأيتها		تثرى كما تثرى الرجال وتعدم	

ثاما آل ابي طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه ؛ وعلى
يد الحق ولسانه ؛ وما ضيهم معه حياته ان لا يعيشهم الا تشرو ؛ وما ضيهم
مع عطائه الا ترد عليهم فدك وخيبر ؛ غيرة منه على الشرف ان
لا يصان عن الابتذال رحله ؛ وان لا يحفظ فيه وله اهله ذهابا بنفسه

عن انباء الانام، وتقليد الايام، في اهانة الكرام، واكرام اللئام

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها	وابن اللئيمة للئام نصور

فلاجرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها، وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها، لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز ورائع الله تعالى لديه فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم، وتتعب في اداء شكرها اليد والفم

وما بلغت آمالنا منه رتبة	نراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها روحة ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابي عبيد للكيسانية، ويزيد بن الوليد للغيلانية، وابراهيم بن عبيد الله للزيدية والمأمون لسائر الشيعة والمعتصم والواثق للمعتزلة والمتوكل للنواصب والحشوية وما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول زاد في عدد تلك النحل، ولقد قتل المختار اهل الكوفة وبعث كتبه ورسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جمجمة واحدة في جماجم الشيعة ولقد دفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد واوعد فنبا عنه الدهر بحاجته، وقامت العوائق عليه في وجه بغيته، وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله، ويجرد لسانه والسيف مغمد، ويغمد لسانه والسيف مجرد، حتى اذا علم الله صدق نيته، ومضاء عزيمته، ورآه لا يريد الا رضاه، ولا يسلك الا طريق هداه، جمع عليه القلوب المتعادية، والف له الاهواء المتباينة فدخل الجميع دين الله افواجا، وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وازواجا فلم يبق في نواحي سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ، او متوجه في العلم قد بلغ، وان احدهم ليدخل في الحق تحسنا، فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا، والناس بالزمان والزمان بالسلطان، واذا اراد الله امرا كان، وما اقرب البعيد اذا صادف سبابا، ووافق دعاء مستجابا، وما اسهل

الصعب

الصعب ذا حضرة التسديد واكتنفته العصمة والتأييد، وان رجلا يحيل طباع الزمان، وينقض بنية البلدان، ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان و الاباء ويصير حدا بين النار والجنة وبرزخا بين البدعة والسنة، لعظيم حجم الهمة، واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول والقوة سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يحطاد وحش الفلا وبين من يصطاد قلوب الورى، وما ابعد ما بين من يبني لبنيان، ومن يبني المقالات والاديان، واين من يعمر الرساتيق والامصار، من يعمر الجنة ويخرب النار، لا بل اين من يفترع عذارى الجواري، من يفترع عذارى المعالي ولكن كل قوم على مقادير هم يدركون، وكل حزب بما لديهم فرحون، هذه ايد الله السيد شهادة ما اقمتها حتى اعددت لتعديلي فيها مزكيين وهما السودد والكرم، ونصبت لقبولها مني قاضيين وهما النعم والنقم، وكتبت بها سجلا حررته بيد الصدق، وطبعته بخاتم الحق، وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع و عين ترى فمن رضي بقولي فانما مدح نفسه، وزكى حسه، واشرف من الحق من قبله، واحسن فمن الحسن من فعله، ومن غضب فلا ارضاه الله، فانما سخط من الحق ما يرضاه الله، وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله، وليس على المكارم حجاب، ولا يغلق دونها باب

اذا اعجبتك خصال امرئ	فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب	اذا جئته زائرا يحجبك

وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل، ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل، وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه، والقرطاس جبينه، والثمن دنياه ودينه، فاعرهم اعزك الله تعالى فالى ان تتفرغ لها، قد فرغ غيرك منها، وحصل اليوم شكرا لمعير وغدا فائدة المستعير، فاذا انت قد افدت واستفدت، وابدأت في الربح

واعدن؛ واجعل تعجيل ردها الينا؛ كفارة لما جنيته من حبسها علينا

وكتب الى خوارزمشاه

بعد ما كان الامير وسمني من تقريبه لي؛ وتخفيه بي؛ سمة طار في الناس ذكرها وفاح بين العالم نشرها؛ وتوجهت الي المطالب؛ وقصدني الراغب والراهب؛ وصرت مثابة من مثابات الوسائل؛ وصار بابي سوقا من اسواق الحاجات والمسائل؛ نزغ بيننا الشيطان؛ ودب الينا الحدثان؛ وكسدت عند الامير تلك السوق التي لم اشكره في نفاقها؛ ولم اعاتبه على كسادها؛ والامير بكرمه يقيم لي في الظاهر رسم الانعام؛ ويعظم قدر توفره على نصيبي من الاعظام والناس يحسبون ان حظي من قلبه؛ حظي من ظاهر قربه؛ وان محلي من ضميره في المحبة؛ كفاء محلي من ظاهره في الرتبة؛ فلست اعدم كل يوم مستشفعا بي اليه؛ ولا يعلم هواني عليه؛ ومستعينا بجاهي عنده؛ ولا بشيء الى قوى اسباب الخيبة له؛ فان رددتهم ظنوا بي الظنون؛ ولاموني وهم لا يعلمون؛ وان اجبتهم؛ ظلمت الامير وظلمتهم؛ اما ظلمي للامير فتعريضه لرد الرسائل؛ واقامته مقام المانع الباخل؛ واما ظلمي لهم فبيعي المغشوش منهم؛ وتشرفي بما ليس عندي عليهم؛ واني لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين؛ واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين؛ وحاجتي الى الامير ان ينزلني من لقائه وبشره؛ منزلتي من مكنون صدره؛ وان يسمني معا بعادي عنه؛ كما يسمني بتقريبي منه؛ وان يجعل هذه الاخرى سبيلا للسلامة؛ كما جعل تلك الاولى سببا للغنيمة؛ فاني شاكره على هذا الجفاء؛ كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء؛ فان كل اللسان او تعذر على خاطري الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعت منه بزه واهديت اليه ملكه؛ واصير عيالا عليه في مقالتي كما انا الذا كنت عيالا عليه في مالي:

وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

فهمت كتابك الذى هو اشرف كتاب الى، قد رصع باظرف عتاب علىّ وما كان
احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه، وتحلى طرفك الناصع بمائه، فلا تشوبه
بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد ادبتنا بصمتك، وعاقبتنا بعفوك
فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا
تبلغه الاساءة، ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة، على انى ما اجهل
منفعة العتاب ولا انكر موافقته بين الاحباب ولا اشك فى انه يطرى خلق الود
ويجلو غبرة العهد، ويداوى داء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب
وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء، والجسر بين المدح والهجاء، و
المصلح للعشرة الفاسدة والمقرب بين الديار المتباعدة، ولهذا اشتق لفظة
العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية ومنبعه
عن جناية، ووقع عن فترة فى الود عرضت، او ثلمة فى الانصاف حدثت
جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة، وازال ما
وقع من الفترة، واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاح الباب
العربدة، ومكدر الصفو المودة، وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو
دواء اذا لم يصادف داء استحال داء، واذا صادفه كان شفاء، وقد كانت هذه
الواحدة منك فلتة، وقال الله شرها من عاد الى مثلها فلنا ءسم القطيعة وهو اشد
الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف ولولا انى لا استجيز
مقابلتك ولا ادعى معارضتك لزعمت انك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك
لما عرفت جرمك، وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذى
هو ابلغ العقاب ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك
الالسنة الواقعة فيك واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك اخذت اخاك
قبل ان يأخذك وشكوته قبل ان يشكوك وبرزت هاربا فى زى طالب وخرجت جانيا
فى معرض عاتب وتكلمت بجرأة المنصف وتحتها جور الظالم، وادليت بحجة البرئ
وانت عين المجارم، حتى لقد كدت ان تشككنى فى نفسى وتغلبنى على علمى
وتجعل لوهمى سلطانا على فهمى لولا يقينى بباطلك ومعرفتى بان الاساءة فى شقتك

والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا اذاقنا مرارة صده وسامنا بشاعة فقده وصغرت بيننا وبينه وطاب اللقاء، واقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء، ودبت لنا وله عقارب القطيعة، وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة، واذا صالحنا نسب الينا المظالم، وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه، وبعده اثقل علينا من قربه

	بكل تداوينا فلم يشف ما بنا		على ان قرب الدار خير من البعد	

ذكرت انك مترجح مني بين وصل واعراض، ومرتك من عشرتي بين انبساط وانقباض، ولقد صدقت في الاولى، ولا اقول كذبت في الاخرى سقى الله ايامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر، وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر، وجلت عن ان تنالها انياب السعاة ونبت عن ان تمضي فيها معاول الوشاة، حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة، ونلنا من الوصل ما ثار البين والغيبة، حتى اذا امنت عليك الدهر الذي لا يؤمن، وائتمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن، خالفتني الى الود فهدمت منه ما بنيته، وسبقتني الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته، وابرزت مصون الوفاء للعذر، ووضعت ربقة الاخوة في يد الدهر، وسلطت على ما زرعته يد الوفاء، حاصد من الجفاء، و ذكرت بعد هذا كله اني استاذك في الهجران والصد، وتلميذك في الوفاء وحسن العهد، وانك عرفتني ثم انكرتني، واستلنت مسي ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت اولها، وانكرت آخرها، وانا فيما عرفته لك ولست فيما انكرته عليك، فان العمر اقصر مدة، والزمان اصغر مسافة من ان اختم هما معك بالعتب والعتاب، واستهلك نفسي منهما و[illegible] من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب، فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء، ولا يمشي امرها الا بالعتب والاشتكاء، كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا، ويؤخذ سلبا، وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه، وكالمستنزل كرها عن حبه، وانا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة

خاطبه

خاطری العلیل، ولسانی الکلیل، وکیف ینبعثان لی فی عتابك وهما مقصران فی مدحك، وکیف یسرعان فی حربك وهما بطیئان فی صلحك، هذا وطریق مدحك نامیء قصد وطریق عتابك وعث وعر، وجانب صلحك مورق مشرق، وجانب حربك مهول غلق، وانی لآخذ القلم لاكتب به عتابك فیتشظی علی، ویسقط من یدی، وکیف تساعدنی بنانی، علی ما یخالفنی فیه جنانی، وکیف یطیعنی بعضی فیما یعصینی فیه کلی، ولو کنت احمد بن یوسف فی البلاغة، وعبد الحمید بن یحیی فی اتساع الکتابة، وجعفر بن یحیی فی الاختصار، وابا الربیع فی التوسع والاکثار، وابا العیناء فی العارضة وابا العتاهیة فی البدیهة وابن المعتز فی التشبیهات، وابا نواس فی الخمریات والطردیات والعتابی فی المعاتبات، والنابغة فی الاعتذارات، وصریع الغوانی فی الاستعارات والفرزدق فی الفخریات، وجریرا فی المهاجاة، وغلبت فی المخاطبة صعصعة بن صوحان، وتقعت فی الفصاحة خالد بن صفوان، ونطقت بیتیمة ابن المقفع مرتجلا واتیت بعجوز آل رقیة مبتدعا وبعذراء آل خارجة مقتضیا وضرب بی المثل فی المقامات لاسحبان وائل، وبوهیب فی العی عندی لاباقل، وحفظت حفظ الشعبی وحاضرت محاضرة ابن القریة النمری وابدعت ابداع ابی تمام الطائی ووعظت عظة الحسن البصری وجادلت جدل النظام فی الکلام وصنفت تصنیف الجاحظ فی الجد والهزل واربیت علی ایاس بن معاویة فی الذهن والعقل، وبهرجت الاصمعی روایة، وزیفت اباعبیدة حفظا ودرایة، وعلمت امیر المؤمنین علیه السلام الحلال والحرام، ولقنت شریحا القضاء والاحکام وصرت الذی زاده الله بسطة فی العلم والجسم، ووفقت توفیق سلیمان فی الحکم، واخذ عنی بطلیموس علم الهیئة وارسطاطالیس علم الفلسفة وبلنیاس باب الطلسم والحیلة وقرأ علی سیبویه نحو البصریین، والفراء نحو الکوفیین واختلفت الی الهند فی تعلیم الحساب ودرس علی ابوعثمان المازنی علم التصریف والاعراب واقتبس منی الخلیل عروض الشعر، وکان هاروت وماروت

تلميذي في السحر، وضرب على قالب خطي خط ابن مقلة وتوارث الكتابة اهل بيتي كما توارثها بنو ثوابة وامليت على ابن الكلبي شجرة النسب وعلى ابي عمرو بن العلاء ايام العرب واوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذي عنده علم من الكتاب، وعددت في الراسخين في العلم عدا، وقال لي موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا، ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضي بي في عتاب الاخوان لساني او يجري فيه بناني لقصر عن ذلك عناني ولارتبك فيه عقلي وبياني ولعييت والحوتمعي وانقطعت والحجة لي وما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما، وخلقين ركبت منهما، جبني عن الاصدقاء وجرأتي على الاعداء، ورأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لي فيما تجلببته من الفضل الذي لو صح لي لكنت فيه جنيبتك ولا سلكت فيه طريقتك، وانت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك وان تتواضع وانت ترتفع من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع، وان يخصك في المراتب الكبرى من خص غيرك الكبر، ولست اقول انك صادق فادعي لنفسي فضلا، ولا انك كاذب فانا قضلك قولا، ولكني اضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	ولكن عين السخط تبدي المساويا

ولولا اني اكره ان ننسب جميعا الى التقارض في الثناء وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر رضيعة الجزاء، لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التي انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعي وانت لها نسيب قريب وغيرك عنها اجنبي بعيد وبعد فانا والله معتد للايام بنصيبي منك متحمل لها شكر العارفة فيك منافس في نعم الله تعالى علي بك لا افتح عيني على احب منك الي ولا اضم جناحي على اعز منك علي واقول لك كنا بالا يهون على ما قبله، ويزهدني فيما بعده

وكتب الى رئيس دامغان

انا اغار لما بيني وبينك ايدك الله تعالى من ذل التملق، ومن عشق

التشوق، واقشرلك عصا العتاب واتسرع لك بخشونة الجواب اذ كانت الحال بيننا مبنية على اساس الصدق ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق و ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة، وانما هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى وعن يساره النوى والشكوى فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء، ولا تمح من المحافظ جانبا تخمس قضية الود والاخاء، ولا يحتج في الباطل بحجج هي اضعف من قلب العاشق، واوهى من دين المنافق، وارق من امانة الفاسق واعلم ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا، ولسانه لا يكون الا ملجلجا، واقصر ما يكون بنانه، اذا طال لسانه، وانزر ما تجده عقلا، اغزر ما تجده قولا، فان الباطل يصغر من حيث يكبر، ويقل من حيث يكثر، وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا اذى المسامع وحجة على القائل، وسلاحا لكل جاهل، وجناية على كل عاقل، وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير، وكل كثير وقع دون الكفاية فهو قليل يسير، وشبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل محق، وكيد الباطل اضعف من ان ينفذ في حق، وحسب الكاذب بفعله شتما، وبقلبه خصما، وبالسكوت عنه ذما، وقد خرقت فيك حجاب المجاملة ولبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك فذلك فؤدب لحر العاقل اخوانه، ومرآته زمانه، وسوط الفرس الجواد عنانه وان ابيت فانا باخع نفسي على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

وكتب الى خوارزم شاه

كتبت الى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار حالي بها، وتمرد شركائي فيها، وما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم، او ينفذ له فيها حكم، تعلو بها للباطل راية او يكون بها للظلم على العدل ولاية، ومن العجائب ان اكتسب الدرهم في بقاع لم انبت فيها، ولم اخرج منها،

ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت، وبيتي الذي منه خرجت
وان احمله فاقطع به لجج البحار، وفيافي القفار، ويسقط مني على باب
الدار، هذا وقد علم الاميران والملك رحمه الله تعالى خلف على ما لو خلفه
على اهل بلد لكفاهم، ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم، فما زالت
صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهرا، وتخاتلني سرا، حتى خرجت منها
اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الجحر بعد ما كنت
اغنى من الكعبة واعطل من الحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة، قد كسرت
كسر الجوز، وقشرت قشر اللوز، وجرى علي في مسقط راسي، ومجمع
اسرتي، ومقطع سرتي، من العزم الثقيل ما كان من الثقل اثقل، ومن
الذل الطويل ما كان من الطول اطول، ومر على راسي ما لو مر على راس
الشاب لشاب ولو نزل بالحديد لذاب على اني حيثما كنت تاج على خوارزم
معقود، وشرف لها معدود، ومشهد فيها مشهود، ومقام من مقاماتها
محمود، وكل من رآني مدح بلدا كنت من اهله، وفلكا والدا انا من نسله
وعهدك بمثلي يغنم، فصرت اليوم اغنم فسبحان من جعل القصر المشيد
بئرا معطلة وجعل الغانم غنيمة وسير السالب سلبا وحول الراكب مركوبا و
ادار الفلك فيما يدل على اضطرابه، ويترجم عن خرقه وانقلابه، ومثلي ايدك الله
تعالى اذا ابتذل استوحش، واذا استوحش اوحش، ومن وطئ العقرب
اوجعته وان اوجعها، ولسعته وان لذعها، ومن فل السيف براسه انكسر
منه اكثر مما كسر، وخسر اكثر مما خسر، وان من باع نفسه لقليل
البصيرة بالبيع والشراء، ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء، مستريح مما
تعبت له نفوس الكرماء، نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

وكتب الى ابي سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور

مرحبا بالقمر الطالع في جنح الظلام	مرحبا بالاسد الورد بالجيش اللهام
مرحبا بابن شبيب وايا ديه الجسام	مرحبا بالرجل الاوحد من بين الانام

موجبا بالكاتب الجزء ل و بالحبيب الهمام	قد نجونا منك يا بين فودع بسلام

سبقني ايده الله صاحب الجيش فلما ملك عنانه، وجمح بخاطري فلم اضبط زمامه، فكتبت هذه الابيات وجملتي بيد الطرب وتماسكي في قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشة، وهي شبكة الغم والدهشة، حتى لاحت لي رايات اللقاء، وفاحت روائح الالتقاء، وعلمت اني قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة وورد البشارة التي جعلتها تاريخ احسان الدهر، وغرة وجه العمر، ودرياق القلب والصدر، وعلمت ان الله تعالى لم ييسر هذه القدمة، ولم ينلني هذه العزمة الا وقد اراد بي خيرا، واعتمد لي احسانا وبرا، وقد ان يثلج صدري ويشد بها ازري ويقوي ظهري وينصف لي من دهري ويهزم عساكر الزمان عني ويفرق شمل الحدثان دوني ويرزقني النظر الى وجه من صنعني وخرجني واصطنعني فتعلمت التوسل من نثره، واصبحت شاعرا براوية شعره، ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا وواضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من قاق تارة لي، ومنسي صنائعه الي وانما ذكرت قلا من كثر واشرت بلمحة الى بدر، فالآن حين اجر ذيل الفرح واتسربل الجذل والمرح، واري اهل نيسابور خاصة، واهل المشرق عامة، ان خوارزم بيت الرجال ومعدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وان في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، وان البقاع متساهمة في الفضل ومتفاوتة بمقادير الاهل وودت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار ويمتطي الفلك الدوار ويطوي لنا المنازل طي الرداء، ويصل الغداة بالعشاء، بل وددت ان الريح تحمله او ان البراق ينقله، وان الخضر يصحبه خليلا، وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا، ليصغر حجم الانتظار، وتقل مدة بعد الدار

	يمر ولا اراك ولا تراني	ولا اعتد في الدنيا بيوم	

وها انا ايده الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير، ولسان شهير، ولسان على الاعداء مسلول، وسلاح على حساد النعمة مصقول، اذا

وروا بده الله تعالى لزمت بابه، وصحبت ركابه، وكنت بوابه، وقد اعلمت من سالني عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة وولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة، فهو في الرجال علم وفي الكمال عالم وفي الزمان واهله غريبة، وبين الدنيا وبنيها يتيمة، قد كنت سالت صاحب الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه، او يجري بقضائها لسانه ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر الباذل، والهيبة تصغر وتكبر في وزان الطالب لا في وزان الواهب والصغير اذا احتيج اليه كبير، كما ان الكبير اذا استغني عنه صغير، ولو تبارى اهل الشكر في رهان وجروا الى الغاية في ميدان، لبرزت في الحلبة الاولى وكنت فيما بينهم الاغر المحجل

ولو ان للشكر شخصا يبين	اذا ما تامله الناظر
لصورته لك حتى تراه	فتعلم اني امرؤ شاكر

وسلت الجارية فقبلتها بالطاعة، ورددتها بالدالة عليه في الساعة، لان فلانا صديقي قد ملكها وانا اكره ان اعاشر رجلا له في داري علاق وان تكون عندي مضربة لها غيري لحاف فاقبح بالحر ان ينادم من شركه في حرمته ويسبقه الى باكورته، فيجلس فحلان على لبد ويجتمع سيفان في غمد

وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتاب بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة

هذا كتابي اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الامن الاهتمام لعلته، ومن التندم لترك عيادته ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاترة الظالمة الجائرة، فيما دهمت به الكرم واهله، والفضل وشمله، و الحمد لله تعالى لا على ان حمد مستزيد فيما نابه، مستمد بالشكر لما اصابه ولكن اقامة لرسم العبودية، وسلوكا في نهج البشرية، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البرية وورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قوم هزني وتطلع طويل لوروده اقلقني واستفزني وبعد ان حاسبت

لتأخره عني نفسي على ذنوبي، واستدركت عليها عيوبي، وجلت في زوايا جناياتي عليه، وسائق اليه انظر بايتها استحققت ان اطوى في ادراج الجفوة، واجلس على قافية التغير والنبوة، اذكنت اعلم ان صاحب الجيش اعرق في الكلام نفسا، واصدق في الفضل حسا من ان يعاتب وفي الصبر فضلة، او يؤاخذ وللاحتمال جهة فلما كاد الكرب ان يستحوذ على خاطري، ويستوعب حساب صدري وصبري طلعت على النعمى في اثناء البشرى، وانفرجت لي ضبابة التخمين، عن نور اليقين ووصلت الى السعادة، تكتنفها الزيادة، ووصلت الكتاب الكريم عن كل ما اجذل النفس سرها، وبرد العين واقرها، حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنة واظلمت على السماء وهي مسفرة وضاقت على الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوي الكرم الب وعلى الفضل واهله حرب والمؤم والائام حرب وللادب ومعطه عدو ومعاند، وللجهل وذويه ولي معاضد ثم رجعت الى رب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع ومطية الدعاء اجمل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها، وادفع للبجاعن تلك النفس النفيسة والروح الا ريحية بابيه حماها، وتصدق علينا وعاسه بهذا الواحد لكن بقائه جسر بين دولة الفضل وكرة الجهل وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل، ثم انشدت

ما حال من كان له واحد	يمرض عن ذلك لواحد

وانا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تاخرت جنبه في العلة وان ورد عرب المساجد صلاة وملأت لفقراء والمساكين كادوصمت حتى عاينت بطني سغبا، وقت حتى شاصمني رجلاي تعبا، وصليت صلاة اسرة وعبدت عبادة حلوية، ولم افعل ما فعله ابن نوفل حيث قال [illegible]

نعزوان حرو ام الوليد	ان الله عافى ابا [illegible]
جزاء لمعروفه عندنا	وما عتق عبدلنا او [illegible]

فسأله جارنه عن غزوان وام الوليد فقال سنوران في الدار فاستدهة بعتق برقبتيهما وبعتق

سنورينُ ولكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بني عامر حيث يقول

انا جهلنا لخلتان اعتللت ولا		والله ما اعتل الا الظرف والادب	

واذا اتصل بي خبر العافية التي هو عندي عافية الدين والادب والفضل والحسب قلت

وما الخصلت في برءٍ بتهنئة		اذا سلمت فكل الناس قد سلموا	

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل الخيل والبغال حتى اصل السير بالسرى واجمع بين العصر والاولى فاشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به في فراقه من علته واكتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسي من ان انظر الى ولي نعمتي وبه آثار الصفرة والى جسمه وبه بقايا الفترة هذا بعد ان جمعت منتشر اسبابي ووضعت رجلي في ركابي ورفعت عصا السفر وسلمت نفسي الى القضاء والقدر وانشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا		ليت التشكي كان بالعواد	

ثم اتبعته قول ابي الطيب المتنبي

حق الكواكب ان تعودك من عل		وتعودك الآساد في غاباتها	

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما وانت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا ارانى الله بعدها في صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى ويطلق وجه الغنى ولا فجع بسلامته الدين والدنيا

وكتب الى ابي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم يعبث به

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك داءً او يعمل فيك او لان جهلك جهل يعالج بالعذل او يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل ولكني انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة وان تنقطع عنك العلاقة والعلة وان كانت ترد منك على عين عمياء واذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا في ماله ولا يحس بالالم الا في جسمه

ولا يجد النقص مساً ولا العيب وقعاً ولقد حققت هذا الكلام بك، وضيعته
فيك، ووجهته منك الى من نزه عند العتب لغباوته، والشتم لحقارته،
ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه، وتوصل الى تضييع من ضيعه،
لعاقبني بان يطيل هجراني، ويكون هذا آخر عهده بلساني وبناني، فها
انا المظلوم الظالم، والمخاصم المخاصم، ظلمتني بلؤمك فظلمت الكلام بلومك
وخاصمتك في جهلك، فخاصمني العقل في عذلك، فيا من جمع علي مصيبتين
ووضعني على طريق الظلم من جانبين، ويا من اثبت العجائب فيه ان تردني
الامن طرق شتى، وان تقع الا شيء شتى، وليس محنتي فيك باعظم من
محنة الحق الذي لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفساً لسعيت في دمها،
او تمثل داراً لجهدت في هدمها كانك لم تخلق الا لتطمس عين النورة و
تقلب اعيان الامور، فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى
كأن سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عياناً، ويعرف يقيناً، فانت
وارث في الباطل، وناصر جهله على كل عاقل، وحتى كأن الله انزل عليك قرآن
ضلالة، وبعث اليك رسول جهالة، وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة
وعاد الصواب وانت في الجنة، واوحش الاحرار وانت اصل الحرية، و
باين الناس ومنك منبع الانسانية، وانصر اللؤم وانت الكريم، وناقض
الحكماء وانت الحكيم، لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه، ولو دفن
المحال في تخوم الارض السابعة لغصت عليه، الجهل عدولك تحاربه
والصدا ضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه، فانت العكس
الا انه يمشي على رجلين، والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين، والجهل
الا انه مخاطب، والعي الا انه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا
لذكرت انه زنى، ولو ذكرت في القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت
عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم، ولو نوظرت في عيسى نفيته عن مريم
ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام، ولو ذكر ابو جهل
حكمت له بالاسلام، ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر

فات النوادر، ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعييت
بيانه، ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه، ولو رايت بناء
ارم ذات العماد استصغرت شانه، ولو اجرى حديث الحسين بن على
عليهما السلام صوبت رأى قاتله، وعذرت فعل جادله، ولو حكى قول
فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولو سمى ابن عباس
نفيت عنه علم التأويل، وحلته الجهل بمتن التنزيل، ولو خوطبت فى
التراويح اخذت بابتداعها الشيعة، ولو عد الاجبار والتشبيه الزمت
دينهما المعتزلة ولو انشدت، ويأتيك بالاخبار من لم تزود، مارضيت
نظمها، ولو سمعت، لا يذهب العرف بين الله والناس ما استحليت طعمها
ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله، واستخلمت جمله ولو استفتيت
فى فريضة ادعيت فيها اجماع الامة، واتفاق الائمة، ولو استعيد حديث
ذى القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه، ولو تعجب الناس
من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه ووهنه، ولو استبدعوا صنعة
الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا، ولا افترع بكرا، ولو
استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها غثة، وان حكمها
رثة، ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيب الثنوية بأتمن
عيوبهم مانى ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما
من بابة التوبة والعبادة، ومن شريطة النسك والزهادة، ولو حمدت
العافية اسهبت فى ذمها، كما لو فضلت السعادة اكثرت فى شتمها، ولو
شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم
فى رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة
وقلة المعارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضى
الله عنه زدت فيها سنن المتعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية
عددت فى فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن
عارضته بنوادر ابى العبر وبكلام يجب الغلط ولو لحظت السماء قلت

ما اسوأ ما درجت ولو درست ايام الفرس هجوتهم بقلة السياسة وضعف التهدي للعمارة ولو خوفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير وان الخطب فيه يسير حقير ولو نوقشت في حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت في بيتك ودرجت في وكرك وانك طالما سقيتها واطعمتها وطالما اسرجتها والجمتها ولو عظم امر التنين وحكى الخلاف في ثباته بين المصدقين والمكذبين اقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك ورميت به في السحاب بقوتك ولو عددت انساب العرب شهدت ان الشرف في سلول وجرهم وفي عكل وتيم وان هاشما في قريش اذناب كما ان دارما في تميم اوشاب غايتك ان تزعم ان هشام بن الحكم ناصبي وان ابا الهذيل العلاف نابتي وان ابا بكر الاصم شيعي وان واصل بن عطاء حشوي وان سليمان الاعمش خارجي وان عبد الحميد بن يحيى امي وان رؤبة بن العجاج اعجمي وان ابا بن معاوية عامي وان معاوية اول من احيا السنة وامات البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار كما ان ابا نواس لم يصف الخمور والخمار وكما ان ابا بكر الصنوبري علم يرى الانوار ولا الازهار وان طفيلا الغنوي ما ركب كما ان اعشى قيس ما شرب وان العفاف هندي كما ان السخاء رومي وان الوفاء تركي كما ان العقل صقلي وان التشيع شامي كما ان النصب كوفي وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصغر الناس هما وانه ليس شيء اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين ولا كلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين وان ابليس اصاب في تفضيل النار على الطين فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين وان هاروت وماروت قد احسنا في عصيان الرب ومواقعة الذنب ولذلك صارا في السحر امامين وللخلق معلمين وان الدين لعبة لاعب كما ان التوحيد كذبة كاذب وان الوحي اساطير الاولين وان السنة ارجاف المكلفين وان العالم يركب متن عمياء وان الموحد يخبط خبط عشواء وانك من بينهم الذي

ويأخذون من الكذب ما يحاكي الصدق، ذا ما الباطل الذي تبصره العين العمياء، وتسمعه الأذن الصماء، ويستوي في ابراز شخصه النور والظلماء، فانه ينهى عن نفسه، وينفر الابصار والبصائر بعينه، وينادي ينقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا العدل الى ماذا انسبك بعدهما، والى اين اذهب بك عنهما، رحمك الله تعالى

وهذا دعاء لو سكت كفيته	فاني سالت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزء الا يتجزأ لما جبلك كما جبلك ثم لا خذلك كما خذلك، واني لا علم ان دعائي هذا اول خائب وان سهمي فيه غير صائب ولكني اصانعك به، واسخر منك فيه، فاقول رحمك الله تعالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسي الانسانية وصححت عليها البهيمية اعلى منك في النقص حكمة، واعظم منك في الجهل طبقة، فشر من الجهل نصرة الجهال، واسوء من الضلاله الاحتجاج للضلال لا ترضى ان تصير في صناعتك ذنبا وقد كنت فيها اصلا، ولا بان تكون تلميذا وقد كنت قديما فيها استاذا تواضع منا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف وشبكة من شباك الشرف، وتصدق علينا بشرك فان الله يجزي المتصدقين واحسن فان الله يحب المحسنين، ولا ين اخوانك في فعلك وقولك، فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، ولولا اني رحمك الله تعالى لا اقول بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم تحول في هيكلك، وانحصرت محاسنهم في شخصك، ولظننت انك يونس بن فروة الذي قيل فيه،

اني ابن فروة يونس وكأنه	في كبره ابو الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها	فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الخسيسة التي لا تستحق العجب واحببت منها ما لا يساوي الحب حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك، وكأن قارون وكيل نفقتك، وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك وكأن مريم البتول امتك وحتى كأن ريح عاد هبت من غضبك، وحتى كأن العود

وجميع الملاهي وضعت لطربك، وحتى كأن المريخ يستقي من صولتك ، معاتك وعطارد يستمد من لطفك وذكائك، وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك، وكان لقمان لم ينطق بغير حكمتك وكأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكأنك علمت زيادا السياسة، وافدت عبد الحميد الكتابة، ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة، والقيت على الحسن البصري المحبة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي الهيبة وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق وشققت انهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى كأن سد ياجوج وماجوج بيديك، والامر في خروجهم ماكول اليك، وليس بين الامة وبين ان ينسفوا زرعهم وضرعهم، ويجوسوا برهم وبحرهم الا لفظة من الفاظك، ولحظة من الحاظك، وحتى كأن فضائل امير المؤمنين علي عليه السلام من فضائلك مسترقة، وعجائب بني اسرائيل من عجائب صنعك ملتقطة، وغرائبهم من غرائب فعلاتك مستنبطة وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك، وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع في محرابك، وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك، ومن كبش اسحق عشاءك، وحتى كأنك امرت شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وحتى كأن خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك، وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه، وحتى كأنك اورثت بني اسد العيافة، وبني مدلج القيافة، وعلمت شقا وسطيحا الكهانة، وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء، والسموأل بن عاديا الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء، واياس بن معاوية الفطنة والذكاء، واخذ عنك سيف بن ذي يزن اخذ الثأر والادراك

بالاوتار، وحتى كانك دعوت لبني اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء و ملوكا وآتاهم مالم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة في خنصرك وحساب الدنيا دخلها وخرجها في بنصرك، وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك والغمام يندى من يمينك، وكأن البحر يمد اذا امرته، ويجزر اذا زجرته وحتى كأن كسرى انوشروان صاحب نفقة اصطبلك، ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك واهلك، وحتى كأن تكريت محل دارك، والدرة اليتيمة اخس سوارك، وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مد قوسك واسفنديار ابن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك، وحتى كأنك في ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان، ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان، و يتضع عنها جبرية فرعون وهامان، وحتى كأنك لا احد اعلم منك فاضرب به مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية وامدا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك، ووفره عليك، والقرد لا يشبه بغيره، والابحر لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره، واذا اردت ان تعلم اني في ذمك جاد وفي مدحك لاعب واني في الشهادة عليك صادق وفي الشهادة لك كاذب فانظر الى تهافت قولي لا يتك وجاملتك، والى اصابتي الغرض و حزي المفصل اذا شفتك وصدقتك، وذلك ان الصادق معان ومأخوذ بيديه، والكاذب مخذول مغضوب عليه، وما كان الله تعالى ليوفقني لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا، و افاضل من لم يناسب مذكان افضالا ولا تفضلا، والفصول التي قصرتها على مدايحك، وليمت فيها مس القول لك، فانما هي عوذة عوذت بها هذه الرسالة، وطلسم حسن صنت بفتحه هذه المقالة فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء، وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء، على اني قد غالطت اسماع الناس وابصارهم، وسحرت بهذا

البيان خواطرهم وانكارهم، فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو شيمنك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان وفم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ماكان له راو من نفسه وبصدق من ذاته

وان احسن بيت انت قائله ... بيت يقال اذا انشدته صدقا

ياغداة الفراق، وكتاب الطلاق ياموت المحب وطلعة الرقيب، يا يوم الاربعا فى آخر صفر، ويالقاء الكابوس فى وقت السحر، ياخراجا بلاغلة، ودواء بلاعلة، يا اثقل من المكتب على الصبيان، ومن كراء الدار على السكان يا ابغض من لم ولن، ومن لا بعد نعم، يابغلة ابى دلامة وحمار طياب، وطيلسان ابن حرب وضرطة وهب يا قدح البلاب فى كف المريض يا نظرة الذل الى البغيض ياكنيف السجن فى الصيف يا شرب الخمر على الخشف، ياوجه المستخرج يوم السبت، يا افطار الصائم على الخبز البحت، ياجشاء من اكل فجلية، وفساء من اكل قنبيطية، ياوكف البيت الشتوى فى كانون، وعلى الكانون يافراش الجرب المبطون، ياليل الغربة، ووقت العشق والافلاس والغربة، ياخجل الضرطة، وجواب الغلطة، ياكمد المقمورة يا اقذر من ذباب على جعر رطب ويا اذل من قراد فى است كلب يا اشأم من دم بغى يا انتن من بول خصى يا شرب الترنجبين على الريق فى تموز يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر، وقد ختم عمره بالكبائر، يادخول الطفيلى بيت المروزى يا نظر العنين الى البكر وقد عجز عنها، واستشعر مخايل الغضب منها، يا قرع الغريم الباب ومعه جريدة الحساب يا حوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين يا مغيض ماء الحمام، ياكوز حانوت الحجام، ياوجه المصانع وقفا المحروم يا شخص الظالم فى عين المظلوم، يا الأم من اللؤم، واشأم من الشؤم واقل من المعدوم، واوخم من غم المبرسم المحموم، ياغم الدين، ووجع العين، ويوم البين، يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها، واقبح من

ارتجاع الصنيعة بعد شكرها، يا فم من اكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه، يا ابرد من كانورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمالى قرة، وفى وقت بكرة، فى جبل من جبال رمينية، يا اثقل من جبل رومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر فى وسطه قوافل لا بل يا اثقل من منادمة طفيلى على الندماء، مقترح فى الغداء والعشاء، محشر الساقى قاطع على المغنى يواثب ويحنى لا بل يا اثقل من الحق عليك، وابغض من الانصاف اليك، يا جواب الحجاب وعبوس البواب يا مهاجرة الصديق يا نظرا الى زوج الام على الريق، يا سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، يا شماتة الاعداء وحسد الاقرباء، وطوارق الارض والسماء، وملازمة الغرماء، وعربدة الجلساء وخيانة الشركاء، وغش الاصدقاء، وملاحظة الثقلاء، ومسئلة البخلاء ومحادثة البغضاء، ومشاتمة السفهاء، ونصرة الضعفاء، وعداوة الامراء، ومزاحمة السعداء، يا كرب الدواء، يا من لو كان اللوم يلد كان اباه، ولو كان يولد كان اخاه، ولو شارك شريكا ما عداه، يا بيع المتاع الكاسد وجوار الجار الحاسد وسماع المغنى البارد، يا مطبوخ الانيثمون وحب الاسطيفون، يا ليلة المسافر، فى كانون الآخر على اكناف بائس، تحت مطر وبرد قارس، يا من لو نظرت اليه السماء وهى تمطر اقلعت، ولو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت، يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا، يا من هو دليل على ان الله تعالى جواد حيث اطعم مثله ورزقه، يا من هو حجة الملحد على الموحد فى قوله الذى احسن كل شئ خلقه يا من احتماله اصعب من عد الرمل ومن عد النمل ومن رأى شعرة سوداء بالليل والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء على سلم من زبد، وحبال من شهد، والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والاولياء جعلت فداءك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك، ورفق بك، وذلك لانى شبهتك باشياء تنقص فى باب الذم عنك، وتأنف والله منك، ولقد

ظلمتها بك، اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك، ومن لى بشیٔ
یوازیك، وشبیه یضاهیك، ومن این اجد اللؤم منتظما، والقبح مجتمعا
والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا فی هیکل واحد وفی شخص
ماثل وانما یجد الواصف ما یسمع ومایری، ویحیل المشبه علی ما کان او یکون
فی الوری، قد شبه الله تعالی نوره بنور المصباح والمشکاة والزجاجة و
ان کانت الثلاثة قاصرة عنه فی الصفة رحمك الله تعالی دع الیونانیة
من الحکمة ما تنفق به سوقهم، واترك لبنی العباس من التمالك ما تمشی به
امورهم، وابق الشمس والقمر من الحسن بمقدار ما یطلعان به ویلوحان
فیه، وهب للریح العاصفة، والرعد القاصف، من الصولة قدر ما یسمع
به صوتهما، ویصح به اسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك وارحم
الجبار من شدة سلطانك، وانظر الی النساء من وراء حجاب ومخلف
برقع والاخرجن عن عشقك من ستر الله، وقطعن ایدیهن وقلن حاش
لله، فلا تعرض ماء الله لسخط الله، ولا تفرق بینهن وبین عباد الله
ولا تحمل الحوامی علی خشونة الطلاق، ولا تذق الممالیك مرارة الاعتاق
ولا تزد فی شغل الکرام الکاتبین، ولا تسود صحف العالمین، ولا تشمت
ابلیس بنا، ولا تعطه مراده فینا، ولا تمش فی الارض مرحا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا لی رحمك الله حوایج فان قضیتها کنت قد
تسلفت شکری ورضای، وان رددتنی عنها فقد رأیت انموذج سخطی
وشکوای قد اتفق الناس علی ضیاع النسخة الاولی من کتاب العین فامله
علینا، واجمعوا علی ذهاب قراءة ابی بن کعب وعبد الله بن مسعود،
فاخرجهما الینا، وتخالف الناس فی المهدی وشکوا فی السفیانی وفی الاصفر
القحطانی فعرفنا متی یخرجون فانی اعلم انهم الیك یختلفون، وفی امرك
ونهیك مترددون، وبمشورتك یغیبون ویحضرون، والکیمیاء
فقد علمت انه انفقت فیه الاموال وتعب له الرجال ثم لم یحصل لهم
منه الا امانی مسوفة، ومواعید مزخرفة، فما علیك لو علمتناه واغنیت

الفقراء، وزدت الاغنياء، وازحت الناس من الضرب فى البلاد وعن الكد والاجتهاد، ومن ان يخدم الفقير غنيا، و يتخذ بعضهم بعضا سخريا، و الزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا، ومن محاسنهم دوننا، فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهى بها اهل المغرب اهل المشرق فابن لنا مثله ولا تدع علينا فضله فانما هى ساعة من هندستك، وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك وقد زدت عليه، وبنيت ضعفيه، وآل ابى طالب قد علمت انهم مسلوبون حقهم، ومغصوبون ارثهم، فتقدم الى غلامك الدهر بان يرفع رايتهم ويرد اليهم ولا يتهم، والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه، واعد عليه من الشيبة ثيابه، وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج، ومضرة اللوزينج، وتجعل فى اللوزينج منفعة الاهليلج فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا، واضفت الى العاجل آجلا، وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق ابليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك، ولطائف فكرتك ما يكسد به سعرهم، ويهدم به فخرهم، فان ابليس تلميذ لك تعلم منك، واخذ عنك، وشتان بين من يدعى ان ابليس من اخوانه، وبين من يعتقد انه من غلمانه، وهل ستنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك، ويرى برهانك، وهل جسر ان دم الا عليك، وهل عاداه الا فيك ولعلك تنكر قولى خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر ساويا وانت رضى ولا كانت الملائكة روحانية وانت بشرى ولا كانت السماء تظل والارض تقل و انت اكبر منها قدرا، واكرم منها بحرا ولا كانت الدنيا تنعم عليك وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامى والكنى انى وفقدك فلا شئ اعز على منه، ولا احسن منه، ما سمعت قول على بن جبلة فى ابى دلف

	بين باديه ومحتضره		انما الدنيا ابو دلف	

فاذا ولى ابو دلف … ولت الدنيا على اثره

الا غضبت عنك عليه اعتقك انه سرق صنعتك واعار ابا دلف مدحتك ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد … واياديه الجسام
فاذا ولى حميد … فعلى الدنيا السلام

الا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته او عرفت بيته فهدمته ، ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية … واشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا ، فنعلم اين دعواها من دعوانا ، ولا انشدت قول ابن ابي السعلا في الرشيد

اغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا … ام الشمس ام البدر ام الدنيا ام الدنيا

الا رحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك ، ومدح غيرك بمحاسن اخلاقك ، واما قول الطائي

تسوروا قوام ولم يسوا بسادة … بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلاشك ان الشيطان تكلم به على لسانه حتى ابرز وصفك في غير اوانه ، ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حي واما قول زهير

لو كنت من شيئ سوى بشر … كنت المنور ليلة القدر

فاني والله اعجب منه كيف قاله في غيرك ولم ترم جهنم بشرارها ، ولم ترجمه الملائكة باحجارها ، واعجب منه قول من قال في معن بن زائدة

سبقت معد وجه معن سابقا … الماجري وجري ذوو الاحساب

كيف يسبق غيرك في حلبة انت في عدادها ، وكيف يكون غيرك سابق جيادها ، انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم ، وفيما بينهم مظلوم ، سلبوك علاك وهي حلاك ، ونحلوها قوما سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير اساس هدم ، والكلام يرجع الى مظنته ، والمدح ينصب الى قرارته ، كما قال ابو الطيب المتنبي

واذا الفتى طرح الكلام معرضا … في مجلس اخذ الكلام اللذ عنى

وكفاك بفضلك مادحا لك ، وحسبك بانفرادك مقارعا دونك ، هذه رحمك الله هديتها اهديتها اليك ، بل هي من العرائس جلوتها عليك ، وما مهرها

الا فقدك، ولا ثمنها الا بعدك، فاذا وهبتها فقد وفيت المهر، وارضيت العروس والصهر، فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي وانت ختن لي وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك، وصغر قدرك، وعهدي بهم يحتملون المهور في اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس المرقع، واعجب ما فيها انك اذا طلقتها لم تطلقك، واذا طلقتها من حبالك لم تطلقك، فخذها مباركا لك فيها. فبئست العروس وزوجها شر منها

وكتب في نكبة نيشابور واليها حماها الله ولته الى بكر بن عبدوس بعض عدول نيشابور

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبة، كما ان كل كاتب دون كاتبها في الرتبة، ووافقت مني قلبا معمورا بل خربا بالهم، وجسما معضلا بل مكمدا ودا بالسقم، فشفت القلب حتى نسي همه، والجسم حتى طلق سقمه، واذا صدعت الموعظة من قلب سليم، ولسان حكيم، وردت على اذن واعية، وعين كالئة، واذا عرف الطبيب الداء، ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا، لقد ابقت لي منك عوضا كبيرا، ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى، ودرهم يسلى، لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل، ولا يصدأ اذا اهمل، ولا يفنى اذا بذل، ولا يخلق اذا ابتذل على اني قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني، والفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما ابكي لنكبة، وفرحت حتى ما اضحك لفرحة، ولقد

رماني الدهر بالارزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام	تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع، والفود المرقع، والغرض الذي رمي حتى دمي وضرب حتى نقب واصابته السهام حتى لا يتوجع لها، ولا يحس بها، وطالما ارادت الايام ان تحركني فوجدت بحمد الله صفحة راجحة ونفسا متماسكة

مخزن البدائع

وقلباً لا تقلبه السراء ولا الضراء، ولا يغيره الدواء ولا الداء، ولقد قبلت الايام على ما استقبلتها فرحاً ومرحاً، وادبرت عني فما شيعتها جزعاً ولا هلعاً، ولبست لكل حال لبوساً، اما نعيماً واما بوساً، وبما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تثلم قدري، وان كانت ثلمت وفري، ولا حلت عقد صبري وعزائي، وان كانت حلت عقد ملكي وثرائي، وان اصبحت يوم اجتماع جيشها عليّ وزحوف عساكرها اليّ والوجه طلق، واللسان ذرب ذلق، واللون مضيء مشرق، والقلب متماسك متمالك، ومدد الصبر متقاطر متدارك، لم الاحظ الفائت بعين تدمع، ولم اقابل النازل بنفس تهلع، ولا عثر لساني ولا قلبي في ميدان كلام، ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام، ذكرت ايدك الله سلفي رحمهم الله تعالى وانك بقيتي منهم، ومذكري بهم وسلي قلبي عنهم، وصديق الوالد والد وان لم يلد، وترب الولد ولد وان لم يولد، ومن صادق اخا ولم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب مجهول الاصل والنسب، ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه من كلا طرفيه، وعرف صدق يقره من جانبيه، رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا	وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد جمعت منهم بخير سلف، وورثتهم خير خلف، اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك وارضاك فيها، ولا استزيدك عليها، وهذا الدعاء محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين، وملكت الخافقين واستعبدت الثقلين، وتناولت الشمس والقمر بيديك وو طئت الفلك برجليك، ما بلغت ما اريد، وكنت استزيد واستعيد

وكتب الى ابي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان وقد خرج منها

فان الك قد ودعت نجدا واهله	فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنزيل وانزال، ومن اقبال علي واقبال، ومن قول جميل وفعال، فانما فعل بي، واتفق لي لاحسان الوزير كان

الي، وتوفره كان علي وبذله لي الرغائب التي لاتسمح بها الانفس مثله ولاتنول الاعن مثل يده، فهو الذي قومني قيمة صارت لي بين الملوك قيمة عدل، وقضى لي بشهادة اصبحت في العباد والبلاد قضاء فصل، ونظر الي اهل هذه الحضرة بعينه ووزنوني بمثل وزنه، ووضعوني في الكفة التي وضعني فيها، واهلوني للمرتبة التي اهلني لها، وعلموا انه الحاكم الذي لاتنقض حكومته والشاهد الذي لاتجرح شهادته والرجل الذي لاخيار مع قوله ولانظر مع امره ولاخلاف عليه ولارجوع الا اليه وانه لايشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا ولايرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لامنيحا فضربوا على سبيكته وسلكوا في طريقته ونسجوا على منواله، وحذوا على مثاله، فوصل الى نواله، وان كان لم يصل الى ماله، وحصل لي بره، وان لم يخرج به امره، وشيعتني بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلني وتكتنفني قريبا منها فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان تبوأت غير دنياي دارا	واتاني نيل فانت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا، وفرسانا يتجسابقون انسالا خيلا، فالحمد لله الذي جعلني فارق تلك الحضرة فلا تفارقني عوائد فضلها ولا ينحسر عني نصيبي من ظلها، واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على حالة ارضاها له وهو الله ما ارضى له الارض خطة، ولا السماء ظلة، ولا الدنيا خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد سوطا ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله، ويبلغه في الدارين آماله

وكتب الى بعض اصدقائه

كتابي وقد كنت احب ان ينظر سيدي الي وقد لبست جمال هذه الدولة وتشربت حالي ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته، وبسطت باعا طالما قبضته فيعلم سيدي ان غراسه قد ثمر، ومراده قد تيسر، وان علاجه حالي قد هزم الداء وجلب الشفاء، بعدما اعيا الاطباء، وغلب الدواء، فان فرح الطبيب بعافية

المريض اشد من فرح كل اخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن الملوك وابوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر قبل ورود البحر وفى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهر وعهد سيدى بى وانا ارتاد غير ارضى وارتع فى غير روضى واطلب الرزق خارجا من ابى فالآن قد نزعنا تلك الثياب واغلقنا ذلك الباب ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة	لمروان وارتد الهوى لابن بجدل

هذا وقد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيانى حسيرا ولسانى قصيرا والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكتة والسرور اذا افرط مقطعة ومسكتة والناطق اذا تحير ابكم والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم فلا زال السيد يبتدع برا ويقصد بقوله وفعله خيرا ويكفيه شرا ونصره الله تعالى على دهره فانه لئيم ظفره قبيح فى الاحرار اثره

وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه قد نكب

كتابى وانا بين محنة قد ادبرت ونعمة قد اقبلت وولى قد طلع وعدو قد هلك والحمد لله الذى ابتلى ثم ابلى فانعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الاكرمين ورد كتابك ولست اقول غمنى واهمنى بل اقول اعمانى واصمنى تذكر انك امتحنت وانت بريء ونكبت وانت محسن لا مسيء واى ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واى جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمة ترضى بالصدفة اللئيمة وانما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى الوكر الكبير وهلا اذ كملت آلتك انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة اهلا المنبترة جهلا فابشر ولا تتهم الله تعالى فى مصالح خلقه ولا تقنط من رزقه فانما يرتاب المبطلون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واياك ان تفل هذه الحادثة غربك او تكسر حدك

وتضرع خدك، او تثلم ركنك، او تسيء بالله تعالى ظنك فانما كانت صاعقة احرقت ثوبك، ومست بعضك، وسلم الله وله الحمد منها روحك، وصان فيها لسانك وقلبك، وورائك الدهر الطويل، وخلقك صنع الله الجميل، ووعده بجميل صنعه كفيل، وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسر فهو عزيمك الآن فى اليسر، واذا راى جلادتك على وقع سهامه، وصلابتك على تصريف ايامه، جاءك معتذرا، وهرب اليك مستترا واسا باليمنى ما جرح باليسرى، ووزن عليك بالسنجة الكبرى، ما اتزن منك بالسنجة الصغرى، فانتظر الفرج فانه منتظر، واصبر فان الدهر لا يصبر

وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه، وتقلبت فيها بين افضاله وفضله، وحالى ببركته تعلقنى بذيل الدولة السامية، وانتمائى الى الحضرة العالية عن يمينى للسلامة وعن يسارى للعافية، ولا تزال كتبى ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى دنى طبقات الجودة، كانت فى اولى طبقات الرداءة، وانما يروى لنا سلف لكلامين ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين فاما حسن جيد معجب واما ردئ مخجب ولقد ولانى الشيخ من الصنع العميم ومن الاحسان الحادث والقديم، ما تركنى اهذى بمدحه، واحلم بوجهه وانصب باسمه واتفاءل بذكره، واحلب ضرع الشعر بذكر بره، ولن استعين على شكر تلك النعمة، ولا امسك بيدى طرف تلك الخدمة، بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب، والقصور عن اداء المواجب وانما النعم مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشكر، ولن تنفر بمثل الكفر، وانما الشيخ اب بر واهل الادب ابناؤه، وسمار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه، وافضل عليه، واستحق المكافات من لسانه ويديه وليشكر عنا اهل الصنعة اذا احسن بنا، وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا وقد احسن الى فلان فى كذا والشيخ هو الذى مهد لى عنده موضع

وسهل

وسهل لى مسلكى، ووطأ لى فى تلك الحضرة لسانا، واقام لى بها ميزانا.
لازال الشيخ راكبا كاهل الدهر، محكما فى الخير والشر، تخدمه الانام
بل الايام، وترجوه الكرام كما تخافه اللئام، وتعشقه السلامة والسلام

وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد

كتبت الى الشيخ من داره التى ما ينغصها على الا بعده عنها، وخلوها منه وقد كثرت
كتبى اليه كثرة نعمه على، وتواترت تواتر اياديه الى وعهدى يتفضل الشيخ يسلك طريق
الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد وقد سمع
الشيخ اخبارى بالحضرة وانى كلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى
ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى
وفلان قد وصلت الى بركات اتصالى به وانا فى غير حضرته واخذت ماله وان لم يخرج
من خزانته واستغفر الله من حظى الدنيا كلها حضرته والناس باجمعهم رعيته، و
الملوك باسرهم شيعته، والاحرار عياله وحاشيته، فاما اعداؤه فرجومون من الم
الحسد، ومقتولون بسيف الغم والكمد سكوته افصح من كلامهم، ومنعه اندى
من نوالهم، وحجابه احلى من لقائهم، وعبوسه احسن من ابتسامهم وغضبه
انفع من رضاهم، ويسراه اسد من يمناهم، وبخله افضل من عطاياهم

وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه

كتابى وانما الشيخ بازعتيق كان طار عن اهله، وفرع عميم كان انقطع من
اصله، فردته ايام السعادة الى بيته، وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه
ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين
وغيرى يعرفه معرفة ظن، وانظر اليه بعينين وسواى ينظر اليه بعين والرجال كثير
ولكنهم قليل، والدهر باشخاصهم جواد، وبحقائقهم بخيل، وقد كنت احسبنى
اذا هربت من نعمته على، وانهزمت من عساكر احسانه الى خففت رقبتى من طوق
صنائعه، وخلت يدى من بعض ودائعه وتنفست الى الفراغ مدة واسترحت

من تواتر الاعباء، وتناسق النعماء، ولو ساعة واحدة، فاذا نعمتلى بمرصد حيث كنت، وعلى عد رجتى اينما قطنت او ظعنت، اهرب منها وتتبعنى وارحل عنها و تشيعنى فمنها الطلب ومنى الهرب فلا عدمتها طالبا، ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقل باحسانه كل نازل ويشيع به كل راحل واطال الله بقاءه على حالة ترضينى له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى ولا انزل فيه الا وراء الغاية القصوى ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيى ميت مالى بل ميت آمالى وتطرى خلق حالى و ترد الماء فيما نضب من جمالى ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح، والشيخ صنائع فى الناس رجوان لا اكون اعياهم لسانا ولا اقصرهم بالشكر بيانا، ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره، ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره، وانما السيد بطاعة عشيرته، والامير بصلاح رعيته، والممدوح بالسنة شيعته

وكتب رحمه الله تعـ

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد، الذى ليس له امد وكأن عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد واني كره السيد ان يكون زحلى خطوة العفو جامد حركة الصفح لا يحل عقده، ولا تتجاوز عن فريسته يده، فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته، ويثلم رجاء وليه فى مراجعته، ولعمرى ان الاسير لكبير واكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه واشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه

وكتب ايضا

ترى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسرة واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما، متوسطة لهما، فاقتصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان اكن قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل وان اكن اسأت فالقليل من الاساءة احتمل موصل الرقعة فلان وهو تام فى الترة، ناقص فى حالته، جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال، حال من الادب عاطل من النشب وسبيله ان يوزن فى كفة كماله، لا فى كفة حالته،

وكتب أيضاً

تأخر كتابك يا سيدي فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك، وفتح للتهمة بابا الى اخائك، وانى لاكره الوديعة الطلاقى ويخربه التنائى، وابغض الصديق يضع مقاليد البغض والحب فى يدى البعد والقرب وانا الذى اصاب عهدك بعينه، وافسدك بحسن ظنه، ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحلك من قلبى وكيف طلع على غيبى وما زال الدهر يقرطس سهمه فى كل شيء احببته، ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته، حتى لو احببت الموت لابقانى، ولو اردت الحرمان لاعطانى ولو اثرت الفقر لاغنانى ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى ولقد

	عجبت للدهر فى تصرفه		وكل افعال دهرنا عجب
	يبا ين الدهر كل ذى ادب		كأنما نال امه الادب

وكتب الى ابى القاسم الحسن بن علىّ

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال لديه، وتكون الاسفار والاطوار عليه، لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء وبمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء والسيف اصدق انباء من الكتب فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعى الغر عن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر فافترع مملكة طالما خطبت فما نكحت وطلبت فما وجدت بكرا فافترعها كف حادثة، ولا ترقت اليها همة النوب وبرزة الوجه قد اعيت بايضها كسرى وصدت صدودا عن ابى كرب وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار، وفى دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجوارى وبين من افتض عذارى النواحى لا بل شتان بين من صاد مملوكة تحت اللحاف وبين من صارع مملكة تحت الرماح والاسياف لا بل شتان بين من افعاله ثيبة وطريقه مسلوكة قد سبق اليها، وشورك فيها، وبين من

	ترفع عن عون المكارم قدره		فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ دام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين والتحلى بالحليتين، فهو فارس القلم واللسان ثم رب السيف والسنان

	قد كان يوم نكى بجودك باهرا		حتى اضفت اليه يوم ضراب

وبديهتنا بتدأت طريقها	لولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذي الحق زماننا بالازمان وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان وعلى مقادير الايام تكون محاسن الانام وان ذكرا اهل العراق في رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين وعلى بن سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين وصاعد بن مخلد ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لان اولئك انما ضربوا باسيافهم والدنيا شابة والخلافة مقبلة والايام مساعدة والسعود قائمة والنحوس نائمة ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة وفترة الدعوة وكسدت السلعة وبطلت الصنعة وضاقت المملكة وكل القلم وقل الدينار والدرهم وانشدنا

اتى الزمان بنوه في شبيبته	فسرهم واتيناه على الهرم

وانما الناس بالاحسان والاحسان بالسلطان والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر الكيان

وانت عبيد الله اكبر همة	واكرم من فضل ويحيى وخالد
اولئك جادوا والزمان مساعد	وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هناه الله تعالى ما اولاه وبارك له فيما اعطاه واراه في اولاده واخراه وفيمن والاه وعاداه ما يريد ويهواه واتاه مما يسميه ويراه ما يقترحه ويتمناه واراني فيه ما يرضاه وارضاه حتى ارى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يسلك طريق خطاه والموت وهو سلاحه ويداه يفنى من افناه ويبقي من ابقاه وبيدي في الآمال والآجال ما يراه واطال بقاءه وجعلني فداءه والسلام

الحمد لله رب العالمين وقد تنا هو طبع هذه الرسائل التي لم يبلغ شاؤها في الفصاحة سحبان وائل بل هو عندها ادني من باقل باهتمام المكرم المحترم الميرزا احمد الملقب بملك الكتاب الذي هو في تدبيره محي الفنون والعلوم وكاشف بين السفاف والصواب بخط اقل الخليقة بل لا شيئ في الحقيقة الميرزا محمد حسن ابن علي الكازروني عفى الله عنه وعن والديه وعن والديه وكان ذلك في غرة الشهر شعبان سنة ١٣٠١

هذا فهرست رسائل ابى بكر الخوارزمى

وله

بعون الله تعالى

هذا كتاب

رسائل ابى بكر الخوارزمى

في ١٣٠١ سنة هجرى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]